

جامعة سعد دحلب بالبليدة
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة ماجستير

التخصص: الصوتيات العربية ومعجمية

الإعاقات النطقية و عيوب الكلام وأثرهما في تعلم الطفل
"دراسة ميدانية مدرسة بلجباس الابتدائية بالمدينة"
"نموذجا"

من طرف

عبد الرحمان الزاوي

أمام اللجنة المشكلة من

رئيسا
مشرفا
عضوا مناقشا

أستاذ محاضر ،جامعة البليدة
أستاذ محاضر ،جامعة البليدة
أستاذ محاضر ،جامعة البليدة

بلعلام مخلوف
بوحساين نصر الدين
لعبيدي بوعبدالله

البليدة ، جوان 2010

شكر

الشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل:

الدكتور نصر الدين بو حساين الذي تكرم بالإشراف على هذا البحث ، فقد أحسن توجيهي بملاحظاته القيمة وآرائه السديدة في سبيل إخراجه على أكمل وجه.

ملخص

تعد الإعاقات النطقية وما ينتج عنها من اضطرابات في التواصل، من بين الموضوعات التي لم تأخذ حقها من الدراسة وإذا ما علمنا أن هذا الموضوع يحتاج إلى خبرات متعددة ومنها علم اللغة، ولأن الأمل كبيرة في أن يتوجه الدرس اللغوي عندنا ليؤدي دوره إزاء فئة من المجتمع تعاني في عملية التواصل، فتكون حالة الإعاقة، مصدرا مباشرا يستغني منه اللغوي مادته كما فعل اللغويون الأوائل ممن أخذوا اللغة من مصدرها الأول يعالجونها.

ولأنني بحثت في السنة التحضيرية وبتكليف من الأستاذ المشرف، رأيت أن الموضوع بحاجة إلى إثراء وأنه جدير بالتوسع، ومن ذات اليوم وأنا أعمل على هذا الفكرة.

ويمكن إضافة سبب آخر وهو أهمية الإحاطة بهذا الجانب، لمن يقبل على تدريس اللغة.

إن موضوع البحث الذي نحن يصده يعالج إشكالية الإعاقات النطقية والعيوب الكلامية ومدى تأثيرها في عملية التعليم عند الطفل في المرحلة الأولى من الدراسة.

وكذا مدى انتشار هذه الإعاقات والعيوب النطقية بين الأطفال المتدربين.

ومدى تأثير الأمراض التي تصيب الجهاز النطقي في بروز هذه الإعاقات والعيوب مما يؤدي إلى تعطيل في عملية الأداء الكلامي أو في استقباله.

إذ السؤال المطروح هنا هو هل لهذه الإعاقات والعيوب النطقية تأثير في عملية التعلم عند الطفل إذا ما أصيب بها؟

اعتمدت في البحث على خطة عمل تتكون في مقدمة وفصلين وخاتمة،

وقد بينا في الفصل الأول أن اللغة تعيش في أذهان أبنائها في صورة أنظمة وقوانين فإن الوجود المادي لها يتحقق في نطق أصحابها... ذلك النطق الذي يكون من أصوات لغوية تنطق وتسمع وتفهم المقصود منها.

وكذلك للتعرف على نظام الإشارات الصوتية أو الأصوات اللغوية المكونة للكلام من حيث إصدارها وانتقالها وإدراكها، وما تثيره من استجابات لدى السامع، وكذلك للتعرف على

القوانين التي تحكم تلك الأصوات في جميع مراحلها وعلى النظام العام لأداء اللغة في صورته الطبيعية.

وقد بدأنا هذا الفصل بمبحث خصصناه لفسيولوجية الصوت اللغوي لما كان الصوت اللغوي يمر أولاً بمرحلة إنتاجه وإصداره عن طريق جهاز النطق في الإنسان ، كان من الطبيعي أن نبدأ دراسته بمحاولة التعرف على ذلك الجهاز، والكشف عن طبيعة كل عضو فيه، ودوره في عملية إصدار الكلام أما في المبحث الثاني من هذا الفصل فقد تطرقت فيه للجانب الفيزيائي وحيث إن الصوت بعد إنتاجه ينتقل عبر الوسط الناقل في صورة ذبذبات فيزيائية إلى أذن السامع ، فقد كان ضروريا أن نتعرف على صورة هذه الذبذبات وكيفية انتقالها، وتأثيرها في جهاز الاستقبال عند الإنسان أما الجانب الإدراكي فإنه من الطبيعي أن ذلك الصوت بصورته التي وصل بها إلى أذن السامع يحدث إثارات واستجابات معينة في المخ ولا تكون الدراسة الصوتية كاملة قبل التعرف على تلك القوالب الإثارية والكشف عن العلاقة بينها وبين القوالب الفيزيائية والطريق الطبيعي لذلك أن نتعرف على كل صوت باعتباره أصغر وحدة لغوية يتألف منها التركيب اللغوي فيتعرف عليه فسيولوجيا من حيث طبيعته ونطقه ومن حيث صفاته وخصائصه وفيزيائيا لنقف على مكوناته وطبيعته وكل مكون وصفته وإدراكها من حيث صورته السمعية والعوامل المؤثرة في إدراكه.

وفي الفصل الثاني كان تركيزنا على الإعاقات النطقية وعيوب الكلام وقد بدأت بتعريف لعملية النطق وان مايقابلها هو إما اختلال أو اضطراب في الوظيفة الكلامية فإن امتنعت هذه الوظيفة فتسمى هذه الظاهرة بالحبسة وليست الحبسة مجرد انعدام القدرة على النطق أو إخراج الصوت ولكنها تعطل الوظيفة أو العملية الكلامية من حيث هي قدرة على الإدراك والتعبير بالرموز سمعا أو بصرا أو نطقا وتطرقت إلى العديد من الإعاقات النطقية والعيوب الكلامية المنتشرة عند الأطفال في الوسط المدرسي كالجلجة والتأتأة والتلعثم وذكرت بعضا من أسباب حدوثها وقد دعمنا هذا الفصل بمبحث تطبيقي ميداني، فبعد أن عرفنا بأنواع الإعاقات وعيوب الكلام المنتشرة بكثرة في الوسط المدرسي عند الأطفال، قدمنا الفصل بمبحث تطبيقي يخص فئة من الأطفال لمعرفة مدى تأثير هذه الإعاقات والعيوب الكلامية في تحصيلهم الدراسي ومدى تجاوب المعلمين مع هذه الفئة.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، المناسب لتقص هذا الموضوع ودراسته بطريقة سليمة.

أما عن المدرسة التي اخترناها في الدراسة الميدانية لأنها المدرسة الوحيدة بالمدينة التي تعني بمثل هذه الفئات من الأطفال من حيث العناية والمتابعة عن طريق أخصائيين من أجل مساعدتهم على تخطي إعاقاتهم.

اعتمدنا عددا من المصادر والمراجع، منها العربية والمترجمة وكذا الأجنبية، بالإضافة إلى كل من تكلم في الموضوع، في ثنايا تناولهم لقضايا أخرى تتعلق باللغة والفصاحة. هذه المصادر والمراجع أفادتنا بمعلومات متعلقة بصلب الموضوع.

وكل باحث ودارس لابد أن يتعرض لبعض الصعوبات والعراقيل التي تقف حجر عثرة في طريق بحثه، فقد واجهتنا صعوبات في جمع المادة واستقرائها، وذلك يعود أماما إلى قلة الدراسات في الموضوع وخاتمة في اختصاص علم اللغة أو اللسانيات التطبيقية، وإنما جميع الدراسات كانت في إطار علم النفس اللغوي والأرطوفونيا....

أما فيما يخص الدراسة الميدانية فمن الصعوبات التي واجهتنا عدم القدرة على إحصاء جميع المصابين بالإعاقات وعيوب الكلام، لعدم معرفة المعاقين لهؤلاء خاصة وكذا عدم تجاوب الأطفال مع مثل هذه العمليات فيلجئون إلى التستر على إعاقاتهم وعيوبهم النطقية.... ولابد من الاعتراف بالتقصير في بعض الجوانب من هذا البحث إذ لم نعط بعض الأمور حظها من الدراسة والتحليل، وذلك راجع لعدم الإلمام والإحاطة بجميع جوانب الدرس، مع بذل مجهود كي يكون بحثنا هذا ذا قيمة وفائدة يحتفي به ليس أهل الاختصاص فحسب، بل حتى الآباء والمربون في تعاملهم مع هذه الفئة المصابة باضطرابات الكلام، ومن هم تحت وصايتهم وحتى في تعاملنا معهم. وقد ختمت البحث بخاتمة وجيزة تطرقت فيها إلى نتيجة مفادها أن الإعاقات النطقية وعيوب الكلام تعتبر من بين العوائق أو الحواجز التي تعيق تطور القدرات اللغوية وخاصة عند الأطفال كما أنها تؤدي إلى نتائج سلبية في حين أن الإنسان يسعى إلى الأحسن وذكرنا بأن علم اللغة وخاصة اللسانيات التطبيقية تستطيع أن تسهم إسهاما فعالا في علاج الظاهرة عن طريق وضع البرامج والطرق التحليلية وتقديم المادة الوصفية عن اللغة وتصنيف الكلام وبيان العلاقات النحوية والدلالية وإبراز الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

وفي الأخير لابد أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من مد لنا يد العون والمساعدة وخاصة الأستاذ المشرف الذي ساعدنا معنويا وماديا بأفكاره وتصويباته المفيدة جدا. وكذا شكري للأساتذة الذين أشرف بمناقشتهم هذا البحث متعهدا تقبل انتقاداتهم وتصويباتهم ولهم الشكر الجزيل على تحملهم عناء قراءة المذكرة

قائمة الجداول

الرقم	الصفحة
01	مراحل النمو اللغوي 111
02	تطبيق برنامج الكشف 209
03	إعادة الكلمات 213، 212
04	تمارين تنفسية عادية 213
05	تمارين تنفسية نطقية 213
06	تمارين تنفسية بدون إصدار صوت 214
07	تمارين تنفسية مع إصدار الصوت 214
08	تقييم جهاز النطق 214
09	الأسنان 215
10	اللسان 215
11	تقييم اللغة التعبيرية 216، 217، 215
12	تقييم اللغة التعبيرية 218
13	تقييم الإدراك (مهارات مكملة) 219
14	تقييم مخارج الحروف 220
15	الوصف الفسيولوجي وتقييم النتائج 221، 220
16	التقييم والتوصيات 222

قائمة الأشكال

الرقم	الصفحة
01	الأوتار الصوتية 15
02	مخارج الحروف 24
03	جهاز السمع 29
04	الذبذبة الصوتية 31
05	عملية الاتصال القصدي 105
06	المناطق المسئولة عن اللغة 148
07	الإعاقات النطقية 150
08	مظاهر اللججة 157
09	منطقة بروكا في المخ 183
10	المنطقة المسئولة عن فهم اللغة في المخ 183
11	الأفازيا الحركية 185

فهرس

شكر

ملخص

قائمة الجداول

قائمة الأشكال

فهرس

مقدمة

19.....	الصوت اللغوي بين تكوينه وإدراكه.....
21.....	1.1 فسيولوجية الصوت.....
22.....	2.1.1 أعضاء النطق.....
23.....	3.1.1 طبيعة كل عضو.....
24.....	4.1.1 وظيفة كل عضو.....
25.....	2.1_ أعضاء التنفس.....
26.....	2.2.1 الحجاب الحاجز.....
26.....	3.2.1 وظيفته في الكلام.....
28.....	2. القفص الصدري.....
29.....	1.2 وظيفته في الكلام.....
29.....	1.1.2 الرئتان.....
30.....	2.1.2 التنفس والكلام.....
41.....	3.1.2 الحنجرة.....
42.....	2.2 الغضروف الدرقي.....
43.....	1.2.2 الغضروف الحلقي.....
44.....	2.2.2 لسان المزمار.....
45.....	3.2.2 الغضروف الهرمي.....

46.....	3.2 الحبال الصوتية: (الوتران الصوتيان)
47.....	1.3.2 وضع الغلق
48.....	2.3.2 وضع الاهتزاز
49.....	2.3.2 وضع الهمس أو عدم الاهتزاز
50.....	3.3.2 وضع الجهر أو التصويت
51.....	3. الحلق
52.....	1.3 الحلق الحنجري
53.....	1.1.3 الحلق الفمي
54.....	2.1.3 الحلق الأنفي
58.....	4. اللسان
58.....	1.4 حركة اللسان
59.....	1.1.4 وظيفته في الكلام
59.....	5. الحنك
59.....	1.5 مقدم الحنك
59.....	1.1.5 سقف الحنك الجامد
60.....	1.1.1.5 صفاق الشجر
61.....	7. الأسنان
63.....	9. التجويف الأنفي
64.....	1. جهاز السمع
64.....	1.1 أعضاء السمع ووظائفها
66.....	2. العملية السمعية
68.....	1.2 الأذن وإنتاج الكلام
69.....	1. فيزيائية الصوت
60.....	1.1 نشأة الصوت
70.....	1.1.1 الذبذبة الصوتية
71.....	1.1.1 الموجات الصوتية
71.....	1.1.1.1 التردد

72.....	2.1.1 نظرة فيزيائية سريعة في إنتاج الصوت اللغوي.
72.....	1. عناصر الصوت اللغوي.
73.....	1.1. الإحساس بالشدة.
74.....	1.1.1. النغمة.
75.....	1.1.1.1. طول الصوت.
76.....	2. الصوت اللغوي والعوامل المؤثرة فيه.
76.....	1.2. خواص التطور الصوتي والعوامل المؤثرة فيه.
79.....	1.1.2. عوامل التطور الصوتي.
80.....	2.1.2. عوامل فسيولوجية.
83.....	3.1.2. الحالة النفسية. العوامل النفسية.
85.....	2.2. العوامل البيئية والتطور الصوتي.
86.....	1.2.2. اقوانين التبدل الصوتي.
88.....	1. مبدأ الاقتصاد اللغوي.
90.....	1.1. نظرية الشيوخ.
91.....	1.1.1. التغيرات الصوتية في السياق.
91.....	2.1.1. الانتقال الديناميكي.
92.....	3.1.1. التضعيف.
93.....	1.2.1. الحذف.
94.....	2.2.1. الوصل.
94.....	3.2.1. التغيرات التكميلية أو ال.
98.....	2. وظائف التنعيم.
98.....	1.2. وظائف فونولوجية أو دلالية.
100.....	1.1.2. وظائف نحوية.
100.....	2.1.2. L'accent. النبر.
100.....	1.1. التصور الفسيولوجي للنبر.
100.....	1. نظام النبر.
100.....	1.1. الطول.

100.....	1.1.1.1. الكم الزمني
100	3.1.1.1. التزمين
100.....	5.1.1. وظيفة التزمين
101.....	1. الوقفات: Les pauser
104.....	1.1.1.1. الإيقاع
105.....	1.1.1.1.1. الوحدة الإيقاعية
106.....	3. الصوت اللغوي عند الطفل
107.....	3.1. نظريات اكتساب اللغة
108.....	3.1.1. الكلام La parole
109.....	1. الحدث اللغوي
109.....	1.1. لغة الفرد
110.....	1.1.1. لغة الجماعة
111.....	1. النظريات السلوكية
112.....	1.1.1. الكلام واللغة كسلوكيات إجرائية
113.....	1.1.1.1. النظرية الفطرية
114.....	2.1.1. النظرية اللغوية "سلوبين" slobine
115.....	3.1.1. منظور التفاعل الاجتماعي
116.....	3.2.1. مراحل النمو اللغوي
117.....	1. مرحلة ما قبل اللغة
118.....	1.1. من الصرخات إلى الكلمات
119.....	1.1.1. مرحلة الصراخ
120.....	1.1.1.1. وظيفة الصراخ
121.....	3.1.1. التحليل اللغوي للأصوات التي يحدثها الطفل أثناء الصراخ
121.....	3.2.1. مرحلة التقليد
122.....	2. من التقليد إلى التطور اللغوي
123.....	1.2. تفسير عملية التقليد
123.....	1.1.2. مرحلة الإيماءات

124.....	2.1.2. اللغة المقطعية، مرحلة اللغة الحقيقية.
124.....	3.1.2. فهم اللغة قبل استخدامها
125.....	1. مرحلة الكلمة الأولى
126.....	الفصل 2
127.....	اضطرابات الكلام والنطق والصوت
128.....	مدخل
129.....	1. أشكال اضطرابات اللغة والنطق
130.....	1.1. المقصود بالإعاقة ودرجتها ومدى خطورتها
132.....	2. الاضطرابات الصوتية الإبدالية.
133.....	1.2. أسباب اضطرابات النطق
133.....	1.1.2. الأسباب العضوية
133.....	2.1.2. الدماغ والاضطرابات اللغوية
134.....	3.1.2. العيوب الجسم
136.....	4.1.2. العيوب الانفعالية
137.....	5.1.2. الأسباب النفسية
139.....	6.1.2. إهمال الوال
142.....	2. الإعاقات النطقية وعيوب الكلام. المقصود بها، أسبابها، أعراضها.
142.....	توطئة.
145.....	1.2. البيان:
145.....	1.1.2. الفصاحة
146.....	2.1.2. الك
146.....	3.1.2. التعريف اللغوي
146.....	4.1.2. التعريف الاصطلاحي
146.....	5.1.2. اللسان
146.....	6.1.2. التعريف اللغوي
147.....	7.1.2. التعريف الاصطلاحي

147.....	1.1. التعريف اللغوي
147.....	1.1.1. اللغة والكلام
148.	2. الإعاقات النطقية الكلام، النطق، اللغة، الصوت
149.....	1.1.2. اضطرابات اللغة
150.....	2.1.2. اضطرابات الكلام
150.....	3.1.2. اضطرابات الطلاقة
150.....	2.2. الديسارثيا Dysart
153.....	2.2.2. العوامل المسببة لقلق الكلام
153.....	1. الأفكار
155.....	1.1.1. اضطرابات اللغة
155.....	2.1.1. اللججة لغة واصطلاحا
156.....	3.1.1. مظاهر اللججة
156.....	2.1. التكرار répétition
157.....	1.2.1. الإطالة prolongation
157.....	2.2.1. الاحتباس (التوقفات الكلامية) blocages
158.....	3.2.1. أسباب اللججة
160.....	2. المقولات البيوكيميائية المفسرة للـلججة
160.....	1.2. المقولات الوراثة المفسرة للـلججة
161.....	3. التأتأة
162.....	1.3. أشكال التأتأة chronique
162.....	1.1.3. التأتأة التكرارية Bégaiement chronique
162.....	1.1.1.3. التأتأة الاختلاجية Bégaiement tonic
162.....	2.1.1.1.3. التأتأة التكرارية الاختلاجية
162.....	3.1.1.1.3. التأتأة بالكيف Bégaiement par inhibition
163.....	4.1.1.1.3. الأعراض المصاحبة للتأتأة
163.....	4. التلعثم
163.....	1.4. التلعثم في ضوء النظريات المفسرة له

164.....	1.1.4. التلعثم من الناحية اللغوية
164.....	2.1.4. أعراض التلعثم
165.....	3.1.4. نظريات وأسباب التلعثم في الكلام
166.....	4.1.4. نظريات التلعثم
167.....	5.1.4. النظريات الوراثة
167.....	1. أعراض التلعثم
168.....	11. التكرار répétition
168.....	1.1.1. الإطالة: prolongation
168.....	2.1.1. الوقفات
169.....	3.1.1. النظريات العضوية
170.....	4.1.1. النظريات النفسية
171.....	5.1.1. النظريات الاجتماعية والبيئية
171.....	6.1.1. النظرية المركبة
172.....	7. التأثأة
173.....	8. اضطرابات الصوت
174.....	1.8. اضطرابات نوعية التلفظ
176.....	1.1.8. أسباب اضطرابات الصوت
176.....	1.1.1.8. المشكلات المرتبطة بالعوامل العضوية
178.....	2.8. المشكلات المرتبطة بالعوامل النفسية
179.....	1.2.8. اضطرابات النطق
179.....	1. أو الديزلاليا الجزئية
180.....	1.1. الإبدال
180.....	1.1.1. التحريف أو التشويه
180.....	1.1.1.1. الإضافة
180.....	2.1.1.1. عوامل وأسباب اضطرابات النطق
181.....	9. اضطرابات اللغة
181.....	1.9. الأفازيا l'aphasie

184.....	1.19.أنواع الأفازيا.....
185.....	2.9.أفازيا بروكا الحركية l'aphasie motoor.....
186.....	1.2.6.الأفازيا الحسية l'aphasie sensorielle.....
187.....	3. الإعاقات النطقية وعيوب الكلام وأثرهما في تعلم الطفل.....
187.....	1.3.تشخيص الإعاقات النطقية وعيوب الكلام.....
188.....	1.1.3.المسح المبدئي لعملية النطق.....
188.....	1.1.1.3.تقييم النطق.....
188.....	2.1.1.3.دراسة تاريخ الحالة.....
188.....	3.1.1.3.برنامج لكشف حالات اضطرابات النطق واللغة.....
190.....	5.1.1.3.عينات من الأطفال المصابين بالإعاقات النطقية وعيوب الكلام.....
190	النموذج رقم -01.....
191.....	النموذج رقم -02.....
196.....	النموذج رقم -03.....
198.....	النموذج رقم -4.....
200.....	النموذج الخامس.....
201.....	النموذج السادس (06).....
210.....	خاتمة.....
212.....	قائمة المصادر والمراجع.....

مقدمة

اللغة عبارة عما يتواضع القوم عليه من كلام، يقال في لغة العرب-إن السيف القاطع حسام- أي تواضعوا على أن سموه هذا الاسم أما حد اللغة فإنها (أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، واللغة -في شكلها العام- مجموع كلي لكلمات ركبت بصورة خاصة واقترن بعضها ببعض على نحو معين، وهي بذلك تؤدي وظيفتها في حياة البشر، ويتميز الناس فيما بينهم على هذا الأساس: فلكل أمة أو جماعة بشرية لغة خاصة تختلف عن غيرها، وكلماتها، وتركيبها، وأيضا في نحوها، وصرفها، وطرق استخدامها، ومستويات الدلالة فيها. علما أن اللغة تعيش في أذهان أبنائها في صورة أنظمة وقوانين، فإن الوجود المادي لها يتحقق في نطق أصحابها...ذلك النطق الذي يكون من أصوات لغوية، تنطق ق، وتسمع، ويفهم المقصود منها.

ومعنى هذا -كما قال العلماء-أن اللغة مظهرين:

مظهر ذهني: يتم فيه الربط بين الدال والمدلول، أو بين اللفظ ومعناه.

وآخر مادي: وهو تلك الصورة النطقية التي تصدر عن جهاز النطق في الإنسان،

وتنتقل عبر الوسط الناقل- الذي غالبا ما يكون الهواء- على شكل ذبذبات صوتية إلى أذن

السامع، فيدركها ويفهم مدلولها، وهذا يعبر عنه (بالكلام).

فالكلمة في اللغة ماهي إلا صوت مثل باقي الأصوات التي تصدر عن الظواهر

الطبيعية المختلفة، ولكن الذي يضيف على الكلمة معنى هو الاتفاق المحض، فكلمات اللغة هي

من قبيل الرموز الاتفاقية في دلالتها على معانيها مثلها في ذلك مثل دلالة الثوب الأسود على

الحداد، أو دلالة الحمامة البيضاء على السلام...وليس ثمة ما يمنع الناس أن يستبدلوا رموزا

أخرى تدل على نفس المعاني، فالعلاقة بين الدال والمدلول علاقة تواضعية اصطلاحية خالية

من كل مبررات أو أسباب عقلية.

لكنه قد يحصل خلل في عملية التواصل نتيجة الأداء غير العادي ونتيجة بعض الإعاقات والعيوب التي تلحق عملية النطق، وتعرقل عملية التواصل والأداء اللغوي. ونظرا لخطورة هذه الإعاقات والعيوب النطقية فقد ركز بعض الدارسين في أبحاثهم في هذا المجال وقد استنتج بعضهم أن هذه الإعاقات والعيوب النطقية هي اختلال في التوازن الحركي بين أعضاء النطق المختلفة. وهذه الإعاقات والعيوب كثيرا ما تنتشر بين فئة الأطفال خاصة أثناء اكتسابهم اللغة في مراحلهم الأولى، لأنهم أكثر عرضة لمختلف العوامل المؤثرة في عملية النطق.

كما ترمي هذه الدراسة إلى بيان الأثر الذي تتركه التغيرات النفسية والاجتماعية... في الظاهرة اللغوية، فما دامت القواسم المشتركة بين التركيبة النفسية والاجتماعية للبشر واحدة فمن المتوقع أن تلقي اللغات الإنسانية في قواسم مشتركة أيضا، فقد تكون الظاهرة الفردية مقبولة فتصبح اجتماعية، أو غير مقبولة، فتكون ظاهرة مرضية، أو حالة من حالات الإعاقة النطقية.

و الإعاقات النطقية وما ينتج عنها من اضطرابات في التواصل، من بين الموضوعات التي لم تأخذ حقها من الدراسة وإذا ما علمنا أن هذا الموضوع يحتاج إلى خبرات متعددة ومنها علم اللغة، ولأن الأمل كبيرة في أن يتوجه الدرس اللغوي عندنا ليؤدي دوره إزاء فئة من المجتمع تعاني في عملية التواصل، فتكون حالة الإعاقة، مصدرا مباشرا يستغني منه اللغوي مادته كما فعل اللغويون الأوائل ممن أخذوا اللغة من مصدرها الأول يعالجونها.

ولأنني بحثت في السنة التحضيرية وبتكليف من الأستاذ المشرف، رأيت أن الموضوع بحاجة إلى إثراء وأنه جدير بالتوسع، ومن ذات اليوم وأنا أعمل على هذا الفكرة. ويمكن إضافة سبب آخر وهو أهمية الإحاطة بهذا الجانب، لمن يقبل على تدريس اللغة.

إن موضوع البحث الذي أنا يصده يعالج إشكالية الإعاقات النطقية والعيوب الكلامية ومدى تأثيرها في عملية التعليم عند الطفل في المرحلة الأولى من الدراسة. وكذا مدى انتشار هذه الإعاقات والعيوب النطقية بين الأطفال المتدربين. ومدى تأثير الأمراض التي تصيب الجهاز النطقي في بروز هذه الإعاقات والعيوب مما يؤدي إلى تعطيل في عملية الأداء الكلامي أو في استقباله.

إذ السؤال المطروح هنا هو هل لهذه الإعاقات والعيوب النطقية تأثير في عملية التعلم عند الطفل إذا ما أصيب بها؟

اعتمدت في البحث على خطة عمل تتكون في مقدمة وفصلين وخاتمة، وقد بينا في الفصل الأول أن اللغة تعيش في أذهان أبنائها في صورة أنظمة وقوانين فإن الوجود المادي لها يتحقق في نطق أصحابها... ذلك النطق الذي يكون من أصوات لغوية تنطق وتسمع وتفهم المقصود منها.

وكذلك للتعرف على نظام الإشارات الصوتية أو الأصوات اللغوية المكونة للكلام من حيث إصدارها وانتقالها وإدراكها، وما تثيره من استجابات لدى السامع، وكذلك للتعرف على القوانين التي تحكم تلك الأصوات في جميع مراحلها وعلى النظام العام لأداء اللغة في صورته الطبيعية.

وفي الفصل الثاني كان تركيزنا على الإعاقات النطقية وعيوب الكلام وقد دعمنا هذا الفصل بمبحث تطبيقي ميداني، فبعد أن عرفنا بأنواع الإعاقات وعيوب الكلام المنتشرة بكثرة في الوسط المدرسي عند الأطفال، قدمنا الفصل بمبحث تطبيقي يخص فئة من الأطفال لمعرفة مدى تأثير هذه الإعاقات والعيوب الكلامية في تحصيلهم الدراسي ومدى تجاوب المعلمين مع هذه الفئة.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، المناسب لتقص هذا الموضوع ودراسته بطريقة سليمة.

أما عن المدرسة التي اخترناها في الدراسة الميدانية لأنها المدرسة الوحيدة بالمدينة التي تعني بمثل هذه الفئات من الأطفال من حيث العناية والمتابعة عن طريق أخصائيين من أجل مساعدتهم على تخطي إعاقاتهم.

اعتمدنا عددا من المصادر والمراجع، منها العربية والمترجمة وكذا الأجنبية، بالإضافة إلى كل من تكلم في الموضوع، في ثنايا تناولهم لقضايا أخرى تتعلق باللغة والفصاحة.

هذه المصادر والمراجع أفادتنا بمعلومات متعلقة بصلب الموضوع.

وكل باحث ودارس لابد أن يتعرض لبعض الصعوبات والعراقيل التي تقف حجر عثرة في طريق بحثه، فقد واجهتنا صعوبات في جمع المادة واستقرائها، وذلك يعود أماما إلى قلة الدراسات في الموضوع وخاتمة في اختصاص علم اللغة أو اللسانيات التطبيقية، وإنما جميع الدراسات كانت في إطار علم النفس اللغوي والأرطوفونيا....

أما فيما يخص الدراسة الميدانية فمن الصعوبات التي واجهتنا عدم القدرة على إحصاء جميع المصابين بالإعاقات وعيوب الكلام، لعدم معرفة المعاقين لهؤلاء خاصة وكذا عدم تجاوب الأطفال مع مثل هذه العمليات فيلجئون إلى التستر على إعاقاتهم وعيوبهم النطقية....

ولابد من الاعتراف بالتقصير في بعض الجوانب من هذا البحث إذ لم نعط بعض الأمور حظها من الدراسة والتحليل، وذلك راجع لعدم الإلمام والإحاطة بجميع جوانب الدرس، مع بذل مجهود كي يكون بحثنا هذا ذا قيمة وفائدة يحتفي به ليس أهل الاختصاص فحسب، بل حتى الآباء والمربون في تعاملهم مع هذه الفئة المصابة باضطرابات الكلام، ومن هم تحت وصايتهم وحتى في تعاملنا معهم.

وفي الأخير لابد أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من مد لنا يد العون والمساعدة وخاصة الأستاذ المشرف الذي ساعدنا معنوياً ومادياً بأفكاره وتصويباته المفيدة جداً.

الفصل 1

الصوت اللغوي بين تكوينه وإدراكه

أجمع العلماء على أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة إذا قيست بتطوره الحضاري، وقد نمت فيه قوة السمع قبل النطق، فسمع الأصوات في الطبيعة، وكان نطقه الأول عفويا أو غير إرادي، والذي نريد إثباته هو أن الإنسان استغل أصوات نفسه وأصوات المظاهر الطبيعية في تكوين لغته التي كان في أمس الحاجة لها من أجل حياته الاجتماعية ولكن العامل الأكبر الذي ساعد في رقي هذه اللغة هو ما امتاز به الإنسان من قدرات عقلية فكثير من الحيوانات لها من الحناجر ما تستطيع بها التصويت بأنواع متباينة من الأصوات.

ولكنها لم تستطع أن تنطق كما نطق الإنسان، لأنها لم توهب القدرة العقلية الكافية أو الاستعداد الفطري لتكوين من تلك الأصوات لغة لها، فلا غرابة إن سمي الإنسان حيوانا ناطقا. وقد اعتبر البعض أن هذا الإطلاق دقيق، إلى أقصى حد، فقدرة الإنسان على النطق هي الميزة الحاسمة التي ينفرد بها عن سائر المخلوقات الحية أيا كانت صورتها.

وفي اللغة العربية نقول: نطق بمعنى تكلم أو قال... ونقول النطق بمعنى اللفظ بالقول... وإذا أطلق وصف "ناطق" على الإنسان فمعناه الضيق هو المتلفظ بالحروف والكلمات والجمل، ومعناه الواسع هو إضفاء صفة التفكير على الإنسان والنطق بما يفكر فيه بعد فهمه وإدراك كليته... أما إذا أطلقنا -مجازا- وصف "ناطق" على كتاب مثلا فهذا يعني أنه كتاب بين واضح في موضوعه... وإذا أطلقنا هذا الوصف على شيء ما فنعني أنه شيء واضح في مظهره أو في مخبره.

ومن عبقرية اللغة العربية تخريجها كلمة "منطق" من جذور فعل "نطق" والمنطق كما هو معروف فلسفيا هو العلم الذي يبحث في قوانين التفكير التي ترمي إلى تمييز الصواب من الخطأ، وينظم البراهين ويقود إلى اليقين.

ومنذ ظهور الإنسان على الأرض، أصبح "النطق" وسيلة لتواصله وتفاهمه مع الآخرين، وكلما تقدمت مسيرة الإنسان الأول في طريق الحضارة كلما ازدادت معرفته بأصوات حروف جديدة وكلمات جديدة وكلما ازدادت قدرته على التعبير عن شؤونه.

كما تنطبق على الصوت اللغوي أساسيات حدوث الصوت في الطبيعة، من وجود جسم مهتز، وسط ينقل الاهتزازات، وجسم يستقبل الاهتزازات ويتأثر بها.

وكان المفترض أن كل تحليل يتم للأصوات الطبيعية ينطبق تمام الانطباق على الأصوات اللغوية، ولكن فروقا طفيفة بين إصدار الصوت في الطبيعة، وإصداره من جهاز النطق البشري، كما أن هناك فروقا طفيفة بين إصدار الصوت في الطبيعة، وإصداره من جهاز النطق البشري، كما أن هناك فروقا طفيفة بين الاستقبال الموضوعي الطبيعي للصوت، والاستقبال البشري للصوت نفسه عن طريق الأذن الإنسانية وذلك لسبب بسيط: هو أن الأذن ليست مؤهلة لسماع جميع الأصوات الناتجة عن جميع الاهتزازات التي تحدث في الهواء. وسوف نركز في هذا الفصل على الجوانب السماعية في إنتاج الصوت اللغوي وفي تحليله يتم إنتاج الصوت اللغوي فيما يسمى بأعضاء النطق التي تبدأ من الحجاب الحاجز إلى غاية الفم والأنف، ويمكن اعتبار الممر الهوائي بدءا من الحنجرة إلى قناة الفم قناة هوائية صوتية "تنتهي القناة الصوتية في أحد طرفيها بالأوتار الصوتية وهي في طرفها الآخر مفتوحة للهواء من بين الشفتين وفتحتي الأنف، ولذا فهي تكون حجرة رنين ذات شكل معقد، وحينما يوضع الهواء داخل هذه القناة في وضع حركة فهو يتذبذب بشكل مركب يؤدي إلى تكوين الموجات الصوتية التي نسمعها.

ويختلف شكل هذه الذبذبات تبعا لموقع أعضاء النطق وبخاصة تبعا لتحركات الحنجرة، واللسان والشفيتين والطبق اللين.

والأصوات في أو مراحلها إنما هي اهتزازات يصدرها جهاز النطق فما نسمعه وندركه قد قامت أعضاء النطق بإنتاجه وعلى ذلك فإن التعرف على الكلام في مرحلة النطق يعد أمرا ضروريا.

إذن فسماع الصوت يأتي نتيجة لاهتزاز جسم ما في الهواء وتأثير الاهتزازات خلال الهواء على طبلة الأذن وحينئذ يبدأ جهاز السمع في نقل هذه الاهتزازات خلال سلسلة العضيمات الثلاث إلى الأذن الداخلية ثم عبر عصب السمع إلى المخ حيث يتم تفسيرها.

وقبل التطرق إلى فسيولوجية الأصوات نشير إلى بعض المفاهيم الخاصة بالصوت اللغوي حيث يعرف ابن منظور الصوت قائلا: صوت، الصوت، الجرس معروف مذكر ، أما ابن فارس فقد عرف الصوت بقوله في مادة (ص.و.ت) الصاد والواو والتاء أصل صحيح فهو الصوت، فهو جنس لكل ما وقع في أذن السامع ويقال هذا صوت زيد ورجل حيث إذا كان شديد الصوت والصائت إذا صاح. [1]ص(308)

كما يمكن تعريف الصوت بأنه انطباع سمعي نتيجة اهتزاز الجسم في وسط محيط ناقل لهذا الاهتزاز. [2] (ص318)

ولذلك يقرر العلماء ضرورة توفر عناصر ثلاثة حتى يمكن القول بوجود الصوت:

1 -وجود جسم في حالة تذبذب.

2 -وجود وسط تنقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

3 -وجود جسم مستقبل هذه الذبذبات.

وفي الأصوات اللغوية تتمثل هذه العناصر في أعضاء النطق وهي العنصر الأول والهواء وهو العنصر الثاني والأذن وهي العنصر الثالث[3]ص(96)

فالصوت هو الأثر السمعي الناتج عن ذبذبة مستمرة ومطرودة لجسم من الأجسام.

أما تعريف الصوت اصطلاحاً فقد عرفه ابن جني (ت 372هـ) قائلاً: اعلم أن الصوت عرض يخرج مستطيلاً متصل حتى يعرض له في الفم والحلق والشفيتين مقاطع تننيه من امتداده، واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقطعها وإذا تفتنت لذلك على ما ذكرته لك. [4] ص (06)

ويقول إبراهيم أنيس: الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليك الشك أن كل مسموع يستلزم وجود اهتزاز على أن تلك الاهتزازات لا تدرك بالعين في بعض الحالات كما هزات الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب، حتى تصل إلى الأذن الإنسانية [5] ص(06)

وعرفت خولة طالب الإبراهيمي الصوت: أنه هو الركيزة والمقوم المادي للسان وهو حد التحليل اللغوي ونهايته وأصغر قطعة في النظام اللغوي والصوت هو كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصماغ [5]ص(93)

1.1 فسيولوجية الصوت

عرفنا فيما سبق أن الأصوات هي اهتزازات يصدرها جهاز النطق عند الإنسان ومن هنا فإن التعرف على الكلام في مرحلة النطق أمر ضروري، والذي يهمنا هو تحديد أماكن النطق ثم التعرف على كيفية النطق وكذا الخصائص والصفات المشخصة له، كيف تحدث فسيولوجياً؟ وكيف يتم انتقال الأعضاء من صوت إلى آخر؟

كما نتعرف على الظواهر الصوتية فسيولوجيا بمعنى أن نبحث عما يحدث في جهاز النطق لإصدار هذه الظاهرة أو تلك فالتفخيم كظاهرة مثلا تلك التي تعرض لبعض الأصوات في السياق، والتي عليها يتم التمييز بين صوت (كالسين) وبين آخر (كالصاد) وكذا بين صوت (الناء) و(الطاء) ومن ثم يكون اختلاف المعنى، بين (سعيد) و(صعيد)...

إن المنهج الفسيولوجي يبين لنا أن التفخيم يحدث عن طريق ارتفاع مؤخر اللسان إلى سقف الحنك ارتفاعا، يترتب عليه ضيق ممر الهواء في هذه المنطقة وذلك في الوقت الذي تكون فيه أعضاء النطق الأمامية قد أخذت الوضع المطلوب (للطاء) وعلى هذا تتطوق (الطاء) من مكانين -لا من مكان واحد، من مؤخر اللسان، ومقدمه، مع ما يقابلهما، وموضوع فسيولوجية الصوت، يتطلب منا أن نتعرف على طبيعة العمليات الفسيولوجية المصاحبة لعملية الكلام، ومكوناتها، لأن اللغة تعتمد على الصوت كميزة أساسية ضمن ميزات أخرى، ولأن اللغة صوتية في مجملها فقد اكتسبت بهذه الميزة قدرة لا حدود لها على التشكيل والتنويع ضمن ما تتيحه التركيبات الصوتية من إمكانيات فالصوت في كل اللغات هو الوسيلة المحددة للتعبير [7] ص 51()

والجهاز النطقي عند الإنسان في إمكانه إنتاج عدد كبير من الأصوات، ولكن اللغة الطبيعية لا تستعمل إلا عددا محدودا من هذه الأصوات التي تتحقق في شكل سلاسل كلامية، فالوحدات الصوتية في كل لغات العالم لا يزيد عددها عن ثمانين ولكن اللغات لا تستعين إلا بنطق هذا العدد أو دونه، واللغة العربية تعتمد على نيف وثلثين صوتا، والصوت اللغوي كما يعرفه دانيال جونز Daniel Jones هو: "أصغر عنصر قابل للتبادل" أي العنصر الذي يمكن عزله من السلسلة الكلامية وإحلال عنصر آخر بدله [8] ص (113)

كما توحد مجموعة من الأعضاء تشارك بدور مباشر أو غير مباشر في إصدار أصوات الكلام، وقد كان لهذه الأعضاء اهتمام من قبل الدارسين منذ القدم، وقد اهتم بذلك الهنود واليونان... والمسلمون لهم دور في هذا المجال فلا تزال أعمال سيويوه والسيرافي والمبرد وابن جني... موضع التقدير والدراسة غير أن العلم الذي حققه العلماء في مجال علمي التشريح ووظائف الأعضاء، قد مكن من دراسة علمية لعملية النطق على أسس تجريبية كشفت كثيرا مما كان يبدو غامضا، وصححت كثيرا من الأفكار، وأعانت على دقة الوصف وعلى علاج عملية النطق علاجا من مختلف الزوايا.

ويمكن تصنيف الأعضاء المكونة لجهاز النطق إلى مجموعات ثلاث:

- أولاها: مجموعة الأعضاء المكونة للجهاز التنفسي تحت الحنجرة، وتشمل القفص الصدري وعضلات البطن، بالإضافة إلى القصبة الهوائية والشعب الهوائية والرئتين.

- والثانية: الحنجرة وهي المصدر الأساسي للصوت الإنساني وتتميز بتركيب دقيق ومحكم يشمل مجموعة من الغضاريف والمفاصل، والعضلات والأغشية ووظيفتها الأولى الإسهام في عمليتي التنفس والبلع إلى جانب أهميتها الصوتية.

- والثالثة: تجاويف ما فوق الحنجرة وتتكون من ثلاثة تجاويف أساسية هي تجاويف البلعوم، والأنف والفم ويشمل الأخير الفك العلوي والفك السفلي والحنك واللسان والأسنان والشفنتين.

- وهذه المجموعات الثلاث على الترتيب سندهم بها في هذا المبحث حيث نعمل على تعريفها تعريفاً من الناحية التشريحية أي بالمقدار المناسب لفهم الحركات المنتجة للصوت، والمبينة لخصائصه اللغوية الأساسية، ثم نتكلم عن الأصوات التي يمكن إصدارها عن هذا العضو أو ذاك، غير تاركين أي أثر صوتي ينشأ عن أي تدخل في الجهاز الصوتي.

2.1.1 أعضاء النطق

ويعني في هذا الجانب بأمرين هامين:

3.1.1 طبيعة كل عضو

بمعنى أن نعرف عناصر تكوينه ووظيفة كل عنصر من تلك العناصر، حتى نستطيع تفسير الظواهر النطقية بناء على تلك الطبيعة... فمثلاً إذا عرفنا طبيعة (اللسان) وما فيه من أنظمة عصبية وعضلية استطعنا أن نتصور قيامه بصنع مواضع النطق لعدد من أصوات اللغة، وقيامه بضم موضعين من مواضع النطق لصوت واحد، (كالطاء) في وقت واحد...

4.1.1. وظيفة كل عضو

والأمر الثاني الذي يجب الاهتمام هو الدور الذي يقوم به كل عضو من أعضاء النطق في إصدار الكلام.. ولا يخفى هنا أن الوظيفة اللغوية لأعضاء النطق ليست هي الوظيفة الأساسية فلكل عضو وظيفتان.

- أساسية: وهي التي تتصل بحياة الجسم وتسمى (بيولوجية) أو (حيوية) فالأسنان مثلا تقضم الطعام والرئتان للتنفس والأنف للشم ...

- ثانوية لغوية: وهي تلك التي تتمثل فيما يقوم به عضو النطق من تحركات معينة مع الأصوات... فدور الأوتار الصوتية هو الاهتزاز مع بعض الأصوات وعدم الاهتزاز مع البعض الآخر.

وفي هذا يقول الدكتور عاطف مذكور: وتسمية هذه الأعضاء بالجهاز النطقي أو الصوتي تسمية مجازية فليست هناك أعضاء خلقت خصيصا للنطق بل هي أعضاء من جسم الإنسان خلقت لوظائف حيوية مختلفة ثم استعملها الإنسان بفكره استغلالا صالحا في صنع اللغة [8] ص (110.111)

كما نشير أيضا أنه ليست أعضاء النطق جميعها متحركة، أي قابلة للحركة فمعظمها ثابت لا يتحرك وقليل منها قابل للحركة كاللسان والشفيتين. [9] ص(64.65)

2.1 أعضاء التنفس

وقد سماها بعض الدارسين أعضاء ما تحت الحنجرة وهي التي تقدم الهواء الجاري المطلوب لإنتاج معظم الأصوات اللغوية.

وتشمل أعضاء التنفس القفص الصدري، وعضلات التنفس، ومنها الحجاب الحاجز والقصبة الهوائية والشعب الهوائية والرئتين

2.2.1. الحجاب الحاجز

وهو نسيج عضلي مستعرض له قدرة على الحركة، وهو يفصل بين الجهاز التنفسي بما معه من أعضاء أخرى وبين الجهاز الهضمي.

وحركة الحجاب الحاجز رأسية تتجه إلى أعلى أو أسفل: ذلك أنه عند (الشهيق) يتقلص إلى أسفل فيضغط على الأمعاء، ويتمدد جدار البطن إلى الأمام، وبذلك يتسع المكان أمام الرئتين

فتتمددان وتمتلئان بأكبر كمية من الهواء، أما في حالة (الزفير) فيقلص الحجاب إلى أعلى فيحدث ضغط معين على الرئتين يكون كافياً لإخراج هواء الزفير. وتتم عملية الشهيق عندما يتمدد الحجاب الحاجز فيسحب الوتر المركزي إلى أسفل فيزيد القفص الصدري اتساعاً عمودياً في المقام الأول، فتتمدد الرئتان في تجويف القفص الصدري حين يتم تفرغهما نهائياً.

3.2.1. وظائفه في الكلام يتجلى دور الحجاب الحاجز في الكلام في عملية الضغط التي يقوم بها مع القفص الصدري - في وقت واحد - على الرئتين وتختلف درجة هذا الضغط باختلاف أجزاء الكلام وباختلاف الظروف النفسية..

2. القفص الصدري ويتكون من اثني عشر زوجاً من الأضلاع التي تنفوس إلى الأمام، والخلف وكلها متصلة من الخلف بالعمود الفقري، ومن الأمام بعظمة الصدر فيما عدا الزوجين الأسفلين وحركة الأضلاع تتجه من الشهيق إلى الأمام والجنب معاً، فتتمدد الرئتان ويتمدد الهواء فيهما، أما عند الزفير، فتتجه حركتها إلى الداخل ضاغطة مع الحجاب الحاجز على الرئتين للتخلص من هواء الزفير. ولا يخفى أن حركة الأضلاع مترامنة مع حركة -الحجاب الحاجز- لأن وظائفهما واحدة تقريباً.

1.2. وظائفه في الكلام

تضغط الأضلاع في عملية الكلام على الرئتين ضغوطات منتظمة بدرجات مختلفة وينتج عن كل ضغطة دفعة هوائية تنتقل إلى الدفعات الهوائية بمقدار عدد الضغوطات ووفقاً لصورة تعاقبها، وبناء على هذه العملية الفسيولوجية يقسم الكلام إلى أجزاء صغيرة هي التي اصطلح على تسميتها بالمقاطع، ولهذا نجد من العلماء من نهج في تعريف المقطع بالمنهج الفسيولوجي، حيث أنه نظر إلى تلك الدفعة الهوائية، فوجد أنه مع كل دفعة ينطق مقطع، والكلمة تشتمل على دفعات هوائية بعدد ما فيها من المقاطع، فالكلمة (يسعى) مثلاً عبارة عن دفعتين، إحداهما مع المقطع (يس) والثانية مع (عى) ومن هنا فإن المقطع عند هؤلاء: ضغطة صدرية أو دفعة هوائية أو نشاط نفسي.

وقد اختلف علماء الأصوات في النظر إلى المقطع، وبالتالي يختلفون في تعريفه فاعتمد بعضهم على دراسة الجهد المبذول لنطق مقطع معين، فوجدوا أن المقطع يبدأ بضغط عضلي يتصاعد إلى القمة ثم يهبط تدريجياً، واعتمد آخرون على دراسة نوعية المقطع فحدوده على

أنه "كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة المعنية".

ويعرفه آخرون على أنه مجموعة من الأصوات المتتابعة لها قيمة أو حد أقصى في الوضوح السمعي وهناك تعريفات عدة للمقطع.

1.1.2 الرئتان

جسم قابل للحركة، يتمدد وينكمش، وتتكون الرئتان مما يسمى بالحوصلات الهوائية والأنابيب الشعرية والشعبيات الهوائية تمتلئ جميعها بهواء التنفس، وهناك الجزء الأيمن والجزء الأيسر، وتتصل كل منهما بالشعبة التي توصلها بالقصبه الهوائية، ومن ثم فهناك الشعبة اليسرى.

والحركة التي تحدث في الرئتين نابعة من ذاتها بحيث يتحرك الجزءان عن طريق محرك والحجاب الحاجز والقفص الصدري وهذه الحركة هي التمدد والانكماش وهي تتم على أساس فكرة (تعاادل الضغط الداخلي مع الضغط الخارجي).

فعندما تتباعد الأضلاع متجهة إلى الأمام والجنب، ويتقلص الحجاب الحاجز إلى أسفل البطن يتسع التجويف الصدري، فتتمدد الرئتان كما يتمدد الهواء داخلهما، فيصبح ضغط الهواء في الرئتين أقل من الضغط في الخارج ويترتب على ذلك اندفاع الهواء عن طريق الفم أو الأنف إلى الرئتين حتى يتعادل الضغط وبذلك تتم عملية الشهيق وعندما تعود الأضلاع والحجاب الحاجز إلى الوضع الأول تضغط الأضلاع على سطح الرئتين كما يضغط الحجاب الحاجز أيضا على الرئتين من أسفل- فيضيق التجويف الصدري، ويترتب على هذا زيادة الضغط في الرئتين عن الضغط الخارجي فيندفع الهواء من الرئتين خارجا حتى يتعادل الضغطا ن وحينئذ تتم عملية الزفير.

إذن فإن عملية التنفس هي تبادل للغاز والطاقة بين الكائن الحي والبيئة، يتم بمقتضاها استبدال ثاني أكسيد الكربون بالأكسجين وتتكون دورة التنفس من عمليتين تتمان بالتتابع هما الشهيق والزفير [10]ص(82)

ويصل عدد دورات التنفس في الدقيقة إلى 12 دورة عند الذكر البالغ وتختلف هذه الكمية اختلافا طفيفا حسب الجنس، إذ تزيد إلى 17 و18 دورة عند الأنثى. [10]ص(82) وإذا علمنا أن الكلام يتم أساسا في طور الزفير توقعنا أن توزيع المدة بين العمليتين يختلف أثناء الكلام عنه أثناء التنفس الهادي أو العادي، وباستطاعة الإنسان التحكم في هذه النسبة حتى تصل إلى نسبة الوقت المخصص إلى 85% من مدة دورة التنفس [10]ص(82) ولكي نوضح الصورة أكثر ارتأينا أن نوضح العلاقة الموجودة بين التنفس والكلام.

2.1.2 التنفس والكلام

ثمة عدد قليل من الأصوات المستخدمة في لغات البشر يتم إصدارها أثناء الشهيق فالكلام غالبا ما يتم في عملية (الزفير) [10]ص(85) ، ويلاحظ أن زمن الشهيق مساو تقريبا لزمن الزفير، في وضع الراحة وفي حالة الصمت، ويطول زمنه (الزفير) عندما يقوم الجسم بمجهود شاق، وفي أثناء عملية الكلام، ويكون هذا الطول واضحا في حالات خاصة كما هو الحال عند قراءة القرآن الكريم، وفي الكلام العادي عندما تطول الجملة. [11]ص(36)

وهواء الزفير الذي يحدث معه الكلام لا يخرج مجردا منسابا، وإنما تعترض طريقه عقبات معينة من أعضاء النطق، بواسطتها يتكون النطق.

فإذا أردنا أن ننطق صوتا (كالكاف) مثلا فإن هواء الزفير يخرج من الرئتين نتيجة الضغط الواقع عليها من الأضلاع والحجاب الحاجز، ثم القصبة الهوائية فالحنجرة فالحلق دون أن يعترضه عائق، وفي أقصى الفم يلتقي مؤخر اللسان بمؤخر سقف الحنك، فيغلق الممر غلقا محكما يعقبه انفجار مسموع هو صوت (الكاف) ونقطة الالتقاء هذه تعرف (بمكان نطق الكاف) وقد تعارف عليها القدماء بالمخرج، وهكذا تكون الأصوات الكلامية في جهاز النطق. وقد صور لنا أسلافنا عملية إنتاج الأصوات في جهاز النطق بعملية العزف على الناي أو العود، فالوتر كالحلق، والضربة الأولى على وتر العود كانطلاق الهواء من الحلق، وما يعترض صوت العود من الضغط والحصص بالأصابع كالذي يعترض للصوت في المخارج واختلاف الأصوات الموسيقية في العود كاختلافها في جهاز النطق، وإذا وضع الموسيقي أنامله على فتحات الناي وراوح بين أنامله، اختلفت النغمات، وسمع لكل فتحة نغمة لا تشبه الأخرى، فكذا إذا اعترض الهواء في فتحة الحلق أو الفم عوائق، فإننا نسمع أصواتا مختلفة، فجهاز النطق كالناي وفتحات الناي كالمخارج في جهاز النطق، والتقاء أعضاء النطق كالتقاء أصابع اليد بالفتحات [4]ص(36)

وفي هذا الخصوص نورد كلام الدكتور نايف فيها إذ يقول: فليس الكلام في واقع الأمر إلا اعتراضا لسبيل الهواء الفاسد المطرود من الرئتين والمشحع بثاني أكسيد الكربون في أثناء صعوده في المجاري الهوائية، واستغلال هذا الهواء الفاسد أفضل استغلال، وهذا لا يكلفنا الكثير من العناء، فالهواء الفاسد لم يعد ينفع الجسم وهو خارج منه... وكل ما نفعله هو أن نعترض سبيله إما عند الحنجرة أو ما فوقها حتى الأسنان والشفيتين، ونضع منه معجزة الكلام التي وهبها الله لنا" [12]ص(254).

وأول منطقة أو نقطة يتم فيها اعتراض تيار الهواء المضغوط هو تجويف المزمار في الحنجرة أي المنطقة الواقعة بين الوترين الصوتيين، وهناك يتخذ الوتران الصوتيان أوضاعا مختلفة ينتج عنها بطبيعة الحال أصوات مختلفة ومن أهم هذه الأوضاع -إن لم يكن أهمها- اعتراض مجرى الهواء بالإغلاق والفتح المتتابعين، وبذلك ينطلق الهواء من فتحة المزمار على هيئة دفعات متتابعة يهتز معها الوتران الصوتيان، مما يؤدي إلى مرور نغمة الحنجرة [10]ص(87) وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا في التشریح الوظيفي للحنجرة ثم للتجاويف والأعضاء الواقعة فوقها.

3.1.2 الحنجرة

تقع فوق القصبة الهوائية وأسفل الفراغ الحلقوي وتشبه في شكلها وحجمها الصندوق الصغير وتتكون من غضاريف أشهرها:

غضاريف القصبة الهوائية.

الشعبة اليسرى.

النسيج الضام بين حلقات القصبة الهوائية.

الشعبة اليمنى.

الشعبيات.

فالحنجرة إطار من الغضاريف يرتبط بعضها ببعض بمفاصل وأربطة وأغشية، وتعد الأغشية المبطن للحنجرة امتدادا للأغشية المبطنة للبلعوم من الأعلى، والقصبة الهوائية من أسفل، وتقوم مجموعة من العضلات الدقيقة بتحريك غضاريف الحنجرة ويؤدي ذلك إلى حدوث تغيير في العلاقات المتبادلة بين هذه الغضاريف والتأثير بطرق مختلفة على تيار الهواء الناتج عن عملية التنفس [10]ص(87)

وتقوم الحنجرة بوظيفتين أساسيتين، فهي تقوم أولا بدور الصمام الذي يحمي ممر الهواء من تسلل أي جسم غريب إليها أثناء البلع، كما تقوم ثانيا بوظيفتها بوصفها العضو الأساسي في علبة التصويت.

ولوصف الحنجرة وتشرحها لا مانع من تقديم تفصيلا مختصرا عن ذلك، فالهيكل الغضروفي يتكون من ثلاثة غضاريف فردية وثلاثة غضاريف زوجية، والغضاريف الفردية هي:

2.2 الغضروف الدرقي وهو أكبر غضاريف الحنجرة ويشبه في شكله العام الرقم (7) وإذا نظرت إليه من أعلى فتكون الناحية المفتوحة إلى الخلف، ويرى رأس الزاوية واضحا عند الرجال وهو ما يسمى (بتفاحة آدم) ولكنه ليس واضحا عند النساء، وهو مفتوح من أعلى كما هو مفتوح من الخلف.

1.2.2 الغضروف الحلقي يقع أمام الفقرة الصدفية السادسة فيما بين الغضروف الدرقي والقصبة الهوائية ويشبه الغضروف الحلقي في تكوينه العام خاتما ذا فص عريض من الخلف، وتغطي الأغشية المخاطية من الداخل جميع جدران الغضروف الحلقي، وتشكل امتدادا للأغشية المبطنة للبلعوم من أعلى، والقصبة الهوائية من أسفل، ويمتاز الجزء السفلي للغضروف الحلقي باتجاهه الأفقي تقريبا ويعتبر محيط الحنجرة وقاعدة لها.

2.2.2 لسان المزمار أعلى غضاريف الحنجرة، وهو عبارة عن غضروف مطاط يشبه ورقة الشجرة ويقع في مقدمة الحنجرة، وخلف جذر اللسان مباشرة، ويقوم لسان المزمار بدور الحاجز بين الهواء والغذاء أثناء البلع، وذلك باندفاعه إلى أسفل تبعا لحركة جذر اللسان والعظم اللامي ليغلق مدخل الحنجرة ويمكن للسان المزمار أن يسهم في تكييف الرنين بما يحدثه من تغيير في حجم فراع الحنجرة. ويمكن للسان المزمار أن يسهم في تكييف الرنين بما يحدثه من تغيير في حجم تجويف الحنجرة، أما أهميته بالنسبة للتصويت (أو الجهر) فلا تزال موضع نظر [10] ص(93.92) أما الغضاريف الزوجية فهي:

3.2.2 الغضروف الهرمي يقع على قمة الصفيحة الحلقية ويتخذ شكل هرم في ثلاث أسطح وتشتمل قاعدة الغضروف الهرمي نتوعين أحدهما من الأمام ويسمى النتوء الصوتي لاتصاله بالوترين الصوتيين، والثاني خلفي ويسمى النتوء العضلي حيث تنغرز فيه معظم العضلات المحركة.

أ - الغضروف المقرن.

ب - الغضروف الوتري:

يوجدان عند النهاية العليا للغضروف الهرمي وليس ثمة دليل حاسم على أنهما يشاركان في إصدار الكلام

[10] ص(63) بشكل مباشر وهناك مفاصل الحنجرة التي تقوم بدور أساسي في عملية التصويت وأهمها المفصل -الورقي- وباستخدام هذا المفصل، يدور الغضروف الحلقى حول محور دوران أفقي مستعرض، ويترتب على هذا الدوران تطويل الوترين الصوتيين وزيادة توترهما أو تقصيرهما وارتخاؤهما، وهناك المفصل الحلقى -الهرمي- الذي يستعمل لمساعدة المفصل السابق ومجموعة من الأربطة على قيام الغضروفين الهرميين بهذه الحركات إلى تغيير أوضاع الوترين الصوتيين فبإمكانهما أن يتحركا متباعدين إلى جانبي فراغ الحنجرة، أو يتحركا في اتجاه فظ الوسط، كما أن في إمكانهما أن يتحركا إلى الأمام وإلى الخلف. [10 ص(93)

3.2. الحبال الصوتية: (الوتران الصوتيان)

هما شريطان عريضان يمتدان أفقيا من الخلف، حيث يتصل كل منهما بالغضروف الهرمي إلى الأمام، حيث يلتقيان في الزاوية الداخلية منهما بالغضروف الدرقي وبين هذين الشريطين فتحة تسمى (فتحة المزمار) ويتنوع شكلها وحجمها تبعا لأوضاع هذين الشريطين. والوتران الصوتيان ليسا بصورة واحدة عند جميع الناس، وإنما يختلفان من ناحية السمك والحجم، ودرجة توترهما، فهما عند النساء والأطفال، أرفع سمكا وأقصر طولا، وأكثر توترا، على حين أنها عند الرجال أغلظ وأطول وأقل توترا لهذا كان عدد اهتزازهما عند النساء والأطفال أكثر منه عند الرجال، الأمر الذي جعلنا نحس نحو صوت النساء بأنه أرفع وأكثر حدة وكذلك الأطفال. [9] ص(48)

ويقوم الوتران بوصل الفراغ الحلقى بالقصبة الهوائية، كما يقومان أيضا بغلق هذا الطريق وفتحه، بصورة دقيقة وقت الحاجة، فيفتحانه عند الشهيق والزفير، بدرجة معينة، كام يغلقانه عند بذل الطاقة مثلما يحدث إذا رفع الإنسان شيئا ثقيلًا، أو عند ممارسة الرياضة، (رفع الأثقال) فإنه يتطلب من الشخص أن يغلق الوترين لكي يزيد الضغط تحتها، وبمقدار تحكم الشخص وقدرته على الاحتفاظ بقوة ضغط كبيرة تحت الحنجرة، تكون قدرته على رفع أثقال كبيرة.

ويتخذ الوتران الصوتيان أوضاعا كثيرة في حالات كثيرة كالشهيق والزفير والكلام... وهذه أهم الأوضاع:

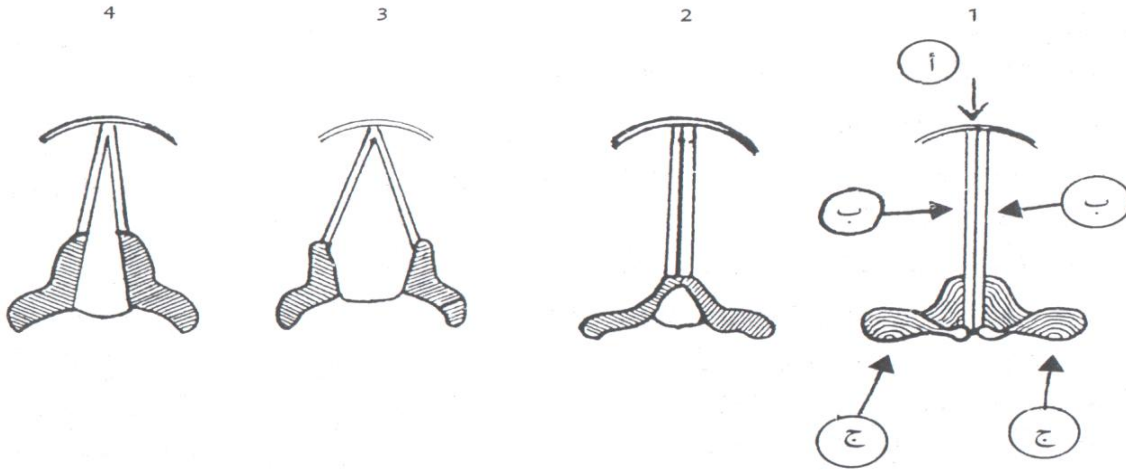
1.3.2 وضع الغلق

ذكرنا في السابق أن الغضروفين الهرميين هما المتحكما في حركة الوترين الصوتيين وقد يحدث أن يظل الغضروفان الهرميان في مكانهما الطبيعي متجاورين، فيترتب على ذلك

اقتراب الوترين اقترابا ينتج عنه غلق الممر غلقا محكما، فيتزايد ضغط الهواء تحتها إلى درجة يرغم معها الوتران إلى الابتعاد، فيحدث الانفجار الذي نسمع معه صوت "الهمزة" [9]ص(65) ويلاحظ أن الغلق في هذه الحالة يكون على طول الوترين ويسمى بعض علماء الأصوات هذه العملية "بالوقفة الحنجرية" أو "همزة القطع" ويبدو أن التسمية العربية قد لاحظت تلك السمة البارزة في عملية النطق بهذا الصوت، وهي قطع النفس. [10]ص(126)

2.3.2 وضع الاهتزاز

قد يصدر الأمر للوترين الصوتيين فيقتربان لدرجة يغلق معها الممر -كما في الحالة السابقة- غير أن المنطقة التي تتوسط الوترين يكون اتصالها ضعيف لا يقوى على حبس الهواء تحت الحنجرة بالصورة التي رأيناها في الوضع السابق، ولذلك فإن هذا الاتصال يسمح للهواء بالمرور وخروج الهواء، ويوصف الصوت المنطوق في هذه الحالة بالاهتزاز أو الجهر وهذه الصفة تحدث لأصوات لغوية عديدة، كما في العربية -مثلا- بالنسبة لصوت كالعين والزاي والباء... كما هو في الشكل الآتي:



الشكل: [1] [10]

- 1 - الغضروف الدرقي.
- 2 - الوتران الصوتيان.
- 3 - الغضروف الهرمي.

2.3.2 وضع الهمس أو عدم الاهتزاز

وقد يكون الأمر الصادر للوترين بالابتعاد ليصبح الممر مفتوحا فيبتعد الغضروفان الهرميان كل منهما عن الآخر، فيترتب عن ذلك ابتعاد الوترين الصوتيين كل منهما عن الآخر كذلك،

فتتكون فتحة على شكل مثلث متساوي الساقين قاعدته الغضروف الحلقى ورأسه الزاوية الداخلية للغضروف الدرقي، ويخرج الهواء من هذه الفتحة دون أن يعترض طريقه عائق، ويوصف حينئذ بأنه هواء غير مهتز أو بأنه مهموس، وهناك أصوات لغوية يأخذ الوتران معها هذا الوضع فتوصف بأنها مهموسة وذلك كما في العربية مثل السين والصاد والطاء... والملاحظ أن اللغويين يتفقون على أن هذا الوضع يقارب إن لم يتفق مع وضع الأوتار

الصوتية في حالة التنفس العادي وهو وضع الانفتاح والانفراج. [13] ص (127) المهم أن الوتران يتقاربان فيضيق فراغ المزمار، فيزداد ضغط الهواء الخارج حينئذ من خلال هذا الفراغ الذي يجعله عرضة للتأثر بأدنى تدخل فيما فوق الحنجرة ويستجيب لأي تطبيق في موضع من مواضع النطق المختلفة فيحدث في هذا الموضع، أو ذاك الحفيف المسموع الذي نسميه صوتا احتكاكيا مهموسا. [14] ص (77)

3.3.2 وضع الجهر أو التصويت

يتضام الوتران الصوتيان أو ينطبقان انطباقا جزئيا بحيث يسمح للهواء المندفع من خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بسرعة وانتظام فائقين، ومن ثم ينتج ما تعرف بذبذبة الأوتار الصوتية وهي ذبذبة تحدث نغمة موسيقية تختلف في الدرجة والشدة وتعرف هذه النغمة في اصطلاح رجال الأصوات بالجهر، كما تسمى الأصوات التي تصحب هذه النغمة بالأصوات المجهورة. ولإنتاج نغمة الجهر يلتقي الوتران الصوتيان بكامل طولهما التقاء تاما، ولكن دون توتر ويتم التقاؤهما على خط الوسط في فراغ الحنجرة قبل البدء في التصويت، وبهذه الطريقة يعترضان طريق هواء الزفير ولكنهما لا يمتنعان تيار الهواء الصاعد ولا يحول التقاؤهما هذا بينهما وبين الاستجابة بالاهتزاز نظرا لعدم تصلبهما ويترتب على هذا أن يتبادل الوتران الصوتيان فتح فراغ المزمار وقفله لفترات قصيرة جدا وتعتمد استجابة الوترين الصوتيين بالاهتزاز على عوامل منها ضغط الهواء، ومرونتهما، وانتظام هامشيتهما بدرجة كافية حتى يكونا متوازيين توازيا دقيقا عند تقاربهما، وقد لوحظ أنه عند إغلاق الوترين الصوتيين لفراغ المزمار أثناء الجهر يكون هامشاهما حادين وسطحهما العلوي مستويا، كما يتقوس سطحهما السفلي، ويعتقد أن هذه التغيرات الطارئة عليهما أثناء التصويت تجعل انفتاحهما أمام ضغط الهواء أكثر يسرا. [10] ص (109)

هذه الأوضاع السابقة إنما تحدث للوترين الصوتيين في أثناء الكلام (عملية التكلم) مما يوضح لنا دور الوترين في ذلك، فهما إما: أن يغلقا الممر غلقا محكما يعقبه انفجار يسمع معه صوت الهزمة، أو يغلقا الممر غلقا كاملا، فيما عدا المنطقة الوسطى فإن الوترين فيهما يهتران

فيخرج الهواء مهتزاً وذلك مع الأصوات المجهورة، وإما أن يفتح الممر دون تدخل منهما فيخرج الهواء دون أن يهتز وذلك مع الأصوات المهموسة، وهناك وضعان يتخذهما الوتران في غير حالة الكلام وذلك مع التنفس:

- فراغات ما فوق الحنجرة: التجاويف المزمارية وهي الحلق، تجويف الفم، تجويف الأنف.

3.الحلق

هو الفراغ الذي يبدأ مع سطح الحنجرة وينتهي من الأمام بفتحة الضم (من الداخل) ومن أعلى بفتحة الأنف أو بداية التجويف الأنفي، والحلق: تجويف يشبه الأنبوبة أو القناة تقع بين الفم والأنف وبين الحنجرة والمريء، ولذا يسمى أحيانا بالتجويف الحلقى، وقد جرى العلماء على تقسيم الحلق إلى ثلاثة أقيام:

1.3الحلق الحنجري نسبة إلى الحنجرة من حيث أنه يبدأ من سطح الحنجرة حتى جذر

اللسان ويكاد يمثل ثلث الحلق كله.

1.1.3الحلق الفمي نسبة إلى الفم وهو الجزء الذي يقابل منطقة الفم بما في ذلك

اللسان.

2.1.3الحلق الأنفي نسبة إلى الأنف وهو الجزء الذي يقابل اللهاة وأول الفراغ الأنفي

انظر[9]ص (63)

ويطلق على الحلق اسم البلعوم أما عن وظيفته في الكلام فنتضح في أنه يستغل بوصفه مخرجاً للأصوات الحلقية في اللغة العربية، مثل صوت العين وصوت الحاء، كما يستغل بوصفه غرفة من غرف الرنين التي تتعرض لنغمة الحنجرة بالتكيف والتعديل بوسائل شتى من الترشيح والتقوية والرنين [10]ص (144) وعلاوة على هذا فإن الحلق مكان لنطق أصوات كلامية معينة تنسب إليه فيقال أصوات الحلق أو أصوات حلقية.

كما أن للقدرة الفائقة للحق في تغيير شكله، من حيث كونه أحد أهم تجاويف الرنين التي تتعرض لنغمة الحنجرة، وتمتاز اللغة العربية عن كثير من اللغات الأخرى باستخدامها لتجويف الحلق كمخرج لبعض الأصوات التي تمثل صوتيمات في نظامها. [10]ص(123)

4اللسان

عضلة تشغل فراغ الفم، وهو معقد في تركيبه، ومن حيث إنه يتكون من مجموعات عضلية وعصبية متقاطعة ومتداخلة ويوجد في اللسان نهايات العصب المسؤول عن التذوق، وهو

أعظم أعضاء النطق مرونة وقدرة على تنويع الحركة، وذلك بفضل العدد الكبير من العضلات التي تقوم بتنشيطه [10]ص(135)
وقد قسم العلماء اللسان إلى عدة أقسام:

أ - مؤخر اللسان أو أقصاه.

ب - وسط اللسان.

ت - مقدم اللسان.

ث - طرف اللسان أو ظبته.

ولكل جزء من هذه دور في إنتاج الكلام كما سيأتي ذكره.

1.4 حركة اللسان

واللسان من أكثر أعضاء النطق حركة ومرونة، وذلك بفضل المجموعات العضلية التي يتكون منها، فلكل مجموعة وظيفتها الخاصة بتحريك اللسان حركة معينة في اتجاه معين، ولهذا فإن اللسان يتحرك إلى الأمام وإلى الخلف وإلى أعلى وإلى أسفل وإلى أي اتجاه ممكن، كما يمكن تحريك أجزاء معينة معه حركة مستقلة فيتحرك مؤخره ووسطه ومقدمه وطرفه وجانباه.

1.1.4 وظيفته في الكلام

إذا كان الحلق يمثل صندوق رنين خلفي فإن تجويف الفم يمثل هو الآخر صندوق رنين أمامي، واللسان من أبرز الأعضاء التي تتحكم في صنع هذا الصندوق الأمامي بمعنى أنه يغير في شكله وحجمه وطوله فعندما يرتفع إلى مؤخر نصف الحنك مع الحركة (O) أو الضمة في العربية يضيف الممر ليفصل بين صندوق رنين خلفي وآخر أمامي: يشغل فراغ الفم كله بما في ذلك بروز الشفتين وهناك صورة أخرى لصندوق رنين آخر يصنعه اللسان مع الحركة (I) أو الكسرة في العربية وذلك حين يرتفع مقدم اللسان إلى ما يقابله من الحنك الأعلى صانعا ممرا ضيقا يبدأ منه حتى الشفتين صندوق رنين أمامي.

وهكذا يضع لنا اللسان -بمرونته وقدرته على الحركة المتنوعة- عددا كبيرا من صناديق الرنين المختلفة في أشكالها وأحجامها، وأطوالها مع الأصوات المختلفة ولذا كانت النغمات أو المكونات النغمية للأصوات مختلفة باختلاف تلك الصناديق.

يضاف إلى هذا أن اللسان يشارك في إنتاج أصوات عديدة كالفاف والحاء والغين والكاف والجيم... كما يسهم في عملية التفخيم أو الإطباق، وذلك بتراجعه نحو الطبق أو الحنك اللين، ويسهم أيضا في تعديل وتكييف تيار الهواء في أثناء النطق بالحركات كما أسلفنا. [5]ص(14)

5. الحنك

يشكل سقف الحنك أعلى تجويف الفم، وهو ليس ذا طبيعة واحدة ففيه أجزاء صلبة غير متحركة وأخرى لينة قابلة للتحرك، وينتهي سقف الحنك من الأمام بالأسنان العليا، ومن الخلف باللهاة، وقد قسمه علماء الصوتيات إلى:

1.5. مقدم الحنك وهو المنطقة التي تبدأ من أصول الثنايا العليا بما في ذلك اللثة وتنتهي بانتهاء الجزء المحرز.

1.1.5. سقف الحنك الجامد أو وسط الحنك وهو ذلك الجزء الصلب الذي يلي المنطقة السابقة حتى بداية الجزء اللين.

1.1.1.5. صفاق الشجر أ مؤخر سقف الحنك وهو الجزء اللين الذي يلي سقف الحنك

الجامد، حتى ينتهي باللهاة، ويكاد يمثل ثلث سقف الحنك كله. انظر [15]ص(134)
وحركة سقف الحنك تتمثل في الحنك اللين ومعه اللهاة، فهما اللذان يتحركان إلى أسفل أو إلى أعلى فيضيق الممر أو يغلق، وتتمثل وظيفة سقف الحنك في الكلام حيث يقوم مع قاع الفم بتشكيل التجويف الفموي، وهو الفراغ المهم بالنسبة لأصوات الكلام من حيث إنه مجال لتكون فراغات رنينية متنوعة في أشكالها وأحجامها.. وهو الأمر الذي يسهم في تمييز الأصوات واختلافها، وهذا كله إنما يتحقق بواسطة سقف الحنك مع اللسان.
وعلاوة على هذا فإن سقف الحنك يشكل مع غيره من الأعضاء مخارج لأصوات عديدة من الأصوات الكلامية. [5]ص(18)

حيث أن أصوات "الكاف والحاء والغين هي أصوات تخرج من الحنك اللين كما يقوم بدور التفخيم أو الإطباق، ويشترك في ذلك مع سطح مؤخر اللسان كما يقوم بتعديل التضيق الذي يصنعه سطح مؤخر اللسان في بعض مواضعه فيميز بين الأنواع المختلفة من الحركات. انظر [15]ص(18)

6. اللهاة

هي الجزء الذي يمثل نهاية سقف الحنك الشجري (اللين)، ويقع بين التجويف الأنفي وتجويف الفم، وتمتاز اللهاة من سقف الحنك من حيث الحجم واللون، ومن حيث مرونتها وقدرتها على الحركة.

بحيث تتجه اللهاة في حركتها إما إلى أعلى حين تنقلص وتتوتر فيترتب على ذلك غلق الطريق بين الحلق والأنف فيضطرب هواء الزفير الخارج من الرئتين إلى التسرب من الفم... وإما إلى أسفل فتتبعه عن الجدار الخلفي للحلق، فيفتح الطريق إلى التجويف الأنفي وعن طريقه يتسرب الهواء عبر الأنف. [5]ص(19)

وتقوم اللهاة بعدة وظائف صوتية، فقد تشترك مع مؤخر اللسان في اعتراض الهواء القادم من الحنجرة اعتراضاً تاماً، ينتج صوتاً انفجارياً هو القاف العربية وتسهم مع الحنك اللين ومؤخر اللسان في إغلاق فراغ الفم مع السماح للهواء بالانطلاق عبر فراغات الأنف لينتج الصوت الأنفي. [14]ص(85)

كما يتجلى دور اللهاة في الكلام في أنها حينما ترتفع إلى أعلى تغلق طريق الفم فيخرج الصوت عن طريق الخياشيم ذلك ما يحدث مع الأصوات الكلامية العربية عدا الميم والنون... يضاف إلى هذا أن اللهاة مع مؤخر اللسان مخرج لبعض الأصوات اللغوية كالكاف والقاف. وإذا حدث خلل في حركة اللهاة يمنع من غلق التجويف الأنفي غلقاً محكماً خرج الهواء من الأنف، فيحدث العيب النطقي الذي يسمى بالتأنف وتعرفه العامة عندنا بالـ (الخن). وهناك من يرجع هذا العيب إلى وجود تورم في تجاويف الأنف أو انكماشها مما يؤثر على الرنين الصادر عنها، وعلاجها حلقة مهمة في مجال علاج أمراض الكلام [10]ص (129)

7. الأسنان

يحتوي الفم على مجموعات من الأسنان هي:

7.1 القواطع وعددها ثمانية أربع منها في المقدمة (الفك الأعلى) وأربع أخرى في مقدمة

الفك الأسفل، ووظيفة القواطع قطع الطعام وقضمه.

7.1.1 الأنياب وهي أربعة اثنان في الفك الأعلى ومثلها في الفك الأسفل ووظيفتها

تمزيق الطعام.

7.1.1.1 الأضراس وعددها عشرون ثمانية منها أمامية عبارة عن اثنتين بعد كل ناب

من الأنياب الأربعة وهي عريضة وبكل منها نتوءان بارزان واثنان عشر منها خلفية وهي

عريضة و غليظة بكل منها أربعة نتوءات وبهذا يكون مجموع أسنان الإنسان اثنين وثلاثين.

والأسنان من أعضاء النطق الثابتة فهي لا تتحرك من مكانها، إنما الذي يتحرك في أثناء الكلام هو الفك السفلي.

وللأسنان دور هام في ما يتصل بصناديق الرنين ويمكننا أن نرى الفرق في صوت إنسان عند وجود أسنانه كاملة وبعد خلعها أو خلع بعضها وبخاصة بالنسبة للأسنان الأمامية، كما أن النتوءات البارزة في الأسنان والأضراس تشكل مع بقية أجزاء السطح تجاويف صغيرة هي بمثابة صناديق رنين.

ويضاف إلى هذا أن الأسنان مع اللسان والشفيتين مخرج لبعض الأصوات الكلامية، فالفاء العربية مثلا تنطق من أطراف الثنايا العليا وباطن الشفة السفلي... وهكذا.

8. الشفتان

عبارة عن شريطين عريضين يشكلان فتحة الفم، وبما مجموعة من العضلات المتصلة بعضلات الوجه وعضلات الذقن وهذه المجموعات يبرز دورها في حركة الشفتين، هذا ما يؤثر في نوع الأصوات وصفاتها ويظهر هذا التأثير بوجه خاص في نطق الأصوات المسماة بالحركات (الصوائت)، ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع ببسر وسهولة، تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ثم تنفجران فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا كما في نطق الباء. 14]ص (96)

وبما أن الشفتان من أكثر أعضاء النطق مرونة وحركة فإن لها أوضاعا مختلفة نذكر منها:

1.8 وضع الغلق تنقبض عضلات الذقن فترتفع الشفة السفلي حتى تلتصق بالشفة

العليا، فيغلق الفم غلقا كاملا لا يسمح للهواء بالمرور.

1.1.8 وضع الاستدارة عن طريق العضلات المختلفة تلتقي الشفتان النقاء معينا

تتكون معه فتحة على شكل دائرة تقريبا، ولكن مع بروز معين للشفتين.

28 وضع الانفراج: عن طريق العضلات المحيطة بالفم يتم جذب الشفتين إلى الجانبين،

فيبعد كل من الشدقين عن الآخر فتتسأ فتحة مستعرضة بين الشفتين اللتين يكون سمكها حينئذ رفيعا.

1.1.1.8 وضع الحياء ويحدث هذا الوضع عندما تتحرك الشفتان تحت تأثير انخفاض

الفك الأسفل، أي لا يكون للعضلات السابقة في (أ، ب) في تحريك الشفتين هنا، وحينئذ

تتكون فتحة لا هي المستديرة ولا بالمنفرجة وإنما هي بين بين [14] ص (67)

وتختلف عادات البشر في استغلال حركة الشفتين، والانتفاع بهما فمن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة حركة الشفتين، ومنهم من يقتصد في ذلك، ومن الممكن أن تصنع الشفتان مرنا رابعا إلى مرنان الحلق، والفم، والأنف. وبذلك يتعدل أثر التجويف الفموي بما يمكن أن نطلق عليه تأثير الشفوية.

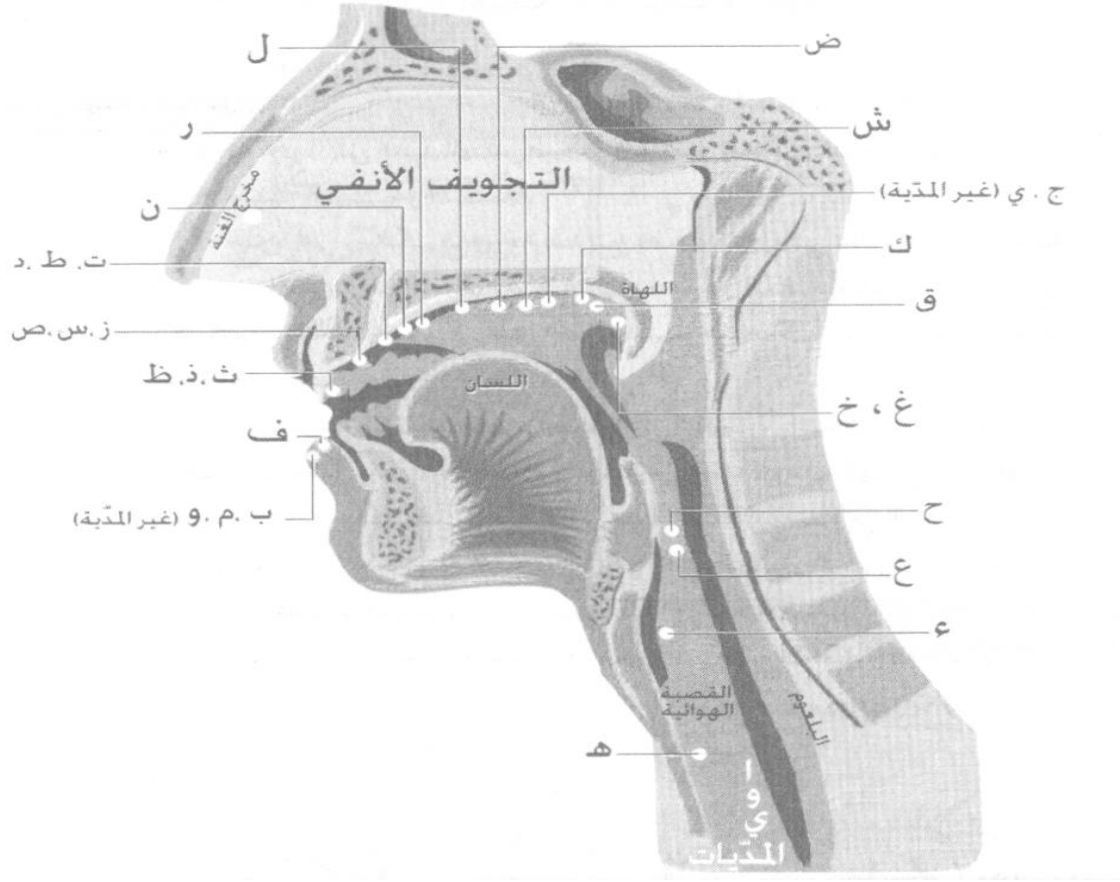
وللشفتين دور ملحوظ ومهم في أثناء الكلام، فإليهما يرجع الأثر الفعال في صناديق الرنين أو بمعنى أدق في صندوق الرنين الأمامي للأصوات من حيث حجمه وشكله وطوله، فهو مع الحركة (I) أو الكسرة العربية غيره مع الحركة (O) أو الضمة بالعربية، فهو مع الأولى قصير بسبب انفراج الشفتين، ومع الثانية طويل بسبب بروز الشفتين إلى الأمام. والشفتان لهما دورهما وحركتهما الخاصة مع أصوات الحركة (الصوائت) الأمر الذي قسمت الحركات على أساسه إلى حركات مستديرة وحركات مستطيلة...

9. التجويف الأنفي

يقع هذا التجويف فوق الحلق الأنفي وينتهي بفتحتي الأنف، ويتكون من فراغات مقسمة بدورها إلى قنوات، وتعرف هذه الفراغات (بالفراغات الأنفية) وهي في أول التجويف الأنفي من جهة الحلق، يلي هذه الفراغات مجموعات من الفراغات التي تعرف باسم (الجيوب الأنفية) وتشمل الجيوب الأنفية الفراغ الجبهي الذي يوجد تحت الحاجبين والفراغ الوتدي الذي يوجد تحت عظمة الوجنتين والفراغ اللحمي الذي يوجد في جسم الفكين. [10] يتصرف وهكذا يتضح أن التجويف الأنفي بكل ما فيه معقد التركيب وليس للتجويف الأنفي قدرة على الحركة، كما أنه لا يتصل بأعضاء تجبره على التحرك ولذا فهو من الأعضاء الثابتة، ولا يتغير حجمه، فهو فراغ ثابت الشكل والطول [10] يتصرف

وتتجلى وظيفة التجويف في الكلام بحيث يستغل كصندوق للرنين مع بعض الأصوات وهو مخرج لأصوات معينة كبعض الحركات في اللغة الفرنسية كالميم والنون في العربية. وبعد هذا الوصف لبعض أعضاء النطق، ووظيفتها الحيوية والكلامية واللغوية أردنا به التعريف بأعضاء النطق حتى نستطيع تصور ما يحدث من تلك الأعضاء بالمسبة لمخارج الأصوات وصفاتها وبالنسبة للظواهر الصوتية واللغوية، وأن اختلال بعضها قد يؤثر على الأداء الكلامي مما يسبب إعاقة أو عيبا كلاميا.

رسم توضيحي لمخرج الحروف



الشكل: 02 [10]

1. جهاز السمع

إن الجانب الثاني من جانبي (فسيولوجية الأصوات) هو الجانب السمعي فلما كانت الأصوات تتكون في جهاز النطق وهو ما دعا إلى التعرف على أعضاء ذلك الجهاز، فإن هذه الأصوات بعد نطقها تتحول إلى اهتزازات أو ذبذبات ينقلها الوسط الناقل، فتستقبلها الأذن، وفيها يتم التعرف على الذبذبات وإدراك الأصوات لهذا كان من تنمة هذا المبحث (فسيولوجية الأصوات) أن نتناول الجهاز السمعي الذي يتمثل في الأذن.

فالأذن وسيلة طبيعية لاستقبال الصوت وسماعه، وتركيبها معقد، لكننا سنذكر أهم الأجزاء المكونة لها، والتي لها دور رئيسي في عملية السمع، والتي بدونها لا تتم عملية التواصل اللغوي فعليا:

1.1 أعضاء السمع ووظائفها

1.1.1.1 الأذن الخارجية

وتتكون من أجزاء هي: الصيوان والصماخ والطبلة التي هي غشاء رقيق له قدرة على التجاوب لأي ضغط أو اهتزاز.

فالصيوان هو طية ثابتة عند الإنسان تشبه القمع وتقوم بدور التقاط الصوت وتوجيهه المجرى الصوتي إلى الممر السمعي.

أما الصماخ، وهو ممر سمعي يشبه الأنبوب الاسطوانى يبلغ طوله خمسة وعشرون سنتيمترا تقريبا وقطره ما بين ستة وثمانية ملمتر. [16]ص(52)

هذا وتقوم الأذن الخارجية علاوة على عملية التقاط موجات الأصوات ونقلها -إلى طبلة الأذن- بدور حجرة الرنين كذلك، وعلى الأخص في الممر السمعي منها، فهي تضخم بما يعادل الضعف الصوت الذي تقع ذبذباته بين 2000 و 5000 هرتز . [17]ص (142)

2.1.1.1 الأذن الوسطى

هي عبارة عن فراغ يبدأ من طبلة الأذن، ويشمل على عظيمات ثلاث تعرف عادة بالمطرقة والسندان والركاب، وللمطرقة قاعدة متصلة بغشاء طبلة الأذن ورأس يلتقي برأس السندان كما تتصل السندان بالركاب وفي أصل هذه الأذن توجد قناة (ستافير) التي تصل الأذن بالحلق الأنفي، ويدخل الهواء عن طريقها إلى الأذن، وبذلك يكون هناك تساوي بين الضغطين الداخلي والخارجي بتعادلها يمكن لغشاء الطبلة أن يستجيب لأي اهتزاز، بتوترات تقع بين 16 و 16000 هرتز [17]ص(142)

3.1.1 الأذن الداخلية

عبارة عن تجويف مقسم إلى قسمين: أعلى وفيه قنوات غير كاملة الاستدارة عرفت (بالقنوات الهلالية) وتقوم بحفظ توازن الرأس، وأسفل خاص بعملية السمع، وفيه ذلك الجسم الحلزوني التركيب، الذي يعرف (بالقوقعة).

وتشمل القوقعة على قنوات ثلاث: قناة الطبلة، وقناة الدهليز، والقناة القوقعية التي تتوسط القناتين الأولى والثانية، وتضم القناة القوقعية عضو (الكورتي) وفيه أهداب العصب السمعي، وهذه القنوات مملوءة بالسائل التيهي.

وتعد القوقعة الجهاز السمعي الرئيس، وهي عبارة عن بهو مسيج بالغشاءات الصلبة يبلغ طوله بين 26-35 ملمتر، وهو مليء بالسائل وملفوف حول نفسه في حوالي دورتين ونصف،

ويوجد فيه عدد كبير من الخلايا الشعرية (بين 15-20000) التي تتصل بها ألياف العصب السمعي وفيه يتحول الضغط السائلي إلى دفعات كهربائية (عصبية). [18]ص(143) وقد أثبتت الدراسات أن أعصاب الأذن الداخلية في كل أذن تنقل الدفع العصبي إلى القسم المقابل لها من الدماغ، ورغم أن منطقة اللغة توجد في أحد نصفي الدماغ دون الآخر (ويكون غالبا النصف الأيسر) فإن تلف أو جرح أحد هذين النصفين لا يؤدي إلى الطرش التام، رغم أن إصابة الجزء الأيسر من قشرة الدماغ تؤدي إلى التشويش في فهم الكلام. [5]ص(15)

2. العملية السمعية

عندما تحدث الأصوات التي تخرج من الآلة الصوتية تذبذبات في الهواء الخارجي ، تنتقل هذه التذبذبات إلى الأذن، فيستقبلها الصوان، وتمر في الممر السمعي الخارجي وتصل إلى طبلة الأذن، فيهتز غشاؤها اهتزازات تتناسب مع العظيومات الثلاث، ثم تجري هذه الاهتزازات في السائل النقي، وتحدث فيه تذبذبات تتناسب معها، مما ينبه الأعصاب المغموسة فيه التي تنقل بدورها هذه التذبذبات في دوافع عصبية إلى المراكز السمعية في الدماغ. [17] ص(142) والواقع أن الأذن في أقسامها الثلاثة لا تقوم بنقل الصوت فحسب، فهي تعمل كذلك عمل حجرة تضخيم الصوت، فالصوت الذي يصل إلى صوان الأذن يضخم مرتين في الممر السمعي الخارجي، وثلاث مرات في سلسلة العظيومات، وثلاثين مرة في انتقاله من غشاء الطبلة إلى نافذة الأذن الداخلية، وتبلغ بذلك قوة الصوت المضخم في الأذن الداخلية 180 مرة قوته قبل دخوله، الصوت والممر السمعي.

والواقع أن هذا التحول الكبير في قوة التذبذبات الصوتية ضروري لانتقال هذه التذبذبات من الوسط الهوائي (خارج الأذن وفي الممر السمعي) إلى الوسط السائلي في الأذن الداخلية. أنظر [17]ص(143)

وقد أثبتت التجارب أن التذبذبات ذات الدرجة المنخفضة (30 ذبذبة في الثانية) تؤثر على الشعيرات العصبية (وهي الأعصاب الموصلة إلى منطقة الإدراك السمعي في المخ)، التي توجد بالقرب من قمة القوقعة، أما التذبذبات التي تكون درجتها متوسطة (1000 ذبذبة في الثانية مثلا) فإنها تؤثر في الشعيرات العصبية التي توجد وسط القناة القوقعية ولكن التذبذبات العالية 10.000 ذبذبة مثلا في الثانية تؤثر في الشعيرات العصبية التي توجد في أسفل القناة القوقعية [18]ص(30) وتقع منطقة السمع عند الإنسان بين عتبتين هما (عتبة الألم) و(عتبة السمع) وتقاس قوة السمع في الأذن بعدد الذبذبات في الثانية.

أضف إلى ذلك أن الصوان الخارجي ليس الوسيلة الوحيدة لتوصيل الصوت إلى الدماغ فبعض العلماء يتكلم عن "التوصيل العظمي" ذلك أن الشرط الوحيد لإدراك الصوت هو التذبذب الحاصل في الأذن الداخلية ويكون بالتالي ممكنا توصيل الصوت إلى الدماغ عن طريق التأثير على هذا القسم من الأذن، وذلك بواسطة تذبذب عظام الجمجمة وقد ثبت أن هذه العظام يمكن أن تتذبذب بتردد يقع بين 800 و1600 هرتز.

والواقع أن هذه الوسيلة تستعمل في فحص المرض الصم لتمييز نوع الصمم عندهم، فهم إما مصابون بصمم التوصيل (إصابة الأذن الخارجية، والوسطى) ويستطيعون بالتالي إدراك الصوت بالتوصيل العظمي، أو بصمم الإدراك (إصابة الأذن الداخلية) بالإضافة إلى ذلك تفسر ظاهرة "التوصيل العظمي" عدم تعرف الفرد إلى صوته المسجل، فنحن لا نعرف في معظم الأحيان إلى صوتنا المسجل، لأننا ندركه عند التكلم عن طريق التذبذب الهوائي، وعن طريق تذبذب عظام جمجمتنا على حد سواء من ناحية أخرى يتكلم الباحثون عن "الحساسية التذبذبية-اللمسية" فيقولون إن الجلد (وعلى الأخص جلد أنامل الأصابع) يستطيع أن يدرك تذبذبات الأصوات وبخاصة التي يقع ترددها بين 100-600-800 هرتز.

ولا يعتد بهذه الملكة في إدراك أصوات اللغة عند الإنسان الطبيعي، لا أنه يمكن استغلالها استغلالا كبيرا للتعويض عن السمع بالأذن عند المرضى المصابين بالصمم بدرجة عميقة، وعلى الأخص في تدريب الأطفال منهم وتربيتهم [17]ص142

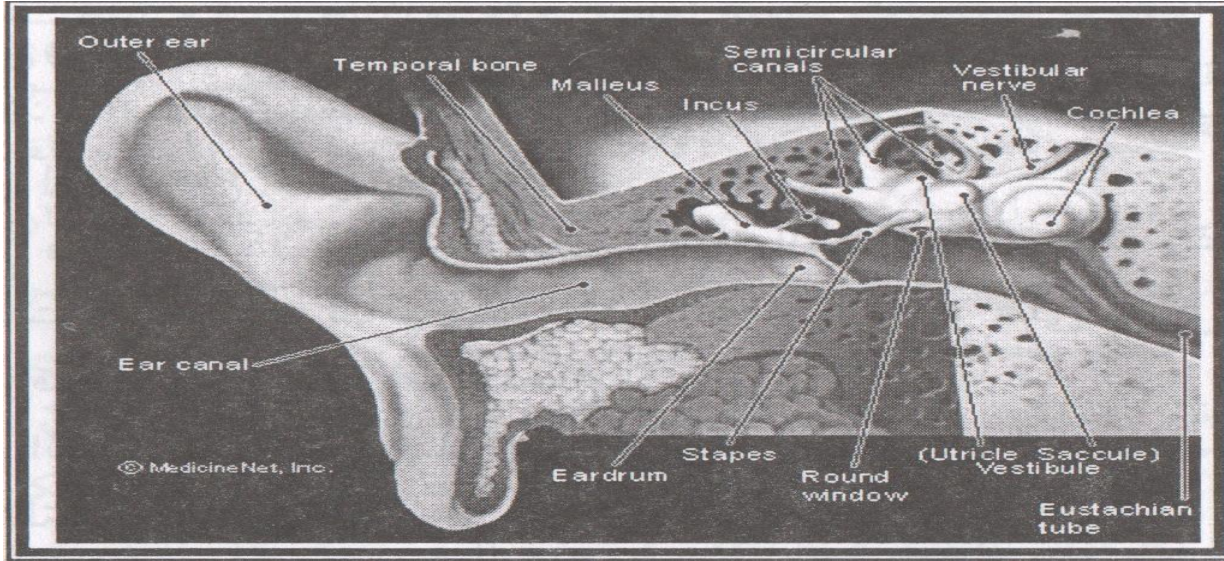
1.2 الأذن وإنتاج الكلام

إن للأذن دور هام وأساسي في تكوين ذات الفرد، وفي الإشراف على إنتاجه الأصوات اللغوية، فقد برهن "ألفرد توماتيس A.Tomaztic" في تجارب ضمنها كتابه "الأذن واللغة" [19]ص(60) أن الأذن عضو رئيس يقوم بدور أساسي في حياة الإنسان الجسدية والنفسية والاجتماعية فهي الآلة التي بها يتلقف الإنسان الكلام والتي بواسطتها "يستيقظ على وجود ذاته" [19]ص(65)

كذلك فإن التشريح ودراسة تطور نمو الجنين في رحم أمه يدلان على أن الفم (عضو النطق) والجزء الخارجي من الأذن (عضو تلقي الكلام) يكونان مجموعة واحدة قبل وصول الجنين إلى مرحلة متأخرة من نموه، وهذا يدل على أن استعمال الحنجرة في الكلام يكون مشروطا باستمرار الأذن له كما يدل أن معرفتنا للعالم، هي معرفة صوتية قبل كل شيء تتم من خلال تعرفنا "عضويا" على صوتنا بواسطة الأذن وقد توصل "توماتيس" إلى وضع معادلة بين السمع والتصويت (إنتاج الأصوات) يكون الكلام فيها نتاجا متوازيا بين هاتين العمليتين المختلفتين،

فهو يقول: "إن الصوت لا ينتج إلا ما تسمعه الأذن" [19] ص(104) كما قام بقياس مراقبة الأذن لإنتاج الكلام، وذلك بسلسلة من التجارب الفريدة، فقد جاء في إحدى تجاربه بمغن شهير قام بأداء إحدى أغنياته مئات المرات، ثم طلب منه أن يغني هذه الأغنية وفي أذنيه سماعتان يصله من خلالهما صوته عن طريق مجسم يتحكم "توماتيس" به، ولعدة مرات، تدخل الباحث في نوعية الصوت الذي يدخل إلى أذني المغني، فأوصل إليه صوته عبر إحدى الأذنين، ثم عبر الأخرى، فلاحظ وجود ما سماه بـ "الأذن الموجهة" oreille directrice فعندما كان صوت المغني يصل عبر "المجسم والسماعتين" إلى أذنيه الاثنتين أو إلى أذنه اليمنى كان صوته يخرج طبيعياً تقريباً، وكأن لا وجود للآلة بين الصوت والأذن، ولكن عندما أسمع صوته من أذنه اليسرى ومنع تماماً دخوله إلى الأذن اليمنى فقد المغني براعته المعهودة في الأداء، وأصبح صوته ثقيلًا وخشناً وباهتاً، وفقد من انضباطه وتباطأ إيقاعه [19] ص(133)، ويبدو أن هذه "الجنبية" letératite في استعمال الأذن (وغيرها من الأعضاء) ظاهرة تعد من أهم ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات، فبدونها لا يمكن للمرء اكتساب اللغة واستعمالها. [20] ص(45)

كذلك فإن الأطفال الصم البكم، لا يملكون جميعهم الجنبية ويعملون (ويسمعون) بينهم كما يسراهم، دون أي تفضيل لجنب على جنب وقد قام "توماتيس" بتجارب على أطفال مصابين بالتأتأة والتأخر في الكلام والتعبير الكتابي، والقصور العقلي، فربي فيهم استعمال إحدى الأذنين وتفضيلها على الأخرى، فلاحظ تقدماً سريعاً في تلقنهم للحركة والتعبير بالجسد، لذلك يقول "توماتيس": "إن التربية باللغة تؤدي إلى تطور الحركات البراكسية (العقلانية) praxique وفي الوقت ذاته إلى تكوين الجنبية المعرفة، ونجد شاهداً آخر على أهمية الجنبية في استعمال الأذن عند "ديديه أنزيو" D.Anzieu الذي يقول: إن المرء يتعرف بشكل جيد على اللحن إذا قدم إلى أذنه اليسرى ووصل بالتالي مباشرة في نصف دماغه الأيسر، ذلك أن النصف الأيسر من الدماغ يكون -على ما يبدو- مركز تعلم الأنظمة وهذا التعلم يؤدي دائماً إلى الحلول محل العمل الفطري والشاهد على ذلك أن حديث العهد بالموسيقى يتعرف على فكرة موسيقية أو إيقاع موسيقي بالتقاطهما التقاطاً إجمالياً ساذجاً عن طريق أذنه اليسرى في حين أن المتمرس بالموسيقى الذي اعتاد تحليل الجملة الموسيقية إلى نوتات متتالية، فإنه يتمتع بأذن اليمنى أفضل. [22] ص(21)



الشكل: 03[10]

1. فيزيائية الصوت

لما كان الصوت الإنساني ظاهرة طبيعية كغيره من الأصوات، فقد صار من اللازم دراسته، والتعرف عليه من الناحية الفيزيائية، وقد بدأ الفيزيائيون لاهتمام بالصوت الإنساني، ومحاولتهم دراسة الكلام البشري بعد إشارات فيزيائية تثير استجابات معينة عند السامع، وهذا الاتجاه هو من أهم التطورات التي حدثت في تاريخ الدرس الصوتي ذلك أنه مكن لظهور منهج جديد في الدراسات الصوتية واللغوية، حيث يدرس اللغة بوسائل ومناهج الدراسة الفيزيائية ويخضعها للأساليب العلمية التي تتميز بها العلوم الطبيعية.

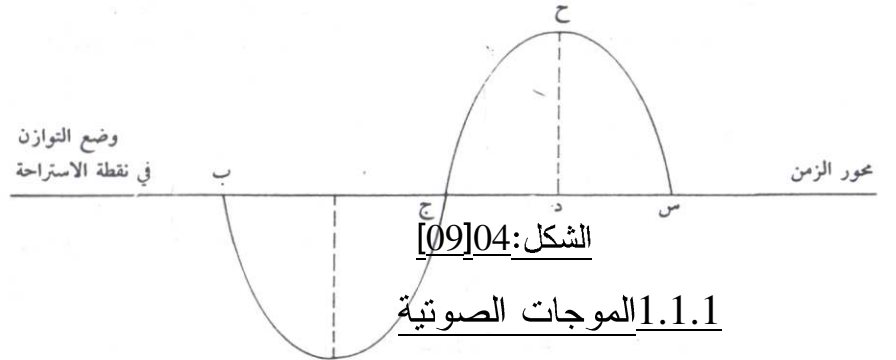
1.1 نشأة الصوت

الصوت طاقة يحس بها الإنسان نتيجة لاهتزاز الأجسام المحدثة له، وانتقال هذه الاهتزازات - عبر وسط ناقل هو الهواء غالباً - إلى أذن السامع، ومنها إلى جهازه الإدراكي في المخ، والصوت الإنساني ضرب من هذه الطاقة يحدث نتيجة لاهتزاز أعضاء النطق، فالإنسان عندما يتكلم تحدث تحركات شفثيه ولسانه وتيار نفسه وانتقالات واضطرابات في الهواء المحيط به، تنتقل بصورة خاصة حتى تصل إلى الأذن، ومنها إلى المخ الذي يترجمها بدوره إلى ما يسمى بالأصوات الكلامية. [10] ص (17)

ولكي تتضح لنا هذه الفكرة، فإنه يجدر بنا أن ننظر في طبيعة تلك الاهتزازات، وكيفية انتقالها عبر الهواء، ووصولها إلى أذن السامع ويقتضينا ذلك التعرف على الأمور الآتية:

1.1.1 الدذببة الصوتية

عرفنا أن الأجسام تهتز لكي تحدث الصوت، ومعنى هذا الاهتزاز أو التذبذب أنها تتحرك حركات معينة، فلو فرض أننا راقبنا حركة واحدة من هذه الحركات لرأينا أنها تبدأ -بالطبع- من نقطة معينة هي نقطة سكونها ونسميها مثلا نقطة (الصفير) وتستمر في سيرها نحو اتجاه ما حتى تصل إلى نقطة تضعف وتتلاشى قوتها فيها، فتعود مرة ثانية في اتجاه عكسي نحو نقطة البدء، فتتجاوزها إلى نقطة أخرى تتلاشى فيها قوتها مرة ثانية، فترتد مرة ثالثة إلى نقطة البدء، فتكون بذلك قد أنت دورة كاملة هي التي نسميها بالاهتزازة أو الدذببة الواحدة vibration [10]ص(30) كما يمكننا أن نصدر هذه الاهتزازات بصورة واقعية إذا نحن ربطنا قلما أثناء اهتزاز الشريحة، وسوف يبدو ذلك في الشكل الآتي:



وإذا كنا قد تصورنا الدذببة الصوتية أو الاهتزازة فإنه يجب أن نعلم أن كل اهتزازة في مصدر الصوت، تحدث في ذرات الهواء الملامسة لها أثرا مشابها لحركتها التي سبق ذكره، وكل ذرة من هذه الذرات سوف تحدث في الذرة المجاورة لها الأثر نفسه هكذا إلى أن ينقطع النشاط.

ومعنى هذا أن الاهتزازة الواحدة في الجسم المصدر لصوت يمكن أن ينشأ عنها عدة دذببات أو اهتزازات في الوسط الناقل المتسم بالطواعية والمرونة، ويطلق على ذلك (الموجات الصوتية)، تشبيها لحركتها بحركة المرج في الماء.

ولما كان مصدر الصوت لا ينتج عادة اهتزازة واحدة وإنما اهتزازات كثيرة متتابعة، فإن الموجات الصوتية الناشئة سوف تكون أيضا كثيرة متتابعة.

فتتقل الموجة الصوتية بسرعة، من مصدرها إلى أذن السامع، وإذا راقبنا شخصا يتكلم يخيّل إلينا أننا نسمع كلامه في لحظة النطق نفسها، والواقع أنه يوجد فارق قصير في الوقت بين النطق والسمع، وعند حدوث الرعد فإننا نرى البرق قبل سماع صوت الرعد. [16] ص(32)

1.1.1.1. التردد

من الطبيعي أن يكون ذبذبة صوتية أو اهتزازة فترة زمنية تتم فيها فإذا نحن أخذنا وحدة زمنية (كالثانية) وعرفنا عدد الاهتزازات التي تحدث فيها، كنا قد وصلنا إلى ما يسمى بالتردد، أي عدد الذبذبات الكاملة التي تتم في الثانية... والأصوات تختلف في هذا التردد، وتتنوع معدلات اهتزازاتها، تبعا لظروف الجسم المهتز كمادته وشكله وسمكه وغير ذلك من صفاته.

وتحس الأذن البشرية بهذا التردد في معدلات خاصة، فأقل نغمة تسمعها الأذن هي التي يكون معدلها (16) ذبذبة في الثانية، على حين أن أعلى نغمة يمكن لهذه الأذن سماعها يكون معدلها (16000) ذبذبة في الثانية، وإن كانت بعض الأذان التي يمكن لها أن تستقبل النغمات التي تصل إلى 25000 ذبذبة/ثا. [16] ص(36)

وعادة ما تقاس الذبذبة الصوتية بالهرتز، والأذن البشرية في مقدورها أن تدرك الأصوات التي يقع تردد اهتزازها بين 16 هرتز و 16000 هرتز، ويكون المعدل الوسط في الترددات عند الكائنات الحية 500 هرتز، فإذا تعدى الصوت هذا المعدل كان صوتا حادا aigu وإذا انخفض إلى ما دونه كان الصوت غليظا (أو خفيظا أو جهيرا gravel).

هذا ويعتقد أن الأذن البشرية لا يمكن أن تستبين الأصوات التي يتعدى تواترها 20000 هرتز، لأن طبلة الأذن وسلسلة العظام المتصلة في الأذن الوسطى لا يمكن أن تتذبذب أسرع بدرجة كافية.

والأصوات التي يبلغ ترددها أقل من 16 هرتز هي (تحت السمع) infre-sonc (ونستطيع إدراكها باللمس)، في حين تكون الأصوات التي يتعدى ترددها 16000 هرتز أصواتا فوقية أو هي (فوق الصوتية) ultra-sonc ولا يدركها الإنسان في حين تستطيع بعض الحيوانات إدراكها مثل (الكلب والدلفين). [16] ص(36)

ويطلق مصطلح عتبة السمع seuil d'audibilite على المنحنى الذي يدل على الطاقة الدنيا التي تجعل كل صوت مسموعا قياسا لكل تواتر، وهذه الطاقة يعبر بالواط watt كذلك تصبح

الأصوات في الحدود العليا صعبة الإدراك (في عتبة الألم seuil de douleur) وتتحملها الأذن بعناء كبير وقد تصل إلى درجة تؤذي معها الأذن. [22]ص(47.46)

2.1.1 نظرة فيزيائية سريعة في إنتاج الصوت اللغوي

عندما يراد إنتاج صوت لغوي فإن الهواء المضغوط في الرئتين يخرج منهما إلى القصبة الهوائية، ومنها إلى الحنجرة، وهنا إما أن يحدث اهتزاز في الوترين الصوتيين أولاً يحدث، كما سبق توضيحه في الحديث عن فسيولوجية الأصوات.

فإذا لم يحدث اهتزاز في الوترين انطلق الهواء المحمل بالموجات المركبة الناتجة عن الأجسام التي مر بها، حتى يجد تحركاً من بعض أعضاء النطق العليا أو التي فوق الحنجرة إما بغلق الممر أمامه أو بتضييقه فينشأ عن ذلك صناديق رنين تقوم بترشيح الموجات البسيطة الملائمة لها، وتعززها وتقوها فتصدر إلى الخارج في صورة أصوات يمكن سماعها وقد تحددت شخصيتها تبعاً لأشكال وأحجام ومواد الصناديق الرنينية التي منحت موجتها القوة والتعزيز، فهذا صوت (تاء) وذاك صوت (فاء) أو (شين) وهكذا...

أما إذا اهتز الوتران نتيجة تقاربهما وتوترهما واحتكاك الهواء الخارج بهما، فإنه تحدث عملية ترشيح وتقوية، حيث إن الوترين يتجاوبان مع بعض الموجات التي يحملها الهواء الخارج من الرئتين، ويقويانها فتندفع تلك الموجات المركبة إلى الممر فوق الحنجرة حيث تلتقي بصناديق رنينية مختلفة، فتحدث عملية تعزيز وتقوية أخرى، للموجات التي تجد المرينات الملائمة لترددتها، وهن قد يكون ممر الهواء إلى الخارج مفتوحاً ليس به عقبات، فينطلق الهواء المحمل بالموجات إلى الخارج بكامل قوته، محدثاً صوتاً أكثر وضوحاً وقوة في أذن السامع، وهو الذي يسمى بالحركة (الصوائت) (ضمة، كسرة، صمة أو ضمة قصيرة أو طويلة) أما إذا أغلق الممر أمام ذلك الهواء المحمل بالموجات، -بتدخل من بعض أعضاء النطق العليا كالشفيتين مثلاً- فإن تلك الموجات القوية تُحبس فترة من الزمن، فإن فتح لها الممر بعد ذلك انطلقت بقوة إلى الخارج ولكنها أقل من القوة السابقة، وإن لم يفتح فإن بعض أجزاء الرقبة والفم يتجاوب معها ويهتز ويرشح بعض الموجات، وينلها إلى الخارج، فتسمع ولكنها تكون أقل وضوحاً وأقصر زمناً، ولكي يتضح الأمر، نطلق الصوت (أب) مرتين مرة مع فتح الشفتين عقب التقائهما مباشرة ومرة أخرى مع غلقهما.

ولكن الممر قد يضيق هنا فقط أمام ذلك النوع من الموجات في حالة اهتزاز الوترين الصوتيين: فتظل منطقة إلى الخارج مع طول واستمرار كما نحسه في حالة نطق صوت (كالذال) في "إذ) ومن الواضح هنا بالطبع أن اختلاف تحركات أعضاء النطق هو الذي يحدد

طبيعته الموجات الصوتية وتقويتها وما يترتب على ذلك من تنوع أصوات الكلام[10]ص(بتصرف)

1. عناصر الصوت اللغوي

عرفنا أن الصوت ينشأ عن اهتزازات وموجات وأن لهذه الموجات قوتها وطاقتها وترددها وسرعتها، وأزمنتها وأنواعها، وشرنا أن لكل ذلك أثر معين في سمع الإنسان وإدراكه، فالإنسان عندما يسمع إلى صوت يحس أن له درجة ما من القوة أو الضعف، ومن الحدة أو الغلظ ومن الطول أو القصر.

وهذه هي العناصر التي يوصف بها الصوت من وجهة النظر السمعية أو الإدراكية، فصار لازما بيانها وخاصة ما يتصل منها بالصوت اللغوي، وأن نبين أسبابها وعلاقاتها من الناحيتين الفسيولوجية والفيزيائية على النحو الآتي:

1.1. الإحساس بالشدة

وهو يرتبط فيزيائيا بأمور أهمها اتساع مدى الموجات الصوتية التي تشكل الصوت، فكلما كانت تلك الموجات أكثر اتساعا كلما أحست الأذن بأن الصوت أشد في السمع، وتسمى هذه الشدة من الناحية الفيزيائية *intensités* ولكل صوت لغوي قدر معين منها يظهر عند التحليل في مكوناته الأساسية، ويقاس هذا بأجهزة خاصة (السوناغراف) لكن استجابة الأذن المحسة للصوت أحسن من استجابة هذه الأجهزة ولذلك اتخذت وحدة قياس الاستجابة بالنسبة للأذن هي "الديسبل" والواط بالنسبة للأجهزة.

وترتبط شدة الصوت فسيولوجيا -بشكل عام- بالطاقة العضلية لأعضاء النطق، والضغط تحت الحنجرة فكلما ازداد هذا الضغط وزادت تلك الطاقة كلما اتسع مدى الموجات الصوتية واشتد الصوت.

1.1.1. النغمة

يسمى البعض، (بدرجة الصوت) وربما يطلق عليها أيضا (حدة الصوت) أو (الحدة) ويعرفها الفيزيائيون بأنها الخاصية التي تميز بها الأذن الأصوات أو النغمات من حيث الحدة أو (الغلظة)، ويتوقف إحساس الأذن بحدة الصوت أو غلظه أساسا على ما نسميه فيزيائياً بالتردد، وهذا التردد يقابل الاهتزاز (اهتزاز الوترين الصوتيين من الناحية الفيزيولوجية فكلما زاد معدل اهتزاز الوترين الصوتيين كلما أحسنا بارتفاع نغمة الصوت وزيادة هذا المعدل أو نقصه تتوقف بالطبع على طبيعة هذين الوترين وحجمهما، ودرجة توترهما، بالإضافة إلى

طبيعة ضغط الهواء تحت الحنجرة ومع مرونة الوترين وقدرة الإنسان على التكلم والتحكم في ضبط الهواء يمكن أن يغير في نغمة أصواته، ولذلك أثر كبير في أداء الكلام كما سنذكر:

1.1.1.1. طول الصوت

عندما يريد الإنسان إصدار صوت من الأصوات، فإن ذلك يقتضي منه القيام بإجراءات عصبية وعضلية سبق الحديث عنها، وهذه الإجراءات تستغرق بالطبع جزءا من الزمن، ويتحدد هذا الجزء تبعا لطبيعة الصوت، المراد إصداره فعندما ننطق ضمة قصيرة مثل ضمة (ك) ونقارن بينهما وبين الضمة الطويلة (كو) نلاحظ أن أعضاء النطق في الحالة الثانية قد استغرقت زمنا أطول من الزمن الذي استغرقت في الحالة الأولى، ونلاحظ في مدة ضم الشفتين.

ويطلقون على هذا الزمن مصطلح (الكم الزمني) إذا ما نظرنا إلى الناحية الفسيولوجية أما إذا نظرنا إلى جانبه الفيزيائي وما تستغرقه الموجات الصوتية من الوقت فإنهم يسمونه الزمن Temps، أما من الناحية الإدراكية وما يحس به الإنسان تجاه الأصوات من فروق زمنية فإنهم يسمون ذلك (بالطول) أو (طول الصوت) ومعلوم أن لهذا الطول أثرا كبيرا في تشخيص الأصوات والتمييز بينها، وبخاصة في الأصوات التي تسمى بالحركات، كما أن له دورا كبيرا في أداء اللغة وقوالبها التعبيرية ويمكن معرفة زمن الصوت عن طريق قياسه بوسائل كثيرة من أهمها جهاز السوناجراف. [10](بتصرف)

2. الصوت اللغوي والعوامل المؤثرة فيه

إن لكل لغة مجموعة صوتية تتألف من مجموع حروفها الصوتية التي تزيد غالبا على حروفها الهجائية وبين هذه الحروف التي تتألف منها المجموعة الصوتية في لغة من اللغات انسجام يقيم بينها توازنا يؤدي الإخلال ببعض أجزائه إلى التغيرات التي تعيد التوازن والانسجام. ومما يلاحظ أن هذه الأصوات أو الحروف في كل لغة ليست ثابتة فقد تتغير بمرور الزمن لوقوعها في وضع خاص، في حالة التركيب، فإن بعض اللغات يتغير عدد حروفها ويتبدل لفظ الكثير من كلماتها، فالحروف اللثوية مثلا في اللغة العربية (ث، ذ، ط) انتهى بها الأمر إلى الزوال في كثير من اللهجات العربية العامية، وأبدلت غالبا بالتاء والdal والضاد أو الزاي المفخمة.

وكذلك حال الجيم التي أصابها بعض التغيير في بعض اللهجات العربية ولو نظرنا إلى حرف السين في اللغة الفصحى لوجدناه أشبه بالصاد في بعض المواطن نحو (أسطورة، سلطان، مسيطر...).

وكذلك حال اللغات الأخرى ففي اللغة الفرنسية مثلاً كانت الشين في (cheval) كافا والشين في (chien) سينا وتاء مدغمتين [23]ص(55.54).

إن هذه التبدلات جديرة بأن تبحث وأن يفتش عن عللها وأسبابها وأن يلاحظ ويستنتج القانون الذي ينظم حوادثها إن كان لها قانون مطرد.

ولهذا البحث أهمية فائقة في علم اللغة، لأن معرفة علل تبدل الحروف وأصولها القديمة مفتاح من مفاتيح علم الاشتقاق فهو الذي يكشف الصلة بين كلمات تباعدت أشكالها وضاعت معالم قرباها، سواء أكانت في لغة واحدة أم في لغات مخت

1.2. خواص التطور الصوتي والعوامل المؤثرة فيه

للتطور الصوتي خواص كثيرة، فهو يسير ببطء وتدرج، فاختلاف الأصوات في جيل عما كانت عليه في الجيل السابق له مباشرة لا يكاد يتبينه إلا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون، ولكنه يظهر في صورة جلية إذا وازنا بين حالتيهما في جيلين تفصلهما مئات السنين، فلغتنا لا تكاد تختلف في أصواتها عن لغة آبائنا المباشرين، ولكنها تختلف اختلافاً بيناً في هذه الناحية عما كانت عليه في السنة أجدادنا في العصور الوسطى أو في العصور الحديثة.

كما أن هذا التطور يحدث غالباً من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للإدارة الإنسانية، فتحول صوت الثاء العربية إلى تاء، (ثلاثة، ثلاثة) و(الذال) إلى (دال) (ذراع، ذراع) والظاء إلى ضاد (الظل، الضل) والقاف إلى همزة (قلت، ألت) أو الجيم (قلت، جلت) جيم معطشة، وكذا انقراض الأصوات التي تلحق أواخر الكلمات للدلالة على إعرابها ووظائفها في الجمل، (كنت أحسب أن كتاب محمد أحسن من كتاب علي) كل ذلك وما آله إليه قد حدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للتواضع أو إرادة المتكلمين، كما أن هذا التطور من الظواهر الجبرية، لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة، لا اختيار للإنسان فيها ولا يد لأحد على وقفها أو إعاقه أو تغيير ما تؤدي إليه.

وهناك مثلاً اللغة العربية في صدر الإسلام وما آلت إليه، فعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل صيانتها ومجابهة ما طرأ عليها من تحريف، فإن ذلك كله لم يحل دون تطور أصواتها إلى الصورة التي تتفق مع نوااميس التطور اللغوي، فأصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللغات العامية.

كما أن هذا التطور في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان فمعظمهم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلا إلى همزة (قلت، ألت) لم يظهر إلا في بعض المناطق الناطقة بالعربية ومنذ غير بعيد وكذلك نطق (الكاف، همزة) وكذا تحول صوت "A" الواقع في نهاية بعض الكلمات اللاتينية إلى صوت (E) لم يظهر إلا عند الفرنسيين ولم يبدأ أثره لديهم إلا في أثناء المدة المحصورة بين نهاية القرن الثامن وأوائل القرن الرابع عشر.

كما أنه في التطور الصوتي إذا لحق صوتا معينا في بيئة ما ظهر أثره غالبا في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت وعند جميع الأفراد الذين تكتنفهم هذه البيئة، فتحول القاف العربية مثلا إلى همزة قد ظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت عند جميع الأفراد، وكذا الحرف "ك" بمنطقة تلمسان فإنه ينطق همزة، فهذا الصوت قد عم جميع الكلمات التي فيها "كافا"... [24]ص(287)

ومن هذا يظهر فساد كثير من النظريات القديمة، فليس صحيحا ما ذهب إليه بعض العلماء من أن تطور الأصوات يحدث نتيجة لأعمال فردية اختيارية تنتشر عن طريق التقليد والمحاكاة. [24]ص(58)

وليس صحيحا ما كانت تقول به المدرسة الإنجليزية من عهد "سايس" "sayec" إلى عهد "سويت" sweet من أن التطور الصوتي يتجه باللغة نحو التهذيب والكمال، ولا ما ذهب إليه البعض أنه يتجه نحو إظهار العناصر الأساسية في الكلمة وتجريدها مما عسى أن يكون بها من أصوات لا تدعوا إليها كبير ضرورة، فيخفف بذلك من ثقلها ويزيدها تميزا، وذلك أن اتجاهات كهذه لا يمكن أن تتحقق إلا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح، أما وقد ثبت أن التطور الصوتي تطور تلقائي آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالسبل التي تقول بها هذه النظريات، وأن موازنه بين حالة الكلمات في اللغة العربية الفصحى وما آلت إليه في اللغات العامية لأكبر دليل على ما نقول.

فمن الواضح أن هذا التطور لم يتجه نحو التهذيب والكمال، ولم يحقق زيادة في تمييز الكلمات، بل أدى إلى اللبس في وظيفة الكلمات ودلالاتها، وجرد اللغة مما بها من دقة وسمو، وهوى بها إلى منزلة وضعية في التعبير.

وما حدث في اللغة العربية لهذا الصدد، حدث مثله في كثير من اللغات الإنسانية الراقية، فكثير من الكلمات اللاتينية مثلا كانت واضحة مميزة الأصوات ثم فقد بعد تطورها هذه المميزات وأصبحت في حالة يكتنفها اللبس والإبهام.

وليس بصحيح كذلك ما ذهب إليه البعض من أن التطور الصوتي يتجه نحو تسهيل النطق "وهو رأي لـ ماكس مولر max Muller و وتتي Whitney وذلك أن هذا الاتجاه من قبيل الاتجاهات التي تقول بها النظريات السابقة، فهو مثلها لا يمكن أن يتحقق إلا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح.

أما وقد ثبت أن التطور الصوتي تطور تلقائي آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية فلا يتصور أن ينتقد في اتجاهه بالخطأ التي تقول بها هذه النظرية.

لا شك أن الحالة التي تتطور إليها الأصوات في جيل ما تكون دائما أكثر من حالتها الأولى تلاؤما مع طبيعة أعضاء النطق واستعدادها عند أهل هذا الجيل. [23]ص(289)

ولكن لفظها يتطلب من الأعمال الصوتية وحركات أعضاء النطق أكثر مما يتطلبه لفظ الكلمة القديمة، فلا يتحقق حينئذ الاقتصاد الذي تقول به هذه النظرية، ويظهر هذا مثلا بالموازنة بين الكلمة العربية "ماء" وما انتهت إليه في عامية القاهرة إذ أصبحت "مِيَّة" وبين الكلمة العربية "ذا الوقت" وما انتهت إليه في عامية بعض المناطق المصرية إذ أصبحت "ولو جيتي".

ونضيف إلى ما ذكرناه أنه لا عبرة بالتبدل إذا حدث في حادثة فردية خاصة كأن يكون ناشئا عن علة في نطق واحد من الناس أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم ويكون جواب الناس عليه السخرية أو الانتقاص، وإنما العبرة المتبدل الذي يكون عاما في مجموعة من الناس كسكان بلد أو مدينة أو إقليم أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الأجيال في عصر من عصور اللغة فيستدل من عمومته في جيل أو جماعة على أن سببا عاما وأن في الناس استعدادا لمثل هذا التبدل لسبب من الأسباب. [23]ص(58)

1.1.2 عوامل التطور الصوتي

لا يقصد بالتغير الصوتي أن تستحدث أصوات في الكلام لم يكن لها وجود من قبل، وإنما المقصود أن يبطل استعمال الأصوات في مكانها الأصلي، أو تنتقل من خارجها وتتصل في مخارج أخرى.

وقد ذكر اللغويون أسباب عدة لتغير الأصوات اللغوية، على أن التغير الصوتي لا يعزى إلى سبب بعينه وإنما تتضافر عدة عوامل على إحداث التغير ومن هذه الأسباب ما يأتي:

إذ يرى بعض اللغويين أن اختلاف الجهاز الصوتي عند الأَخلاف عنه عند الأسلاف هو السبب وراء اختلاف الأصوات الحديثة عن الأصوات القديمة في لغة ما، ويستدلون على ذلك ببعض القبائل البدائية التي تنزّين نساؤها بغرز حلقة من المعدن في شفاههن فكان من أثر ذلك أن اختفى صوت "الفاء" من لغة هذه القبائل لأن النساء فقدن الدرة على نطقه وبالتالي لا يلقنه الأطفال. [25]ص(272)

لكن هذا لا يؤمن به البعض لأن الاختلاف الفسيولوجي الذي لم يبلغ حد التشويه لا يؤثر على نطق الأصوات اللغوية، وذلك لأن ما يؤثر على نوع هذه الأصوات إنما هو طريقه وضع الأعضاء الصوتية بعضها مع بعض.

ويعد مصدر السيطرة على التنفس وضغط الهواء المندفع من الرئتين أهم العوامل في اختلاف قدرات الناس النطقية، ويثبت هذا أن معلم الأصوات يستطيع أن يعلم تلاميذه أي صوت في أي لغة من شيء من المران والشرح العلمي دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أي تغيير في تكوينها التشريحي. [5]ص(233)

ونجد بعض اللغويين يذهبون إلى أن اختلاف الجهاز الصوتي عند الأَخلاف عنه عند الأسلاف هو السبب وراء اختلاف الأصوات الحديثة عن الأصوات القديمة، كما ذهب آخرون إلى أن المناخ والظروف الجغرافية لها تأثير كبير على أصوات اللغة، فشدة الطبيعة أو ليونتها تنعكس على الناس فتطبعهم بطابعها، ويظهر أثر ذلك في الأصوات المنطوقة، ومن أشهر أصحاب هذا المذهب نجد (H.Collitz) فقد عزا تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية إلى نظائرها الرخوة إلى الطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا، وقال أن الجهات الجبلية تميل إلى التخلص من أمثال b,d,g فتهمس أولا وتصبح p,t,k ثم تقلب هذه إلى نظائرها الرخوة، الفاء، الثاء، الهاء على الترتيب وذلك أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطا كبيرا في عملية التنفس، ويتبع هذا الميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة. [5]ص(237)

ومن العلماء من يرجع التغير الصوتي في اللغة إلى سبب واحد أساسي، تترك فيه جميع اللغات ولكن الأكثر يرجحون أن عدة أسباب قد اشتركت في نشوء هذا التغير ومن الصعب أن نؤكد أي هذه الأسباب كان العامل الأساسي في كل تطور من التطورات. [5]ص(232)

2.1.2 عوامل فسيولوجية

وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة تحت تأثير هذه العوامل إلى جماعات متنوعة واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض في شؤونها السياسية والاجتماعية.. وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية

وجغرافية، كل ذلك وما إليه يوجد اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عن غيرها، ويرسم لتطورها في النواحي الصوتي والدلالية.. وغيرها منها يختلف عن منهج أخواتها.

ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة. [24]ص(176)

ومن الاختلافات التي تقد أولا نجد الناحية المتعلقة بالصوت، فتختلف الأصوات (الحروف) التي تتألف منها الكلمة الواحدة، وتختلف طريقة النطق بها تبعا لاختلاف اللهجات، قد تختلف المعاني في بعض الكلمات، أما من ناحية القواعد (la grammaire) سواء ما يتعلق منها بالبنية (المورفولوجية) أو التنظيم فلا ينالها في المبدأ كثير من التغيير، ومثال ذلك اللهجات العامية التي انبثقت عن العربية بمختلف البلدان العربية كما هو الحال في المغرب العربي، فإنه لا يوجد بينها إلا فروق ضئيلة في نظام التكوين (تكوين الجملة) وتغيير البنية وقواعد الجمع والتأنيث والوصف... وما إلى ذلك، على حين أن مسافة الخلف بينها في الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حدا جعل بعضها شبه غريب على بعض.

أما بالنسبة لما ذكرناه أن البعض قالوا بأن اختلاف الجهاز الصوتي عند الإنسان يتفاوت بتفاوت الجنس مما ينتج عنه تغيير في الأصوات اللغوية، فإن هذا لا يقوم على دليل قوي، يدفعه الواقع، فالسود في فرنسا يتكلمون الفرنسية كما يتكلمها الفرنسي الأصلي. [26]ص(25) خاصة وأن علم التشريح قد أثبت أن أعضاء النطق عند جميع الناس متحدة ولا يوجد أدنى فرق بينها من وجهة النظر التشريحية، فالحنجرة التي يتمتع بها المقرئ لا تتميز عن أية حنجرة أخرى والفرق يكمن في مستوى التحكم في عملية التنفس.

وفي هذا المجال نجد أن كلا من العالمان دروزلت و هارمن بول Herman.paut/

rousseloy قد قاما بتجارب كثيرة على أجهزة "الفونتيك" فتوصلا إلى نتيجة مفادها أن أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه أعضاء نطق أبائنا الأولين من حيث استعدادها للنطق، وأي تغيير في الاستعداد يحدث تغييرا في الأصوات، (كالجيم المصرية) غير المعطشة مثلا وفي هذا يقول محمد المبارك أن ما دعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتي تطورا مطردا. [23]ص(56)

وهنا نشير إلى رأي، وهو أن العربية التي ورثناها، والتي نعرف من أمرها الشيء الثابت الصحيح، لا تتعدى الإسلام في التاريخ الزمني كثيرا، معنى هذا أن العربية الممثلة في لغة

التنزيل، هي العربية التي نقيم عليها البحث والدرس، والعربية -ممثلة في لغة القرآن- لغة عالية سلخت من تاريخها مراحل طويلة، حتى انتهت إلى هذا الشكل من الكمال.

والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على أن لغة القرن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الإقليمية، والخلاصة أن هذه اللغة العالية قد ثبتت من أصول اللغة وقواعدها، وأنها التزمت الإعراب، الذي لم يكن شائعاً ومستعملاً على نحو ما التزمت به نصوص القرآن، معنى هذا أن العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن متقيدة بهذه الضوابط، ولكن هذه اللغة هي التي جعلت الإعراب السمة الملازمة للعربية التي أريد لها أن تكون كذلك. فالعرب في أطراف الجزيرة قد تهيأ لهم أن يتأخموا أقواماً غيرهم، فلم تسلم بذلك سليفاتهم، ومن أجل ذلك حرص عمر رضي الله عنه على الأخذ بقراءة تعتمد على لغة قريش وإلى هذا كان يرمي عثمان بن عفان رضي الله عنه من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فينبذوا ما كان عندهم مما هو مغاير لما اتفق عليه.

ولا يعدم الباحث أن يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب، وكتب النحو من هذا الباب شيئاً كثيراً من القراءات، ومرد ذلك أن الناس قد فطروا على أساليب في التعبير خاصة بهم، وبذلك قرأوا، وأن طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت من شواذ القراءات والشواذ من القراءات هي ما خلا تلك التي انتشرت بواسطة القارئ المشهور ابن مجاهد (ت 322هـ) كقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب واختيار الحسن البصري وأمثالهم، وهي تعد في باب الشواذ. [27]ص(بدون صفحة)

ومن أمثال هذه الشواذ التي لا تدل على اللهجات الدارجة الإقليمية ما جاء من شواذ سورة الفاتحة.

قرأ أبو السواد الغنوي "هياك" [27]ص(بدون صفحة) والهاء المكسورة في الآية الخامسة "إياك نعبد" وقرأ عمرو بن فايد "إياك" بالتخفيف وقرأ جناح بن حبيش "تستعين" بكسر النون [27]ص(بدون صفحة)

كما أنه من مزايا الكلمة العربية اتصفت بالتكافؤ والانسجام بين أجزائها في الحركات والأصوات، ومن أجل ذلك يؤتى بالهمزة التي يستعان بها على النطق بالساكن مكسورة أو مفتوحة، أو مضمومة، إذا كان الحرف الذي يلي الساكن مضموماً مثل استتصر واعترف فتضم الهمزة، ليتماثل الصوت ويكون العمل فيهما على وجه واحد. [27]ص(بدون صفحة) ولأن الكلمة العربية اتصفت بالتكافؤ والانسجام بين أجزائها في الحركات والأصوات، ومن أجل ذلك يؤتى بالهمزة التي يستعان بها على النطق بالساكن مكسورة أو مفتوحة، أو مضمومة

إذا كان الحرف الذي يلي الساكن مضموما مثل استنصر واعترف فتضم الهمزة، ليتماثل الصوت ويكون العمل فيهما على وجه واحد [27]ص(272) والذي أريد ملاحظته في هذا الباب هو القول بأن المرحلة السابقة لهذه العربية الفصيحة كانت تجيز الابتداء بالساكن، والذي يقوي هذا الافتراض.

ولذا نجد أن فعل الأمر (الثلاثي) في العربية همزته همزة وصل والناطق المجيد لهذه البنية لا يحس بهذه الهمزة، فلسانه ينطلق بالضاد في كلمة اضرب (قبل أن ينطلق بشيء اسمه الوصل) وإجادة النطق تستدعي محو هذه الألف إطلاقاً، وعلى هذا جاء نطق المغاربة، فهم ينطلقون بالساكن في أفعال الأمر الثلاثية ومن أجل ذلك فإن ما ندعوه بالنبر *Accent tonique* يكون عندهم واقعا في نهاية الكلمة.

وجود هذه الناحية ربما كان دليلاً على الابتداء بالساكن في العربية التي بقت هذه المرحلة الفصيحة، كما يقوي هذا القول استساغة الانطلاق بالساكن في سائر اللغات السامية الأخرى، بل ربما كانت الأرامي السريانية أشد قبولا للبدء بالساكن من المتحرك، ومن أجل ذلك صارت هذه الناحية من ميزاتها الظاهرة.

3.1.2 الحالة النفسية. العوامل النفسية

تتحكم الجوانب النفسية في عملية النطق اللغوي، فالغاضب قد تكون مخارج الحروف عنده متسارعة متتابعة، أي هو في حالة من التلطف يتأثر فيها بوضعه النفسي، أما الإنسان في وضعه العادي فقد تكون مخارج الأصوات لديه أقل تسارعا وانضغاطا وتتابعاً، منها في غضبه، وعلى سبيل المثال نجد أن بعض اللغات التي يغلب على مفرداتها كثرة المقاطع تعين مقاطعها المسموعة في توضيح مقاطعها المحذوفة.

إن المتغيرات اللغوية النفسية والاجتماعية قد تغلب على بيئة لغوية ما، فتصبح ظاهرة نفسية اجتماعية، ومثال ذلك أن تتصور في موقف تعجبي ما أن كان رجل مصري رآه لعب بكذا، ولو رآه جزائري لعب بطريقة ثانية... ولو فحصت هذه التغيرات لرأيت أن تعبير المصري قد يكون بطريقة الاستفهام التعجبي، وقد تكون استجابة الجزائري للموقف نفسه من خلال تأكيد الاستفهام بإعادته...

إن هذه المتغيرات اللغوية منوطة بالحالة النفسية وكذا الحالة الاجتماعية، وهي رهينة بالزمن والتاريخ.

ويرى آخرون أن تغير الصوت لدى شعب ما من شدة إلى رخاوة رهين بالحالة النفسية فحين يميل هذا الشعب إلى السرعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة. [5]ص(235)

ومن المعلوم أن المبدأ النفسي من حيث الاطمئنان إلى قدرة اللفظ على توصيل المعنى أو عدم توصيله يجعل الناس يتصرفون، ولنضرب مثلاً على ذلك بكلمات فيها أصوات انفجارية فإن الأصوات الانفجارية تكون عرضة للخفاء عند سكونها كالكاف في بكر والdal في رعد، وبدر وبخاصة إذا تليت بساكن، كأن يوقف على الراء والdal، والراء في الكلمات السابقة، ولذا احتاج المرء إلى تحريك الصوت الانفجاري لإظهاره من جهة، وللتخلص من النقاء الساكنين -على جوازه في أواخر الكلمات عند الوقف- فيقال: بكر، أو بكر بتحرك الكاف، وهم يعودون عن ذلك في الوصل، فيقال: رأيت بكرا بتسكين الكاف لأنه أمن خفاء الصوت الانفجاري [28]ص(بدون صفحة)

وقد عبر ابن جني عن هذا بقوله: ويقولون في الوصل: هذا بكرا ومررت ببكر فإذا وقفوا فمنهم من يقول هذا بكر ومررت ببكر. [4]ص(160)

ونضيف إلى ما ذكرنا من العلل والأسباب أنه لا عبرة بالتبدل إذا حدث في حادثة فردية خاصة، كأن يكون ناشئاً عن علة في نطق واحد من الناس أو عن خطأ في النطق يقع فيه بعضهم ويكون جواب الناس عليه السخرية أو الانتقاص وإنما العبرة للتبدل الذي يكون عاماً في مجموعة من الناس كسكان بلد أو مدينة أو إقليم.. أو في طبقة من الطبقات الاجتماعية أو يظهر في جيل من الأجيال في عصر من العصور اللغوية، فيستدل من عمومته في جيل أو جماعة على أن له سبباً عاماً وأن في الناس استعداداً لمثل هذا التبدل لسبب من الأسباب. [23]ص(58)

2.2 العوامل البيئية والتطور الصوتي

كشف البحث العلمي عن صلة اللغة بالإنسان وبيئته، فهي تظهر المجتمع الإنساني على حقيقته، وقد اهتم بموضوع اللغة العلماء المختصون في العصور الحديثة كما بحثه الأقدمون، فكتبوا فيه على الطريقة التي سلكوها في علومهم القديمة، على أن تقرأ غير قليل من غير ذوي الاختصاص في موضوعات اللغة قد بحث في الموضوع نفسه من خلال دراساتهم، ومن هؤلاء علماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة وآخرون وغيرهم وليس عجيباً فقد بحث الفلاسفة الأقدمون في هذا المجال.

وليست اللغة رابطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينه، إنما هي عامل مهم للترابط بين جيل وجيل وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى إلا بهذه الوسيلة ومن أجل هذا كان على الباحثين أن يكتبوا تاريخا واضحا لكثير من اللغات الحديثة بادئين بأقدم صورة للغة متعقبين التطور التاريخي لها، ولذلك استطعنا أن نقف اليوم على البحوث القيمة في هذا الموضوع. ولقد كان لمالينوفسكي، العالم الأنثروبولوجي فضل كبير في لفت الأنظار إلى مفهوم جديد في اللغة، فقد أدرك أن دراسته لن تصح دون معرفة الوظيفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع وذلك حين كان يدرس بعض المجتمعات البدائية.

وقرر مالينوفسكي بعد قيامه بهذه الدراسات في فترة المجتمعات، أن اللغة لم تكن وسيلة فقط للتفاهم والاتصال فهي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم وأنها جزء من السلوك الإنساني وهي ضرب من العمل، وليست أداة عاكسة للفكر. [29]ص(230)

وهو يرى أن العمل الإنساني هو أصل مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية، وتبرز نظريته في الصلة بين العمل واللغة ويرى أن مواقف العمل هي التي تعمل في تنويع اللغة، وهو يسجل في دراسته لمختلف قبائل أستراليا وجزر الهند... أن للصيادين لغة تختلف موسيقاها عن موسيقى لغة الزراعيين، والألفاظ تدور في سهولة وخفة مع العمل اليسير، وتتعدد بتعدد العمل. ومعلوم أن لكل زمن أو بيئة ذوقا خاصا في استعمال ألفاظ اللغة، وهذا ابن خلدون يعرض في مقدمته لموضوع العلوم اللسانية فيقول في نشأة لغة الأمصار من اللغة الأولى، وهو على معرفة نفسية بأثر اختلاف البيئات على الظواهر الاجتماعية التي منها اللغة، حيث قال: إن كلا منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصودة والإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة، وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم. [30]ص(493)

ويقول أيضا بعد عرضه لطائفة من فنون الشعر ي هذه الأمصار: "والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا الجهد وخصوصا علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها، ويمجد نظمهم إذا أنشدوا ويعتقد أن ذوقه إنما نما منها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم (ويقصد بذلك العلماء) فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم (ويقصد بذلك الشعوب)، لشهد له طبعه ببلاغتها وإن كان سلمينا من الآفات في فطرته ونظره، وإلا فالإعراب لا دخل له في البلاغة... فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أصل الملكة، فإذا عرف اصطلاح ملكة واشتهر، صحت الدلالة وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك، وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم

هذه ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلم، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر"
[30]ص(513).

كما أن انتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ويسمو بأساليبها، ويوسع نطاقها،
ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة. [24] ص(258)
وإن موازنة بين حالة اللغة العربية في عهد البداوة قبل الإسلام وحالتها في عهد حضارتهم
الإسلامية أو بين ما كانت عليه عند أهل البادية في عصر ما وما كانت عليه في الحضر في
العصر نفسه، لأصدق برهان على ذلك، وأن البدوي الذي لم يلهمه شيطانه في مدحه للأمير
أحسن:

أنت كالكلب في حفاظك للعهد وكالتيس في قراع الخطوب
قد استطاعت قريحته بعد أن هذبتها حضارة بغداد أن تجود بمثل قوله:
عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
وما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق وانسجام، يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها
الجغرافية، فجميع خصائص الإقليم الطبيعية تنطبق في لغة سكانها، ومن أجل ذلك نشأت
فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان
الأودية وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية، ومن ثم كذلك نشأت فروق غير
يسيرة بين الفصيحة اللغوية الواحدة بل بين لهجات اللغة الواحدة، ومن أجل ذلك أيضا غزرت
في كل لغة المفردات التي تدور حول مظاهر بيئتها الجغرافية، ودقت دلالاتها، وانبثقت في
شتى فنون القول، ومن أجل ذلك أيضا كان قسط كبير من مادة الخيال والتشبيه في كل لغة
مستمدًا من مظاهر البيئة وما اختصت به طبيعة البلاد، ومن أجل ذلك أيضا تمثل في أسلوب
اللغة وفنونها الأدبية ما تختص به بيئتها الطبيعية من تلبد أو صفاء، وقبح أو جمال وصخب
أو هدوء، وتنوع أو اطراد، وتقلب أو ثبات، وما ينبعث عنها من رخاوة أو قوة وخمول أو
نشاط وخشونة أو نعيم، ولهذا كله يستطيع الباحث معرفة البيئة الأولى التي نشأت فيها لغة ما
على ضوء مفردات هذه اللغة وغزارتها في بعض النواحي وجد بها في نواح أخرى وما تجنح
إليه أساليبها ومادتها في الخيال والتشبيه وخواص آدابها... وما إلى ذلك.

ومثال ذلك ما في الفصيحة السامية: ففي كل لغة منها تتمثل حالة البيئة التي سكانها الناطقون
بها، فالأرامية التي نشأت في الشمال جافة الألفاظ قليلة المفردات، ثقيلة التراكيب، مضطربة
القواعد، لا تكاد تواتي الأساليب الشعرية الراقية، والعربية التي نشأت في الجنوب أعذب

اللغات السامية ألفاظاً، وأغناها مفردات، وأدقها قواعد، وأكثرها مرونة واتساعاً لمختلف فنون القول.

1.2.2 قوانين التبدل الصوتي

إذا نظرنا في الأصوات أو الحروف في لغة من اللغات، إلا ونجدها معرضة للتبدل الصوتي الطارئ، كإنقلاب النون الساكنة قبل الباء ميماً في التلظف في اللغة العربية، وإدغامها فيما بعدها إذا كانت ساكنة وكان ما بعدها أحد الحروف الستة (يرملون)، أو للتبدل المستمر الذي أدى إلى إبدال صوت بصوت آخر كإبدال القاف العربية في بعض اللهجات إلى همزة أو ثاء تاء والذال دالاً، ومثل هذا ما حدث في اللاتينية حين تفرعت إلى عدة لغات أوروبية. إن هذه التبدلات والتصور الصوتي لا بد وأنه خاضع لقوانين تنظمه لكن هل هذه القوانين هي منظمة وهل هي خاصة بلغة دون أخرى...؟

إن وجود هذا النظام أظهر للباحث في اللغة الواحدة وهو كذلك ظاهر ظهوراً دون ذلك في اللغات المتقاربة والتي ترجع إلى أصل واحد، ومثال ذلك تبديل الكاف في الفرنسية شيناً كما رأينا ذلك سابقاً، ولكن قوانين التبدل الصوتي حين نجدها ونستخرجها ليست في عمومها واطرادها كالقوانين الطبيعية التي تنطبق على المادة ذلك أنها ليست متولدة عن طبيعة الأشياء بالضرورة وإنما هي في أكثر أحوالها نتيجة اتفاقات ومصادفات ليس من الممكن التنبؤ عن وقوعها.

وقد يكون التبدل واقعاً ن عصر دون عصر وفي جيل دون جيل فإن كثيراً من الأحرف العربية ولا سيما في بعض البيئات عادت إلى لفظها القديم الفصح. ومن الواجب التمييز بين التبدل الناشئ عن أسباب صوتية خالصة والناشئ عن تطور لتلفظ الحرف من عصر إلى آخر والتبدل الناجم عن سبب خارجي كالدين والاقتراس من لغة أخرى أو التقليد لبيئة غير بيئة المتكلم، ومما يلاحظ في قوانين التبدل الصوتي أنها لا تخلوا من استثناءات خلافاً للقوانين الطبيعية فكل ذال في الفصحى قلبت دالاً في العامية في بعض المناطق العربية قد تقلب زايًا في مناطق أخرى.

وما يحدث في اللغة من تبدل صوتي يكون في فترة زمنية طويلة، وأن هذا التطور لا يسير دائماً نحو اليسر والسهولة دائماً بل قد يكون العكس، وعلى هذا فإن كل لغة من اللغات تجتمع فيها عوامل مختلفة وظروف خاصة تسبب تبدل بعض أصواتها في بعض العصور والأمكنة والأصول، وتنشأ عنها آثار متنوعة في مجال الأصوات يحتاج البحث فيها وفي أسبابها وقوانينها إلى كثير من الدقة والبحث والتحليل.

1. مبدأ الاقتصاد اللغوي

تعتبر هذه النظرية أن الإنسان في نطقه للأصوات اللغوية، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وأنه يلتمس أسهل السبل لإيصال المعاني إلى المستمعين. هذا ما ذهب إليه عدد من العلماء وفي هذا يقول د. إبراهيم أنيس "العملية إذن لاشعورية وهي لهذا بعد تكررها تترك أثرا في تطور كثير من أصوات اللغات كما أنها ليست عملية ذات أثر سريع، بل تم في أطوار من اللغة حتى يظهر أثرها واضحا جليا بعد أجيال" [5]ص(236)، كما أشار النحاة إلى هذه النظرية عندما صنفوا الحركات (الفتحة والضمة والكسرة) إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيفة الفتحة والثقيلة الضمة والكسرة ووصفوا الحروف بالخفة كالـحروف الشفوية والحروف الثقيلة كـالهمزة والهاء والعين.

وقد يؤيد هذه النظرية ذلك التطور الذي حدث في بعض الأصوات الرخوة للغة العربية كالذال والطاء والظاء، إذ أصبحت في لغة الكلام أصواتا شديدة، هي الدال والطاء والضاد، لأنه يكون أسهل على المرء وهو يجري بأقصى سرعته أن يصطدم بحائط أمامه من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة، فكذلك اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك، والالتقاء به النقاء محكما ينحبس معه النفس وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة، من أن تقف حركته مسافة قصيرة من الحنك يكون بينها مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة. [5]ص(237)

ونجد من الدارسين من يدحض هذه النظرية ذلك أن هذا الاتجاه هو من قبيل الاتجاهات التي تقول بها النظريات التي تقول بأن هذا لا يحدث إلا في التطور الاختياري المقصود الذي تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح أما وقد ثبت التطور الصوتي تطور تلقائي آلي لا دخل للإرادة الإنسانية فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالخطة التي تقول بها هذه النظرية. حقا أن الحالة التي تتطور إليها الأصوات في جيل ما تكون دائما أكثر من حالتها الأولى تلاؤما مع طبيعة أعضاء النطق واستعدادها عند أهل هذا الجيل [24]ص(288)، ولكن لفظها قد يتطلب من الأعمال الصوتية وحركات أعضاء النطق أكثر مما يتطلبه لفظ الكلمة القديمة، فلا يتحقق حينئذ الاقتصاد الذي تقول به هذه النظرية.

ويظهر هذا مثلا في الموازنة بين الكلمة العربية (ماء) وما انتهت إليه في عامية القاهرة إذ أصبحت (مِيَّة) وبين الكلمة العربية "ذا الوقت" وما انتهت إليه في عامية بعض المقاطعات المصرية إذ أصبحت "دلوجتي".

وهذا ما يؤيده كل من العالمان مكس مولر Max moller و وتني Whitney [31]ص(117)

هذا ويجب أن ينظر إلى هذه النظرية لا على أنها العامل الوحيد في تطور الأصوات اللغوية بل على أنها قد تكون أحد القوانين التي تضبط التطور الصوتي، لأن هذا التطور في الحقيقة هو أساس ونتيجة لعوامل عديدة ذكرناها سابقا...

1.1 نظرية الشيوخ

نادى بهذه النظرية فيلهلم تومسان Vilhelme tomasen، وهي تقرر أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور من غيرها. وقد كان القدماء من علماء اللغة العرب يذهبون إلى هذا الرأي وإن كانت محاولاتهم قليلة في هذا الشأن من أجل إبرازه إلا من بعض الإشارات في كتاباتهم، فالصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام، كان عرضة لظواهر لغوية، كان القدماء يسمونها أحيانا إبدالا، وفي بعض الأحيان يسمونها إدغاما، وقد يتعرض الصوت الكثير الشيوخ إلى السقوط من الكلام. فظاهرة كالأعلال والتي هي تحول اللام والنون والميم إلى ياء أو واو، وهذا لا يعني أن كل لام أو نون أو ميم قد تتحول إلى ياء أو واو لأن هذا يجعل اللغة خالية من اللامات والياءات والميمات وهو ما يخالف الواقع، وإنما هناك ظروف خاصة ومواقع خاصة في بعض الكلمات، وتلك العوامل الخاصة تكمن في كون الصوت يتميز بالنبر أو لا يتميز أو يمتاز بالطول أو القص.

والسؤال المطروح هو هل جاء في البحوث القديمة أن الواو والياء كانتا في الأصل لاما أو نونا أو ميم؟ هذا السؤال يجعلنا ننقب في المعاجم العربية عن ألفاظ اشترك معناها ولم يختلف لفظها إلا أننا نجد مكان الياء أو الواو منها لاما أو نونا أو ميم، ومثال ذلك:

جملة: نشر الخشبة بالميشار إذا نشرها بالمنشار

ونقول: الوقص بمعنى النقص واللكز بمعنى الوكز...

من هنا نتبين أن اللام والميم تعد من الناحية الصوتية أشباها لأصوات اللين وإلى أن الواو والياء أنصاف لأصوات اللين، ولقد تفتن العلماء القدامى في العربية إلى تحليلها تحليلًا منطقيًا يظهر لنا هذا من خلال ما ذكره ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب: "إنهم أدغموا النون في الميم لاشتراكها في الغنة والهواء في الفم، ثم إنهم حملوا الواو في هذا على الميم فأدغموا فيها النون لأن الواو ضارعت الميم بأنهما من الشفة وإن لم تكن النون من الشفة، ثم إنهم حملوا الياء على الواو في هذا لأنها ضارعتها في المد وإن لم تكن معها من الشفة، فأجازوا إدغام النون في الياء". [4]ص(65)

وذكر ابن جني أيضا: "إن النون شَبها بحروف اللين قويا لأشياء منها الغنة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين، ومنها اجتماعها في الزيادة معهن ومعاقبتها لهن في الموضع من المثال الواحد، وكذلك حذفت النون في لم يك كما حذفن -أي حروف اللين- كذلك في نحو غزا القوم وجعلوها أيضا في الرفع نحو يقومان ويقومون. ومن هنا نتبين أن التطور الصوتي هو من أهم عوامل التطور اللغوي وأن نظريتنا الشيوع والسهولة من بين النظريات الأكثر تأثيرا في هذا التطور [5]ص(242)

1.1.1 التغيرات الصوتية في السياق

من أهم ما يتعرض له الصوت اللغوي في سياق الكلام تلك الظواهر التي يسمونها (ظواهر الدمج) ومن أهمها ما يأتي:

2.1.1 الانتقال الديناميكي

عندما ننطق تقطيعا كلامية مثل:

- (ذاهبة) أو (ما- إن لقيه) أو (في ما - إن مكناكم- فيه) أو ما يشبهها... فإننا نحس - وخاصة- عندما يكون النطق سريعا غير متأن فيه، والنبر غير واضح: أن أصوات التقطيع قد اندمج بعضها في بعض بصورة ضيعت حدود الكلمات، وجعلت التقطيع تبدو في صورة تقييم كلمي آخر.

فكان المثال الأول (ذا-هبة) صار في النطق كلمة واحدة (ذاهبة) والمثال الثاني (ما-إن لقيه) صار كلمتين هما (ماء-لقيه) كما صار الثالث (ما-إن مكناكم-فيه) ثلاث كلمات هي (ماء- مكناكم-فيه) بدلا من أربع.

ومعنى هذا أن صوتا -أو أكثر- من كلمة انتقل ديناميكيا إلى كلمة أخرى، فالفتحة الطويلة (ألف المد) في كلمة (ذا) التي كانت تعد نهاية لكلمة، صارت وكأنها حركة داخلية في كلمة أخرى جديدة هي كلمة (ذاهبة) من الذهاب وهي مؤنث (ذاهب).

والنون التي كانت تمثل النهاية لكلمة (إن) في المثال الثاني والثالث ظهرت وكأنها مجرد تنوين في نهاية كلمة جديدة هي (ماء).

ويمكن لمن تتبع صور النطق في العربية أن يحصل على أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة التي يسميها علماء الصوتيات (الانتقال الديناميكي) من (بادئ) أو (مبتدأ به) إلى (خاتم) أو (مختتم به) وقد تحوله في ظروف أخرى من (منته به) في كلمة إلى صورة يبدو فيها (متوسط) في كلمة أخرى وهكذا.

ولا شك أن الانتقال الديناميكي له أثره في اللغة وخاصة عند غير أبناء هذه اللغة، ومن ثم فإننا في حاجة إلى دراسة ومعرفة آثاره في لغتنا العربية، وبخاصة في أداء هذه اللغة وصور نطقها عبر العصور.

3.1.1 التضعيف

كثيرا ما يلتقي صوتان متماثلان في التقطيع الكلامية، يقع أحدهما -مثلا- في نهاية كلمة لغوية، ويقع الآخر في بداية كلمة أخرى، وهنا لا يسع المتكلم إلا أن ينطق هذين الصوتين بصورة حركية مشتركة، عبر عنها القدماء بقولهم: (فيصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عند النطق بهما إرتفاعا واحدة) [32] ص (104) فنقول مثلا:

(لم يقف فكري على حقيقة الموضوع)
أو (اضرب بعصاك).

فتضعف الفاء في المثال الأول (يقف فكري) و(الباء) في المثال الثاني (اضرب بعصاك) ولو لم يلتقي الصوتان في تقطيع كلامية واحدة ما حدث هذا الازدواج أو (التضعيف).
فالتضعيف هنا ظاهرة صوتية سياقية، وهو يدخل فيما سماه القدماء من علماء العربية (الإدغام).

وتحدث هذه الظاهرة كلما تهيأ هذا اللقاء بين صوتين المتماثلين سواء أكان هذا التماثل أصليا أم نتيجة لتغير صوتي سياقي كما سيأتي .

2.1 التقصير أو التخفيض

ومن الظواهر المهمة التي يتعرض لها الصوت -أيضا- في السياق تقصيره أو تخفيض زمن نطقه وتقليله، مراعاة لنظام معين من نظم اللغة، أو تحقيقا لاتجاه من اتجاهات التكلم.
فإذا نطقنا مثلا كلمة -كتبوا- بضمة طويلة (واو المد) عندما تكون مفردة، أي معزولة عن السياق، أما عندما ننطقها في صيغة الوصل في مثل التقطيع الكلامية (كتبوا الدرس) فإننا نلاحظ: تخفيض تلك الضمة الطويلة، وتقليل زمنها، بحيث تبدو وكأنها (ضمة قصيرة) والضمير (أنا) ينطق في صيغة المفردة أو القاموسية، أو عند السرد مختوما بالفتحة الطويلة (ألف المد) في المقطع (نا) ولكنه عندما يقع في سياق مثل (أنا الكاتب) فإننا نخفض زمن الفتحة الطويلة، وننطقها في صورة الفتحة القصيرة كقوله تعالى: ﴿أَنَا أَحْيَ وَأَمِيتُ﴾ .
وقوله عز شأنه: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ ومثل ذلك يمكن أن يقال عن (الكسرة الطويلة) و(الضمة الطويلة) في نحو (القاضي) أو (القاضي الفاضل) وفي نحو (يَرْجُو) و (يَرْجُو اللَّهَ).

فالسباق في كل هذه الأمثلة يقتضي تخفيض الحركة الطويلة وتقصيرها، وقد يخفض الصوت الصامت أيضا في السباق ولعل ظاهرة (إخفاء النون) في سياقات معينة -وضحها علماء التجويد- من أوضح الأمثلة على ذلك.

ومن الملاحظ أن بعض الأصوات الصامتة الطويلة تنخفض أحيانا كما في مثل (مستمر) بتشديد الراء، عندما ننطق (مستمر) براء واحدة. وقد تنبه علماء التجويد إلى ذلك التخفيض، وحذروا من حدوثه في مثل (مستقر) و(مستمر) للمحافظة على الراء المشددة.

1.2.1 الحذف

كما قد يقتضي السباق -أحيانا- تخفيض الأصوات وتقصيرها، وفي أخرى حذفها من الكلام، ولذلك أمثلة كثيرة في العربية منها: حذف (التاء وحركتها) في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا

بالألقاب﴾ . وقوله صلى الله عليه وسلم: (وَلَا تَنَازَعُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ﴾ .

والأصل في ذلك (تتنابزوا) و(تتنازعوا) و(تتحاسدوا) و(تتباغضوا) ولكن اتجاه كراهة توالي الأمثال في اللغة العربية جعل حذف (تاء) التفاعل مع حركتها مستساغا هنا. وقد يحدث أن تتوالى ثلاث تاءات فيكره الذوق لاستعمالي توالي هذه التاءات الثلاث ويصبح حذف (تاء) التفاعل أمرا أكثر تفضيلا، وذلك نحو (وَلَا تَتَابَعُوا فِي الشَّرِّ) [32]ص(298) أصلها (تتابعوا) بثلاث تاءات فحذفت إحداها.

2.2.1 الوصل

عندما ينطق الإنسان مجموعة كلامية مثل (خرجت من البيت) فإننا نلاحظ أن الكلمة (من) قد أدمجت أصواتها في الكلمة التي تليها، ونتج عن ذلك (تقطيعة كلامية) هي: (من البيت). وبالتأمل في هذه التقطيع: وموازنة الكلمتين اللتين تكونتا نرى (من) تنطق (مِنْ) بفتحة بعد النون، وأن الكلمة الثانية (البيت) تنطق (لَبَيْت) بدون حاجة إلى همزة الوصل، التي كانت في أولها، فقد أغنت عنها تلك الحركة التي نطقت بعد النون، ومثل هذا يحدث في كثير من الكلمات التي يتصل بعضها ببعض في النطق دون (سكتة أو وقف) أي فيما يسمى بالتقطيعات الكلامية أو الكلمات الصوتية، وتسمى هذه الظاهرة (بالوصل والاتصال) وهي تخضع لما يسمى في العربية (بالتخلص من التقاء الساكنين) وبملاحظتها يتبين أن لكثير من الكلمات صيغتين: إحداها تكون في الوصل والأخرى تكون عند عدمه.

3.2.1 التغيرات التكوينية أو التلاؤمية

نذكر في هذا المجال ما قاله الأديب العربي الأندلسي (ابن شهيد) في وصية لغوية صوتية لأحد أصحابه:

"إن للحروف أنسابا وقرابات، تبدو في الكلام، فإذا جاوز النسيب النسيب ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة" [34]ص(233)

فابن شهيد في هذه الكلمة اليسيرة يشير إلى نظام مهم وقانون من قوانين الأصوات أدركه السابقون ودرسه المحدثون.

ذلك أن الصوتين عندما يلتقيان في الوحدة الكلامية، ويدمجان معا، فإنه يحدث نتيجة لهذا الدمج أحد أمرين:

1 - ميل إلى التماثل والتقارب بينهما.

2 - ميل إلى التخالف والتباعد.

والميل الأول هو ما أطلق عليه المحدثون مصطلح (المماثلة أو التماثل) أما الميل الثاني فقد أطلق عليه مصطلح (المخالفة أو التخالف).

وقد عني علماء الأصوات بدراسة كل من هذين الميلين، حيث لاحظوا أنهما قد أخذتا -في اللغات- صفة التردد والتكرار، بحيث صارتا نظامين أو قانونين من أهم قوانين الأصوات. ومما يجدر الإشارة إليه: أن علماء العربية القدامى قد عرفوا هذين القانونين ولاحظوا هاتين الظاهرتين في كثير من معالجاتهم لقضايا اللغة والأصوات وتتمثل هذه الظواهر فيما يلي:

1. المماثلة Assimilation

فقد عني علماء اللغة العربية القدامى بهذه الظاهرة وخصصوا لها حيزا عظيما [35]ص(29) من كتبهم ودرسوها تحت تسميات عديدة من أهمها الإدغام الجزئي أو التقريب أو البذل أو الإبدال أو القلب أو الإقلاب.

فقد لاحظ الخليل بن أحمد وأدرك سببها وأشار إليها بقوله (ليكون عمل اللسان من وجه واحد) [36]ص(139) كما عرفها سيبويه) وسماها (المضارعة) في قوله (باب الحرف الذي يضارع به سرف من موضعه) أو (التقريب) غذ يقول (وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ليعني يقربوا الصاد من الزاي أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد). [36]ص(139)

وعني بها بصورة أوسع في دراسته للإدغام.

وواضح مما ذكر أن الخليل وسيبويه أنهما أدركا سبب تلك الظاهرة وأرجعها إلى نزعة المتكلم إلى الاقتصاد في الجهد العضلي وهو ما لم يعرفه الباحثون في العصر الحديث إلا منذ وقت قريب. [37]ص(17)

إذا كان القدماء قد اتفقوا أن ظاهرة المماثلة تهدف إلى تقليل الجهد العضلي في الأصوات المنطوقة، وإلى الانسجام بين الأصوات، فإنهم أخذوا في الوقت نفسه يبحثون من وسائل المحافظة على الأصوات من آثار تلك الظاهرة، وبخاصة علماء القراءات والتجويد الذين يحذرون من نطق الأصوات متأثرة بما جاورها، فهذا (ابن جزري) يوجه في كتابه (النشر في القراءات العشر) تحذيرا من الوقوع في ذلك التأثير الذي يعد خطأ [39]ص(214) ومثال ذلك الجيم في كلمة (اجتمع) قد تتأثر في بعض صور النطق بالتاء المهموسة بعدها، فتتحول الجيم المهترئة إلى نظيرها غير المهترئ، وعلى هذا تتطوق (كافا) (اكتمع) وقد يزيد التأثير فتتحول إلى (شين) فتصير (اشتمع).

وقد يكون بين صوتين أحدهما مجهور والآخر مهموس فيؤثر أحدهما على الآخر كما رأينا في المثال السابق بالنسبة للغة العربية الذي أثرت فيه التاء المهموسة على الجيم المجهورة فصارت الكلمة (اكتمع) بكاف مكان الجيم، وقد يقع التأثير بين صوتي أحدهما شديد أي مغلق والآخر رخو أي احتكاكي، فيؤثر أحدهما في الآخر تأثيرا يصل إلى حد الإدغام، فمثال ذلك (الذال والذال) في قولك (قد ذكرك أخوك بخير) فقد تتطوق العبارة وقد أثرت (الذال) الاحتكاكية على (الذال) المغلقة فصارت مثلها حتى يصل هذا التأثير إلى إدغامها هكذا (قدذكرك أخوك).

وقد يؤثر الصوت المطبق على آخر ليس كذلك فيصبح مطبقا مثله وذلك كالضاد في قولك (سطرت الكتاب) فقد أثرت على (السين) فانتقلت إليها صفة الإطباق حتى تتطوق صوتا أقرب إلى الصاد (صطرت الكتاب)...

وقد يكون التأثير في المخرج (مخرج الصوت) أو مكان نطقه وذلك ما سماه أهل القراءات (الإقلاب) فصوت (النون) الذي أعقبه صوت (الباء) قد تأثر بها إلى درجة أن مخرج النون لم يعد عند طرف اللسان وما يقابله، وإنما انتقل إلى الشفتين لتصبح النون وكأنها (ميم) وذلك لأن الميم أقرب مخرجا من (الباء) فهما من الشفتين غير أن الباء أدخل من الميم.

من هذا نعلم أن ظاهرة المماثلة تختلف فيما بينها في نسبة التأثير وفي نوعه، وأنها غير كل اللغات وهي في العربية أكثر من أن تحصى وأيضا في قراءة القرآن الكريم الذي يذل العلماء

في تحديد المقبول منها وغير المقبول الجهد الكبير وبخاصة ما سموه (بالإدغام) والذي هو في حقيقته أبرز مثال على وجود الظاهرة في لغتنا العربية.

1.1 المخالفة Dissimilation

إذا كان علماء العربية عنوا بظاهرة المماثلة عندما التفتوا إليها على النحو السابق فإنهم لم يلتفتوا إلى ظاهرة (المخالفة) بالشكل أو الدرجة ذاتها، إلا أننا نجد أن سيبويه قد أشار إلى هذه الظاهرة في (باب) ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكرهية التضعيف وليس بمطرّد [40]ص(276)

ويذهب "برجشتراسر" إلى أن أسباب المخالفة "نفسية محضة نظيره الخطأ في النطق فهو يقول أننا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها -قبل النطق بها- تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة. أنظر [41]ص(21)

وإذا عرفنا أن المماثلة هي محاولة لتقريب المختلفين في الصفات أو في المخرج حتى يصيرا في بعض الصور إلى صورتين متماثلتين، فإن (المخالفة) هي العكس من ذلك فهي محاولة لإيجاد الاختلاف بين المتماثلين وذلك أن المثليين قد يسببان صعوبة ما في نطق بعض السياقات الكلامية ويتطلبان بذلك جهداً عضلياً كبيراً وحرصاً على قانون (الاقتصاد في الجهد العضلي) الذي يميل إليه الناطقون غالباً في معظم اللغات فإن المتكلم قد لا يجد وسيلة أمامه في التخلص من الصعوبة إلا أن يخالف بين المتماثلين سواء أكانت المخالفة في الصفة أو في المخرج. ومثال ذلك (الكلمة) (تظننت) فيها ثقل في النطق، نشأ من اجتماع الأمثال وهي (النونات) وتخلصاً من ذلك فقد أبدلت النون الثالثة (ياء) فقالوا (تظنيت) والخلف بين (الياء) و(النون) واضح.

والكلمة (تقصصت) كذلك اجتمع فيها مثالات هما (الصادان) وفي ذلك الصعوبة والجهد العضلي ما لا يخفى، وتفادياً لهذا كله فقد أبدلت الصاد الثانية (ياء) كالمثال الأول فقالوا: فهي: (تعصيت) والفرق كبير بين (الصاد) و(الياء) [5]ص(219). ومما سبق يتضح لنا أن الأصوات اللغوية وبخاصة في العربية تتطور وتتغير تأثراً (بالاقتصاد في الجهد العضلي) والحرص على مبدأ (السهولة) و(اليسر) فتأخذ في طريق هذا التطور شكلين أحدهما ما سمي (بالمماثلة) والآخر ما سمته الدراسات الصوتية الحديثة (المخالفة).

1.1.1 الظواهر فوق المقطعية

عند سماع قطعة كلامية ما فإننا قد نتأثر بها، وننفع مع كل جزء منها، خاصة إذا كانت تنقل أفكار جيدة ومعبرة عن أحاسيس ومشاعر، فالكلام كجهاز البرق كلما دق المتكلم دقة معينة حدثت مثيلة لها في ذهن السامع، ومن هنا يستطيع المتكلم الحاذق أن يضع أفكاره وأحاسيسه في أذهان سامعيه، وأن يجذب انتباههم إلى ما يريد، وهو قادر أيضا على إثارتهم بمقدار قدرته على تهدئتهم، إنه كالعازف الموسيقي تلعب أنامله بمشاعر المستمعين.

وكما يقف الناس أمام اللوحة الرائعة، والصورة الفاتنة، يهزون رؤوسهم إعجابا واستحسانا، وكما ترتفع حناجرهم بصيحات الافتتان أمام لحن موسيقي جميل أو تلاوة عطرة، دون أن يفكروا في عناصر الأمر أو مصادر الفتنة في هذه أو تلك.

ولكن الخاصة من العلماء لا يقف هذا الموقف، فهم في سبيل تقنين صور التأثير ومظاهر الجمال والتعبير، يضعون الصور الأدائية كـ مجال للبحث والدراسة.

وقد هداهم البحث والتفكير إلى أن الكلام ليس مجرد كلمات بعضها بجوار بعض كما أنه ليس عبارة عن هيئات وتراكيب معينة تقوم بدور الرموز المصطلح عليها لمعان معينة فقط بل إنه شيء أكثر من هذا وذلك.

وقد قال هفنر Hifner: إن الكلام أو النطق بأي لغة لا يستحق أن يوصف بهذا الوصف لمجرد أنه يحقق النطق السليم لأصوات الكلام المختلفة بل إنه يتطلب إلى جانب ذلك أموراً مهمة هي:

- الدمج الخاص بأصوات الكلام في الصيغ المقطعية والصيغ التي تكبرها مثل الكلمة والمجموعة الكلامية والجملة.

- استعمال النغمة النبرية الملائمة للمواقف المختلفة.

- التوزيع الصحيح للشدة على أجزاء الكلام.

- التغيرات التنغيمية لنغمة الكلام.

- توزيع الكم الزمني للأصوات توزيعاً صحيحاً.

- توزيع التلوين الصوتي توزيعاً صحيحاً.

ومن هنا فإن الكلام لا يكون كلاماً، بمعناه الكامل، حتى يجمع بين عوامل الصحة وعوامل الجمال.

ومن هنا كانت عناية الأمم بأداء لغاتها وموسيقية كلامها، ونحن في اللغة العربية أحوج ما نكون إلى هذا، إذ أننا نعيش نوعاً من الفوضى الأدائية التي يكون لها تأثير على لغتنا.

إذ أن هناك عناصر لا بد من معرفتها والبحث فيها وهذه العناصر هو ما سنتعرف عليه
بإيجاز وأهم هذه العناصر هي:

التنغيم، وصفة الصوت، وسرعة الكلام، والنبر، والطول، والوقفات، والإيقاع.

2.1.1 التنغيم Intonation

لكل صوت كلامي تهتز الأوتار الصوتية، ونغمة الصوت هي إحدى صفاته، وكثيرا ما تكون
عاملا مهما في أداء الإشارة أو العلامة اللغوية لوظيفتها، أي في دلالتها على المراد منها.
والتنغيم هو "تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين" [42]ص(93) أو
هو تنوع الأصوات بين الارتفاع والانخفاض أثناء الكلام نتيجة لتذبذب الوترين الصوتيين،
فيتولد عن ذلك نغمة موسيقية، ولذا يطلق على التنغيم أيضا "موسيقا الكلام" أو "اللحن".

[25]ص(135)

ومن المعروف أن نغمة الصوت تتغير من التدرج في إنتاجه، فأحيانا لا تكون هناك موجتان
صوتيتان متتابعتان في صوت كلامي، لهما طول واحد، أو فترة تذبذب واحدة تماما، لكن
البحث اللغوي لا يضع هذا في اعتباره لأنه إنما يراعي النغمة النسبية، ولا يراعي الدرجة
الفعلية، أو إنه يراعي ما يمكن للأذن البشرية إدراكه، وهو إحساس نسبي بأن النغمة في هذا
الصوت كانت مرتفعة أو هابطة بالنسبة للصوت الآخر.

وإذا نحن سلمنا بأن التغير في النغمة يحدث في أثناء الصوت الواحد، فإن من الأولى أن نسلم
بحدوث هذا التغير في انتقال المتكلم من صوت إلى صوت، ومن مقطع إلى مقطع ومن كلمة
إلى أخرى.

وفي بعض اللغات يكون التنغيم عنصرا مهما في تحديد معنى الكلمة، فبعض الصيغ المتماثلة
في النطق لا يتميز بعضها عن بعض إلا بالنغمة، فهذه اللغات استغلت مرونة النغمات التي
تحملها أصواتها واتساعها وتنوعها للغايات الصرفية خير استغلال، ففي الصينية مثلا تعد
النغمة جزءا متصلا من الكلمة، وقيمتها الفونيمية تعادل تماما أصوات العلل أو الأصوات
الساكنة [25]ص(135)

والتنغيم في بعض اللغات كالإنجليزية، يؤدي وظيفة نحوية حيث يستعمل للتفريق بين المعاني
المختلفة للجملة الواحدة فعبرة مثل (السلام عليكم) تنطق بتنغيم معين فتدل على التحية وبتنغيم
ثان فتدل على التهكم والسخرية وبآخر فتدل على شعور بالغضب أو الرضا، فالتنغيم يعد
جزءا من النظام النحوي للغة. [25]ص(135)

3.2.1 صور التنغيم

وتختلف طبيعة هذا التغير النغمي، فقد يكون إلى أعلى، يعني بالارتفاع في نغمة الصوت عن الصوت السابق عليه، أو إلى أسفل، أي بالهبوط في تلك النغمة عن نظيرتها السابقة عليها، ولكن هذا الارتفاع وذلك الهبوط يكون دائما حول متوسط ترددي ثابت، وقد يكون التغير بالصعود ثم الهبوط، أو بالهبوط ثم الصعود وذلك كله بدرجات متفاوتة وصور مختلفة [43]ص(53).

وهذه صور التنغيم الأساسية ورموزها:

- تنغيم صاعد: ورمز له () ↗
- تنغيم هابط: ورمز له () ↘
- تنغيم صاعد هابط: ورمز له () ↗↘
- تنغيم هابط صاعد: ورمز له () ↘↗
- تنغيم مستو: ورمز له () →

4.3.2.1 قوالب التنغيم

وينشأ تبعاً للتغيرات السابقة في نغمات الأصوات قوالب نغمية للوحدات الكلامية المختلفة، تؤدي أدواراً معينة تبعاً لنظام كل لغة، فهناك القالب النغمي للكلمة الذي يمثل خط تغيرات نغمات مقاطعها.

بين صعود وهبوط واستواء، ويتوقف عليه معرفة معناها في بعض اللغات، وهناك القالب النغمي للجملة أو النقطيعة الكلامية وهو ما يسمى بـ (ميلودي الكلام) أو (موسيقى الكلام) ويمثل خط ارتفاعات وانخفاضات نغمات المقاطع المختلفة في داخل الجملة أو المجموعة الكلامية ويوصف هذا القالب أيضاً بالصعود والهبوط أو بكليهما، تبعاً للتراز التعبيري للجملة أو الحالة النفسية للمتكلم [43]ص(57)

2. وظائف التنغيم

للتنغيم وظائف كثيرة في مختلف اللغات، لكن بعض هذه الوظائف عام بمعنى أنه موجود في معظم اللغات، إن لم يكن في كلها، وبعضها خاص ببعض اللغات، ويمكن لنا تصنيف هذه الوظائف بصورة عامة فيما يأتي:

1.2. وظائف فونولوجية أو دلالية

ونعني بها، التفريق بين المعاني، فالكلمة مثلا تنطق بـقالب نغمي معين فيكون لها معنى، فإذا نطقت بـقالب نغمي آخر، وهذا هو النظام الشائع في اللغات التي تعرف باللغات النغمية، التي تنتشر كثير منها في آسيا وإفريقيا كما يوجد في بعض اللغات الأوروبية، كالسويدية والنرويجية والصربو كرواتية وفي اللغة الإنجليزية يؤدي التنغيم هذا الدور لكن بمشاركة النبر، فبعض الصيغ المتماثلة في النطق لا يتميز بعضها عن بعض إلا بالنغمة، وكثيرا ما يعمل التنغيم على مستوى العبارة والجملة وليس على مستوى الكلمة وهكذا يفرق بين معنى الجملة "ظهر الحق" إذا ما نطقت بتنغيم هابط، لتدل على التقرير أو بنغمة صاعدة لتدل على الاستفهام [10]ص(222)، وفي قولنا السلام عليكم فإنها تفيد معاني مختلفة إذا كانت بأنغام مختلفة.

1.1.2. وظائف نحوية

ويعني بها التفريق بين أنواع الجمل وبين وظائفها وما يتصل بذلك من معانيها وهذه الوظيفة تشيع في كل اللغات تقريبا، فنحن نقول في العربية (وصل القطار) بنغمة هابطة فتكون الجملة إخبارا وإذا نطقناها بنغمة صاعدة كانت استفهاما، وهكذا يمكن أن تحمل الجملة معنى التهديد أو السخرية والتهكم، أو التعجب أو غير ذلك تبعا لصورة التنغيم التي تنطق بها. [10]ص(222)

وإذا كان التنغيم هو الذي فرق بين المعاني النحوية للجملة هنا، فإنه يشارك كذلك في أداء هذا الدور إذا كان في الجملة من الأدوات ما يدل على هذه المعاني مثل (أدوات الاستفهام، أو التعجب) وما يشبه ذلك، وإذا نطق أحدها جملة استفهامية مثل "هل حضر أخوك؟ بتنغيم الإخبار كان خارجا على النظام الأدائي للغة ولا يمكن إلا أن يكون محل سخرية المستمعين، فالتنغيم مستقل وحده بالتميز بين التركيبين التقريري والاستفهامي من دون إضافة أي من الأدوات (النحوية) . [10]ص(223)

2.1.2. النبر L'accent

1. معناه وتصوره

عندما نستمع إلى كلمة أو قطعة من الكلام، في أداء جيد، فإننا نحس أن بعض أجزائها أوضح من غيرها، وأقوى في السمع من مجاوريها بحيث تجذب انتباهنا إليها، وتثير في أنفسنا الاهتمام بها.

فالكلمات التالية (مدرسة، مطبعة، مزرعة) ينطقها بعض الأطفال في المدينة وآخرون من الريف، فإننا نحس بوجود فرق صوتي بين صورة النطق عند أبناء المدينة وأبناء الريف. فإذا أحسسنا بالفرق بين النطقين فإننا ملزمون بالسؤال عن طبيعة هذا الفرق الذي نحس به وعن سبب حدوثه؟ وسوف ندرك عن طريق الحس اللغوي أن هذا الفرق يأتي في صورة إبراز جزء من الكلمة عند الناطق الأول، وإبراز جزء آخر منها عند الناطق الثاني، فإننا نستمتع إلى الناطق الأول يبرز في الكلمات الأولى المقطع الذي قبل المقطع الأخير وهو على الترتيب (ر.ب.ر.ز.ر.ل.ب) على حين أن الناطق الثاني يبرز المقطع الأول فيها وهو على الترتيب (مد.مط.مز.مخ.مص.مق).

ومن هنا فإن النبر هو مصطلح صوتي يعني الضغط على صوت أو مقطع معين في نطق الكلمة فيتميز هذا الصوت بالعلوم، والارتفاع أي أنه يكون أوضح من سائر الأصوات المجاورة له، فالنبر -إذن- هو ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية الأصوات أو المقاطع في الكلام. [23]ص(160)

وتختلف اللغات في مواضع النبر، ففي اللغة اللاتينية يكون النبر على ما قبل المقطع الأخير إذا كان المقطع الأخير طويلاً، أما إذا كان قصيراً فإن النبر يقع على المقطع الثالث من الآخر، وفي اللغة الفرنسية يقع النبر دائماً على المقطع الأخير إلا إذا كان هذا المقطع يشتمل على الحرف الساكن. [9]ص(153)

ولكي نتعرف عن النبر وعن الأسباب الفسيولوجية والميزات الفيزيائية فإننا نوضح ذلك بما يلي:

1.1.1. التصور الفسيولوجي للنبر

عندما نقوم بعملية الكلام فإن نوزع الطاقة العضلية على التحركات التي تقوم بها أعضاء النطق، فيأخذ كل تحرك القدر الضروري لإنتاج الصوت المطلوب منه، ويبقى عند المتكلم بعد ذلك قدر من هذه الطاقة، يوزعه مرة أخرى على هذه التحركات ويتيح له هذا التوزيع منع بعض التحركات نصيباً أكبر من غيرها، فتتميز بذلك عن سواها، وتبدوا أعضاء النطق معها أقوى وأكثر نشاطاً في قيامها بعملها، فالضغط على الرئتين يكون أشد، واهتزازات الأوتار الصوتية تكون أقوى، وتحركات الأعضاء التي فوق الحنجرة كالحلق وسقف الحنك واللسان والشفتين تكون أحكم وأدق، ونتيجة لذلك يحدث صوت قوي أو مقطع منبور [5]ص(188).

1.1.1.1. التصور الفيزيائي للنبر

أما من الناحية الفيزيائية فإن النبر يحدث نتيجة تغيير في توزيع العناصر الفيزيائية أو الأكوستيكية التي تتمثل في: الشدة، والتردد الأساسي، والكم الزمني، ولون الصوت وبما أن لكل صوت جزء معين من هذه العناصر، لا يتحقق وجوده إلا به، فإن المتكلم يمتلك جزءا منها يستطيع توزيعه على أصوات كلامه ليمنحها موسيقاها وترابطها ووحدتها، وعن طريق التغيير في هذا التوزيع يمكن للمتكلم أن يبرز أي جزء من أجزاء منطوقة تبعا لنظام اللغة التي يستعملها، وذلك بمنح هذا الجزء مثلا شدة أكبر، أو ترددا أساسيا أعلى أو كما زمنيا أطول، أو لونا صوتيا معينا، فيثير ذلك الإحساس بإبرازه ونبره عند السامع.

2.1.1. أنواع النبر

عرفنا فيما سبق أن السامع يحس بالنبر عن طريق التغيرات في العناصر الفيزيائية التي هي: الشدة، والتردد الأساسي، والكم الزمني ولون الصوت، فالنبر قد يحدث بالتغيير في هذه العناصر جميعها أو في بعضها، ومن هنا فقد جرت العادة بنسبة النبر إلى العنصر الغالب في إحساس السامع، ولهذا يقسم النبر إلى أنواع هي:

1. نبر الشدة ويسمى الديناميكي *L'accent d'inamicale* إذا كان عنصر الشدة هو الغالب في إثارة الإحساس بالنبر عند السامع.
2. نبر النغمة أو النبر الموسيقي *L'accent musicale* إذا كانت الغلبة لعنصر النغمة.
3. نبر الزمن أو الطول أو النبر الزمني *L'accent guratitative* إذا كان النبر عن طريق الزمن.
4. نبر اللون أو النبر اللوني *L'accent qualitative* إذا جاء النبر عن طريق تغيير لون الصوت.

وقد ينسب النبر إلى أكثر من وسيلة من الوسائل السابقة إذا تساوت وسيلتان أو أكثر في إثارة الإحساس به، ولكل لغة في ذلك نظام معين، ولغتنا العربية تشمل على كل هذه الأنواع. وهناك من ميز بين نوعين رئيسيين من النبر الأساسي، إذ يعد كل منهما مميزا لمجموعة من اللغات وهما النبر الثابت (أو المقيد) والنبر المتحرك (أو الحر) ففي بعض اللغات يتخذ النبر الأساسي موقعا ثابتا على المقطع قبل الأخير من الكلمة، على حين يقع النبر الأساسي في لغات أخرى دائما على المقطع الأول منها، ففي الفرنسية يتخذ موقعه على المقطع الأخير دائما، وفي مثل هذه اللغات يمكن أن يستعان بموقع على المقطع الأخير دائما، وفي مثل هذه اللغات يمكن أن يستعان بموقع النبر الأساسي على تعيين الحدود بين الكلمات، وإن كانت

دلالته في الجملة الفرنسية الطويلة على نهاية العبارة أو الجملة أوضح من دلالته على الحدود بين الكلمات.

بينما تصلح العربية مثالا للغات التي تنتمي إلى مجموعة النبر الحر، فالنبر الأساسي يرتبط بنوع المقطع وموقعه، ومن ثم قد يقع على المقطع الأخير أو ما قبل الأخير أو ما قبل ذلك، ومثاله وقوع النبر الأساسي على المقطع الثالث (بدء من نهاية الكلمة) [5]ص(238) وقد يستخدم النبر لتتويع المعاني مثل قول القائل (اسمع) في حالات الأمر والرجاء والاستهزاء، وكلمة "محمد" قد تقال فتفيد البناء ثم تنطق بشكل آخر فتفيد الأخير وتنطق بشكل ثالث فتفيد الاستفهام، وغير ذلك من المعاني الإيحائية التي تتشكل عن طريق النبر.

3.1.1. وحدات النبر

4.1.1. النبر المقطعي

يرتبط غالبا بالمقطع باعتباره أقل الوحدات الصوتية التي يمكن للنبر أن يتحقق فيها ولهذا الارتباط مبرراته الفسيولوجية، والفيزيائية، فالمقطع وحدة مركبة، والنبر هو توزيع للطاقة العضلية على هذه الوحدة، كما يشتمل المقطع على قمة من البروز الطبيعي، ولذا فقد عد النبر صفة طبيعية للمقطع، ونسب إليه، كما يقع النبر عادة على قمة المقطع أي الحركة أو الصائت vowel (voyelles).

1. نبر الكلمة

والمقصود بالكلمة هنا (الكلمة الصوتية) التي هي عبارة عن مجموعة من الأصوات ذات معنى تنطق معا وليس بينها فاصل صوتي أكبر من الفاصل الذي يكون بين المقاطع، ولكل كلمة من هذا النوع قالب نبري، يشتمل عادة على جزء مبرز عن بقية الأجزاء هذا الجزء بالمقطع الحامل للنبر أو (المقطع المنبور) في الكلمة، وهنا فإن النبر قد وقع عليه. وتختلف اللغات في تحديد هذا الجزء أو ذلك المقطع في الكلمات المكونة من أكثر من مقطع. فمن الطبيعي أن تتفاوت مكونات المقطع تبعا للجهد الذي يختص به في أثناء النطق، ومرد الأمر كله إلى الخصائص اللغوية الذاتية لهذه الأصوات نطقيا وفيزيائيا، ويفضي بنا ذلك إلى شيء من البيان لمبدأ الجهارة، بوصفه أساسا سمعيا لتحديد ماهية المقطع ونوع مكوناته، ولتحديد ماهية النبر بوصفه مميزا مهما للمقطع وطبيعة الإيقاع في اللغة. [10]ص(231)

1.1. نبر المجموعة الكلامية

يقصد بالمجموعة هنا الوحدة الكلامية المكونة من أكثر من كلمة، والتي يستطيع المتكلم أن يقف بين كل اثنتين منها، دون أن يضيع تمايز عبارته الكلامية المنطوقة ومثال ذلك: الجامع الزيتونة / جامعة الإسلام / في المغرب العربي.

ولكل من هذه المجموعات نظامها النبري الذي يتفق في مواضع النبر مع نظام الكلمة أو لا يتفق.

ومثال ذلك البسملة (بس/مل/لا/هر/رح/ما/نر/ر/حيم).

فتلك المقاطع الموسومة بالعلامة المذكورة يقال لها المقاطع المنبورة. [10]ص(227)

1.1.1.نبر الجملة

الجملة هنا هي كما يقول فون استن: "أصغر وحدة بلاغية تعبر عن فكرة معينة"

[10]ص(227) ومعنى نبر الجملة هو توزيع درجات النبر على أجزاء الجملة تبعا لأهميتها عند المتكلم ولطبيعة الجملة ونوعها، بحيث يكون لكل جملة قالبها النبري الخاص بها، وهذا القالب يختلف بالطبع، من لغة إلى أخرى.

وقد تقتضي طبيعة نظام اللغة استخدام نبر يقوم على أساس القوة والضعف فاللغة التي يبرز فيها الدور الوظيفي للنبر يتجه الباحثون فيها إلى تصنيف تفصيلي لدرجاته، على حين يكفي عادة في اللغات التي لا يقوم النبر فيها بدور وظيفي مهم بتصنيف أقل تفصيلا، وتتحدد مواضع النبر ودرجات قوته بأنواع المقاطع وأنساق تتابعها ودور النبر على المستوى المعجمي في اللغة، كما أن ثمة أنساقا مقطعية تكون مقبولة في لغة دون لغة.

[10]ص(227)

2.1.1.وظائف النبر

يؤدي النبر وظائف كثير في بناء اللغة، وتركيبها النحوي، والصرفي، والصوتي والعروضي والبلاغي، وذلك فضلا عن دوره في أداء الكلام، وموسيقيته، وتأثيره على نفس السامع، وتعبيره عن عواطف المتكلم وانفعالاته.

وتختلف اللغات بالنسبة لدور النبر فيها، ذلك أن النبر قد يؤدي دورا في لغة، لا يؤديه مطلقا أو لا يؤديه بالدرجة نفسها في لغة أخرى.

ويمكن إيجاز صور من وظائف النبر في بعض المستويات اللغوية كالآتي:

3.1.1.المستوى الفونولوجي

يقوم النبر بدور الفرق بين الكلمات المتشابهة صوتياً، ففي اللغة الإنجليزية حيث لا يفرق بين كلمة (Accent) مثلاً بمعنى (النبر) والكلمة التي تكتب بنفس الصورة بمعنى (ينبر)، إلا أن النبر في الصورة الأولى يقع على المقطع الأول (A'accent) على حين أنه يقع في الصورة الثانية على المقطع الأخير (Accent) وفي العربية عندما نوازن بين نطق ومعاني الكلمات الآتية:

(أرق) اسم فعل (فعل) بالنبر على المقطع الأول، (أرقّ) اسم تفضيل على (أفعل) بالنبر على المقطع الأخير.

(أمرّ) بالنسبة على المقطع الأول، و (أمرّ) اسم تفضيل على (أفعل) بالنبر على المقطع الأخير ومن ذلك أيضاً أسدّ اسم تفضيل من السداد على (أفعل) بالنبر على المقطع الأخير (سدّ) و(أسدّ) للحيوان المفترس بالنبر على المقطع الأول (أ).

وفي الإنجليزية يمكننا بواسطة النبر أن نفرق بين الأفعال والأسماء، ومثال ذلك فعل perfect واسم perfect.

حيث نجد كلمات كثيرة يتراوح تصنيفها بين الاسمى والفعلية حسب موضع النبر فيها، فإذا ظهر النبر على المقطع الأول كانت اسماً أما إذا كان النبر على المقطع الثاني فهي فعل وقد يكون النبر هو الوسيلة الوحيدة للتفريق بين كلمتين مختلفتين في المعنى، فكلمة "august" مثلاً إذا وقع على المقطع الأول منها نبر قوي صار معناها شهر أغسطس ذو علم على شخص أما إذا وقع النبر على المقطع الثاني فإن معناها "جليل أو مهيب" [13] ص (188).

4.1.1. المستوى المورفولوجي (الصرفي)

إذ يعد النبر أحد المورفيمات الصرفية المهمة جداً، فهو يحدد القيم الصرفية ويعين صيغة الكلمة في بعض اللغات، وقد رأينا كيف يغير صيغة الاسم وصيغة الفعل في الإنجليزية كما أنه يشارك في هذه التفرقة في بعض الكلمات العربية.

5.1.1. المستوى اللغوي

يقوم النبر في هذا المستوى بوظائف أهمها الربط بين أجزاء الجملة أو المنطوق، والدلالة على الأهمية النسبية لأجزاء الكلام، والإشارة إلى نوع الجملة (استفهام، أمر، إخبار... الخ) هذا إلى جانب قيامه بتحديد أجزاء المنطوق والإشارة إلى دور كل جزء أو إلى إعرابه في الجملة، وفي اللغة العربية أمثلة كثيرة لذلك مثلاً: جملة (الجيش يتقدم) فإذا نطقنا هذه الكلمات بصور نبرية مختلفة، فسوف نحس أن توزيع النبر من أهم ما يربط بين جزئي الجملة، وأنه يدل على

الكلمة الأهم في كل صورة نطقية، كما يدل أيضا على نوع الجملة فهي مرة استفهامية، وأخرى خبرية وقد تكون أمرية أحيانا.

فإذا نطقنا كلمة (ماذا) بالنبر على كل من (ما) (ذا) والثانية (ماذا) بالنبر على ما فإننا نحس أن الأولى تتكون من مبتدأ وخبر، على حين أن الثانية ليست سوى أداة استفهام.

6.1.1. المستوى الصرفي

يقوم إيقاع الشعر على أساسين مهمين: أحدهما الكم الزمني والآخر النبر، وتختلف اللغات في اختيار الأساس الذي تعتمد عليه في إيقاع شعرها وموسيقيتها، فبعضها يؤثر النظام الكمي وبعضها يؤثر النظام النبري، واللغة العربية من النوع الأول، على حين يثبت بعض الباحثين أن العروض العربي يقوم على كل من الأساسين (الكمي والنبري). [43]ص(43)

كما أن للنبر وظائف أخرى كثيرة في المستويات الأخرى العديدة مثل: صنع التزمين الملائم، وتنوع التنغيم في المستوى الصوتي ومثل إشراق الكلمة وتوضيحها، والتعبير عن عواطف المتكلم وانفعالاته وصنع الإيقاع المناسب للمعاني في المستوى البلاغي... الخ.

1. نظام النبر

لكل لغة نظامها الخاص في تحديد المقاطع التي تأخذ النبر، ونظرا لانتساع هذا الموضوع فإننا سنكتفي بالتعرض لهذا النظام في نبر الكلمة في لغتنا العربية، وليس عسيرا أن نعرف أن هناك اختلاف بين أبناء العربية في النطق، ومما يمكن الإشارة إليه حول هذا النظام ما يلي:

أولا: إذا كان في الكلمة مقطع طويل، فإنه يحمل النبر أينما يقع مثل كلمة (استقلال) فإن النبر يقع فيها على المقطع الأخير، (لال) وكلمة (يستقيل) يقع النبر فيها على المقطع الأخير (قِلْ) فإذا كان في الكلمة أكثر من مقطع طويل مال النبر إلى المقطع الأخير أو القريب من الآخر، مثل كلمة (ضالان) فإن النبر يقع على المقطع الأخير (لان).

ثانيا: إذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل كان النظام على الوجه الآتي:

أ. يقع النبر على المقطع الثاني من الآخر عندما يكون:

1. متوسطا، بصرف النظر عما قبله إن وجد، مثل (استعان) يقع النبر على المقطع المتوسط المفتوح (عا) ومثل (يستفهم) يقع النبر على المقطع المتوسط المغلق (تف).
2. قصيرا ولم تتبعه مقاطع أخرى مثل (هو. كتب. أتى) بالنبر على المقطع الأول فيها جميعا (ه.ك.أ).

3. قصيرا وقبله مقطع متوسط مغلق (ص.ح.ص) مثل (يكتب، مدرسة، انتهى) فالنبر فيها على المقاطع (ت.ر.ت) على التوالي.

لكن يلاحظ أن بعض الناطقين يجعلون النبر هنا على المقطع الأول أو الثالث عن الآخر الذي هو (يك) (مد) (إن).

ب. يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر عندما يكون المقطع الثاني من الآخر قصيرا والمقطع الثالث:

1. متوسطا مفتحا (قابل) فالنبر على المقطع (قا) أما إذا كان هذا المقطع متوسطا مغلقا فقد سبقت الإشارة إلى أن النبر قد يقع عليه، وقد يقع على المقطع الثاني من الآخر.
2. قصيرا غير مسبوق بمقاطع أخرى، مثل (كتب) بالنبر على المقطع (ك).
3. قصيرا مسبوqa بمقطع متوسط مثل (استنصر) بالنبر على المقطع (ت).

1.1.1. الطول

من الصفات الأدائية التي تقوم بالتعبير عن عواطف المتكلم وانفعالاته وأفكاره (الطول) وقبل أن نتحدث عن الطول نشير إلى عنصر زمني آخر هو:

1.1.1.1. الكم الزمني

والمقصود به الزمن المستفيد في نطق الصوت الكلامي مقدرا ذلك بأجزاء من الثانية، أي أنه عبارة عن الزمن الفعلي للأصوات اللغوية المنطوقة، ويوجد بجانب هذا التعريف تعريف أقل استعمالا هو (الطول النسبي لنطق الصوت) وينسب هذا إلى (بلو مفيليد) كذلك يذهب (ماريو باي) هذا المذهب، وقد ظن هذان العالمان بل قالا فعلا بأن الكم الزمني مرادف للكمية، ولكن إذا عرفنا أن الكمية هي: الزمن النسبي الذي يميز بين ما هو قصير وما هو طويل، سواء أكان ذلك في الحركات كما سبق في تقسيمنا لها -أم في مقاطع- كما سبق في تقسيم المقطع على أساس الكمية، إذا عرفنا أن هذا هو مفهوم الكمية وأنها تعني (الزمن النسبي) بخلاف الكم الزمني الذي هو (الزمن الفعلي) فإننا ندرك أنه لا ترادف بين المصطلحين.

هذا وإن الأصوات تختلف فيما بينها بالنسبة للكم الزمني، كما أن الصوت الواحد يختلف كنهه الزمني من سياق إلى آخر، فالفتحة الطويلة، الأولى في 'قالا' المسند إلى الألف الاثنتين أكبر زمنا من الثانية، وذلك لأن النبر وقع عليها فزاد في زمنها، وأصوات اللغة العربية تنتظر دراسة كمها الزمني دراسة علمية تكشف عن النظام الزمني للأصوات، حسب أنواعها وسياقاتها الصوتية المختلفة، فهل زمن الصوت اللغوي واحد؟ أو ثابت؟ إذا كان في أول

الكلمة، أو في وسطها أو في آخرها؟ أو أن الموقع يؤثر في الزمن فيجعله مختلفاً؟ وهل زمن الصوت عندما يتلوه صوت مهتز هو نفسه عندما يتلوه صوت غير مهتز؟ وهل كل الأصوات المهتزة والأصوات المغلقة، والأصوات الاحتكاكية والأنفية وأخيراً الحركات؟ وهل كل نوع من هذه تتساوى أصواته من ناحية الزمن أو لا؟ هذا وغيره في حاجة إلى دراسة علمية عميقة...

- **الطول:** والطول هو العنصر الإدراكي المقابل للزمن الفيزيائي، وأيضاً للزمن الفسيولوجي فإن تلازماً أو ترابطاً بين الحقائق الزمنية في المراحل الثلاث: الفسيولوجية والفيزيائية، والإدراكية وعلى هذا فإن العنصر الزمن الواحد يسمى فسيولوجياً (الكم الزمني) (Duration de Temps) وفيزيائياً وإدراكياً طويلاً. فكان الطول هو إحساس الأذن وإدراكها لزمن الأصوات، هل هي قصيرة أو طويلة، وهناك تلازم بين الكم الزمني للصوت وطوله، فكلما يتزايد الكم الزمني للصوت يتزايد طوله والعكس صحيح.

والطول ملمح أدائي كالنبر مثلاً ولكن العلماء من يستعمله كمرادف للكم الزمني الذي هو (زمن نطق الصوت) ومنهم من يستعمله على المستوى الفونولوجي مرادفاً للكمية ولكن الاستعمال السائد هو أنه (عنصر أو ملمح أدائي) والفرق بين الطول الأدائي والطول الفونولوجي يتضح من هذا المثال: إذا نطقنا في موقف عادي (الله واحد) ونطق مجود للقرآن بها فإن الزيادة في الطول في موقف التجويد الذي ينال الإعجاب من المستمع هو الدال فوق الدلالة النحوية والصرفية والقاموسية.

فالطول الأدائي هو الزيادة على الزمن الضروري للصوت للتعبير عن عواطف المتكلم وانفعالاته وأفكاره.

أما وظيفة الطول فتتمثل في أنه ملمح أدائي وأنه وسيلة في يد المتكلم يعبر بها عن عواطفه ومواقفه، ومن ثم فقد كان للطول وظائف منها:

- 2.1.1. التأكيد لبعض أجزاء الكلام، فإذا قلت لصاحبك (محمد سافر) في موقف اختلافكما حول سفره، فإنك ستنطق كلمة (سافر) أبطأ من كلمة محمد ومن ثم فإن الطول لكل صوت فيها يكون أكبر مما لو نطقتها لمجرد الإخبار بسفره وبالتالي فإن المقطع المؤكد يكون طوله أكبر من غير المؤكد، وبالمقارنة بين المقطع (دا) من (دائماً) والمقطع (نا) من (اعتدنا) فالمقطع (دا) استغرق نطقه (بمعدل 7 فونيمات في الثانية) والمقطع (نا)

استغرق نطقه بمعدل (1.9 فونيمًا في الثانية) وهذا يعني أن المقطع الأول أطول وأبطأ من الثاني وذلك للإفادة من التأكيد.

أ - **الطول**: قد يكون وسيلة لتحقيق النبر، فالمقطع المنبور أطول من غير المنبور وبالمقارنة بين مقطعي كلمة (هذا) وكلمة (هذا يوم كبير) فالأول منبور فالثاني غير منبور يتضح لنا قيام الطول بهذه الوظيفة [43]ص(بدونصفحة).

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الطول مرتبط بتزمين المقطع، فإذا كان بطيئًا كان الطول لكل صوت فيه أكبر منه، عندما يكون التزمين سريعًا.

3.1.1. التزمين

لكل كلام منطوق سرعة معينة ينطق بها، وهذه السرعة قد تكون كبيرة في مواقف وظروف معينة، وقد تكون بطيئة لظروف أخرى، فإذا نظرنا إلى السرعة التي نقرأ به جريدة الصباح مثلاً من أجل معرفة المضمون، هل هي التي تنطق بها عند مواقف نريد إيضاح فكرة مهمة ونحرص على إفهام السامعين؟

إن السرعة التي يتخذها المتكلم ويتخيرها لكلامه تختلف من موقف إلى آخر ومن فن من فنون القول إلى فن آخر، ومن حالة سيكولوجية كالحزن إلى حالة أخرى كالفرح مثلاً، وأن السرعة التي نتكلم بها عندما نريد أن نؤكد كلامنا ونلفت إلى أهميته، غيرها عندما نلقي الكلام لمجرد الإخبار والإفادة، ومن ثم كانت عناية الدراسات الصوتية تلك السرعة التي عرفت (بالتزمين) وقد عرف التزمين بأنه "السرعة التي يتخذها ويحسها السامع نحو كلام منطوق" سواء أكان المنطوق كلمة أو جملة، أم ما هو أكبر من ذلك، وهذه السرعة يمكن وصفها بأنها بطيئة أو سريعة أو متوسطة.

وإذا كان التزمين هو السرعة التي ينطق بها المتكلم الجمل أو أجزاءها، فكيف يمكن تحديد التزمين وقياسه؟

4.1.1. قياس التزمين

يمكن قياس سرعة أي كلام منطوق وذلك على الشكل الآتي:

أ - التحليل على الأجهزة حيث يمكننا أن نعرف بداية الكلام ونهايته.

ب - تحديد عدد الأصوات المنطوقة.

ت - تحديد الزمن المستغرق في نطق تلك الأصوات بواسطة معرفة العلاقة بين مساحة الأصوات على ورقة التحليل وبين سرعة الجهاز وذلك بعد طرح الزمن الذي استغرقته الوقفات إن وجدت.

ث - وبمعرفة الزمن الصافي وعدد الفونيمات يمكن إيجاد المعدل الذي سار عليه النطق بأن نقسم عدد الفونيمات على الزمن الصافي

$$\text{عدد الأصوات المنطوقة} = \text{معدل النطق في الثانية} \times \text{الزمن الصافي بالثانية}$$

$$\text{معدل النطق} = \frac{\text{عدد الفونيمات}}{\text{الزمن الصافي بالثانية}}$$

فلو فرضنا أن أحدا نطق بجملته مكونة من 30 صوتا في ثانيتين فإن المعدل هو:

$$15/30 = 15 \text{ صوتا في الثانية (ف/ثا).}$$

ولو نطقها خر في (3 ثوان) فإن معدل نطقه يصبح $3/30 = 10$ أصوات في الثانية (ف/ثا) وبالتالي التزمين عند الناطق الثاني أبطأ منه عند الأول.

فإذا عرفنا أن التزمين يختلف باختلاف الظروف والمواقف كان لزاما معرفة وظيفته في الأداء اللغوي.

5.1.1. وظيفة التزمين

التزمين هو المرأة التي تعكس لنا عواطف المتكلم وانفعالاته، فإذا كان الفرح والسرور هو السائد فإن المتكلم يتكلم بسرعة وإذا كان الزمن هو السائد فإن المتحدث يكون نطقه بطيئا أما إذا كان الموقف حماسيا فإن النطق يكون بسرعة ثالثة، وفي حالة الغضب كان النطق أسرع. والتزمين من العناصر المهمة في صنع الإيقاع سواء أكان في الشعر أو في النثر، كما الشأن في الموسيقى فالوحدات الإيقاعية إما أن تكون سريعة أو بطيئة، أو في درجات بين الإسراع والإبطاء حسب الإحساس والعواطف.

والتزمين مرتبط بخط المعنى، فالكلمات التي تحمل أفكارا مهمة ينطقها المتكلم ببطء من الكلمات التي لا تبلغ تلك الأهمية، فالضمائر والأدوات الرابطة بين أجزاء الكلام، كأدوات الجر والعطف والتعليل تنطق غالبا أسرع من العناصر الأساسية في الجملة كالفاعل والفاعل والمبتدأ والخبر وما إلى ذلك.

والتزمين: من الوسائل التي تحقق المطابقة لموقف الكلام، وحال المتكلم، فإذا كان الموقف يتطلب تزمينا سريعا أو بطيئا أو بين ذلك التزم المتكلم بالسرعة الملائمة وبدون ذلك تتخلف المطابقة.

وبالتزمين يقسم المتكلم كلامه إلى جمل والجملة إلى مجموعات معنوية عن طريق أنه شخص من الشخصيات كل منهما.

من هنا فإن التزمين عنصر هام في الأداء اللغوي يعبر عن عواطف المتكلم ورغباته وأفكاره وانفعالاته، وله دوره على المستوى النحوي، والمستوى الصرفي، والبلاغي، والأدائي...

لكن السؤال المطروح هو هل للتزمين نظم في لغتنا؟

فقد أثبتت الدراسة أن للتزمين نظام ثابتا، وأنه يسير وفق عادات لغوية بصورة منتظمة، فهناك علاقة قوية بين التزمين وبين العوامل المرتبطة به والمؤثرة فيه مما يكشف في النهاية عن النظام العام للتزمين في نطق العربية الفصحى.

فإذا نظرنا إلى دور التزمين في بعده النحوي، فإنه يرتبط بنوع التركيب أو البناء النحوي للجملة، فقد أثبتت الدراسات ذلك من خلال قياس المعدلات:

- الجملة الخبرية في الحالة الحيادية 16/25 ف/ثا.

- الجملة الإنشائية في الحالة الحيادية 15/42 ف/ثا.

فالمتوسط العام للجملة الخبرية أسره بينما هو للجملة الإنشائية أبطأ، وتعليل ذلك يتمثل في أن المتكلم في (الجملة الخبرية) يعبر عن الفكرة مجردة، فجاء تزمينه أسرع، بينما هو في (الجملة الإنشائية) يعبر عن الفكرة + العاطفة وهكذا يتنوع التزمين بتنوع البناء النحوي للجملة.

1.الوقفات: Les pauser

تعد الوقفات من العناصر الأدائية التي يصطنعها المتكلم في التعبير عن الدلالات المتنوعة غير النحوية والصرفية والقاموسية.

فالعنصر الزمني في الكلام المنطوق يشتمل في داخله على فترات من الصمت، تحدث في أثناء النطق، وهذه الفترات هي التي اصطلح على تسميتها بالوقفات، وهي عبارة عن أزمان توقف الكلام، التي تأتي بعد انتهاء جزء من المنطوق ذي المضمون المستقل إلى حد ما. والوقفات ذات دور فعال في الأداء، فهي وسيلة أدائية يستطيع بها المتكلم أن ينقل إلى السامع تأكيدا لفكرة معينة، وأن يرسم أو يخطط للفكرة التالية لها، وأن يصنع مواقف من التوتر جسمانية ونفسية، وهي من أهم الوسائل التي عن طريقها يقسم كلامه إلى مجموعات معنوية،

ويسهم بها في صنع السلسلة الإيقاعية، وهنا يأتي سؤال مهم: هل يأتي زمن الوقفة متساو أو مختلف؟

إن تحديد الكم الزمني للوقفة يخضع للمتطلبات النفسية التي يريد المتكلم وضع السامع فيها، فكلما كانت العملية النطقية معقدة كلما كانت الوقفة أطول كما أن الإشارات الإحساسية يمكن أن تطيل أيضا من زمن الوقفة، كما يمكن أن تقصره ولكن هل ثمة علاقة بين زمن الوقفة وزمن التكلم؟

يجري النطق في تتابع زمني غير قابل للإرجاع، عكس الكلمة المكتوبة، فالزمن جانب مهم في الكلمة المنطوقة، ولذا فإن أصوات الكلمة المنطوقة لا يمكن أن تتجمع معاني لحظة واحدة [45]ص(90)

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تجديد الكم الزمني للوقفة يخضع للمتطلبات النفسية التي يريد المتكلم وضع السامع فيها فكلما كانت العملية النطقية معقدة كلما كانت الوقفة أطول، كما أن الإشارات الإحساسية يمكن أن تطيل أيضا من زمن الوقفة أطول، كما يمكن أن تقصره، ولكن هل ثمة علاقة بين زمن الوقفة وزمن التكلم؟ وهل طول الوقفة أو قصرها مرتبط بطول زمن الكلام أو قصره؟ أو أنه منفك ومستقل عنه؟

يرى بعض العلماء بأن النسبة بينهما ليست ثابتة [46]ص(15)، بينما يرى الآخرون، ثباتهما، بحجة أن الشخص الذي يتحدث ببطء وبصورة خطابية- يصنع وقفات طويلة، وينطق الكلمات ببطء.

هذا وهناك نوع آخر من أزمان توقف الكلام غير الوقفات يسمى (الصمات)، وتختلف عن الوقفات في أنها أقصر زمنا، وأنها غير مصحوبة بتنفس وأنها تحدث على حدود كلمتين، وفي داخل الكلمة الواحدة، وتقع في الشعر وفي الكلام.

أما في الشعر فغن تفصل بين الكلمات التي تقسم بيت الشعر إلى وحدات عروضية، وبذلك تنشأ ثغرات أو فراغات في الحديث تتعاقب ولكنها ليست بدون تأثير [47]ص(63) وأما في الكلام فإنها كذلك، لها وزنها فعن طريقها تتكون مواقف من التوتر، تلك التي تثبت من المتكلم إلى السامعين فتؤثر فيهم.

والعلاقة بين التزمين والوقفات علاقة متبادلة، فالتزمين غالبا ما يؤثر على الوقفات وعلى أزمانها، فإن كان بطيئا كانت الوقفات أطول منها عندما يكون سريعا، والعكس صحيح. كما أن الوقفات تؤثر هي الأخرى على التزمين، وذلك عندما يساء استخدامها، فتأتي في اللحظات أو في الأماكن غير المناسبة، أو تذكر على فترات قصيرة بما لا يتلاءم وسياق الكلام، أو

يطال زمنها دون سبب يقتضي ذلك، وهذا يمكن أن يولد لدى السامع إحساسا معيناً نحو التزمين قد يختلف عن أثر التزمين الحقيقي أو الفعلي.

1.1. الإيقاع Rythme

عرفنا فيما سبق أن أي صوت يتكون أيا كان نوعه من عناصر أربعة: الشدة، والحدة والزمن واللون، وأن الأداء الذي يقوم بالتعبير عن الدلالات فوق النحوية والصرفية والمعجمية يتكون من عناصر تسمى عناصر الأداء منها النبر وقد كان المسؤول عنه عنصر الشدة ولكن التجارب أثبتت أن النبر ليس وفقا على الشدة، فقد يكون عن طريق النغمة أو الطول أو اللون أو عنها جميعا أو عن غيرها...

والتزمين وهو مرتبط بالطول، الذي هو مرتبط بالعنصر الزمني والتنغيم الذي يرتبط بالنغمة والتلوين الذي يرتبط بلون الصوت وصفته والوقفات والصمات التي تأتي محسوبة ومخططة...

فالأداء بعناصره بمثابة جسم ممتد يضم خطوطا كبيرة كل منها يأتي على نظام خاص وكيفية معينة، تبعا لخط المعنى فهناك خط الشدة أو النبر وخط التزمين أو الطول أو الزمن وخط النغمة أو التنغيم وخط اللون، وخط الوقفات أو الصمات، وهذه الخطوط قد يختلف نظامها من فن لآخر ومن مجال إلى مجال، ومن حالة نفسية إلى أخرى، ومن فكرة إلى فكرة لكنها مع ذلك يمكن أن تصنع مظهر صوتيا آخر ينوع لأداء ويزيده تأثيرا وهذا المظهر هو ما يسمى (بالإيقاع) Le rythme.

وإذا كان معروفا أن الإيقاع لا يتكون ولا يحدث بعيدا عن تلك العناصر أو الخطوط، وإنما ينشأ عن طريقها وبها، فما هو وما تعريفه؟

1.1.1. الإيقاع

إحساس بالتردد المنتظم لمجموعات، كل منها يشتمل على أحداث متشابهة ومتعاقبة، ولكي نفهم هذا التعريف يحسن أن نعرف الفرق بين الأداء الذي تصورناه إلى حد ما وبين الإيقاع الذي لم يتضح بعد، خاصة أن العناصر التي يتكون منها الأداء هي نفسها التي يتكون منها الإيقاع.

إن كل عنصر من عناصر الأداء له نظامه الخاص، وفقا لطبيعة اللغة وفروق أبنائها، فللنبر نظامه، وللتزمين نظامه الخاص به، وكذلك بالنسبة لبقية العناصر.

ولا يشترط في الأداء التكرار المنتظم لعنصر من عناصره، أما الإيقاع فلا بد فيه من التكرار المنتظم والدقيق لعنصر من عناصره أو لأكثر [48]ص(بدون صفحة)
إن الأداء يتصل بجانب المعنى والفكرة من حيث توضيحها أو تأكيدها... أما الإيقاع فإنه يتصل أكثر بجانب الإحساس والعاطفة.
فهناك الإيقاع الذي يصنع أو يثير الحزن، والإيقاع الذي يعبر عن السرور أو يثير الفرح، والإيقاع الذي يبعث الحماسة أو الحيوية أو الشهامة.

1.1.1.1. الوحدة الإيقاعية

وهناك شرط في الإيقاع بدونه لا يتحقق، وهو التكرار لأي شيء من المسموعات أو المرئيات، وهذا يعني أن هناك وحدة لا بد أن تعود وتكرر وتسمى إيقاعية، وأن الإيقاع عبارة عن وحدات تكرارية.

فبالنسبة للإيقاع لا بد من وجود وحدة إيقاعية ذات نظام أو أنظمة معينة تتكرر هذه الوحدة بنظامها مرة أو مرتين أو أكثر ولا تسمى الوحدة الأولى وحدة إيقاعية إلا إذا تكررت.
والوحدة الإيقاعية فيها نبر بنظام معين، ولها تزمين مخصوص، وفيها خط تنغيم بصورة معينة، وخط لون، ووقفات، كل من هذا جاء بنظام ما وبترتيب معين، وعندما تتكرر هذه الوحدة تحدث مرة ثانية وبالطريقة نفسها يأتي الإحساس، بالتكرار المنتظم لمجموعات كل مجموعة اشتملت على أحداث (التي منها) النبر والتنغيم والوقفات... الخ، متشابهة ومتعاقبة وهكذا ينشأ الإيقاع ويدرك أو يحس. [48]ص(بدون صفحة)

والإيقاع يقع في الشعر ويقع في الكلام، المرسل، في الخطابة وفي الإنشاء، كما يمكن القول بأن لكل شيء إيقاعا، وكل هذه الإيقاعات تختلف عن بعضها، إلا أن أبرز عناصر الإيقاع النبر والتزمين ومن هنا فقد عرفت اللغات في إيقاع شعرها نوعين من الإيقاع.

3. الصوت اللغوي عند الطفل

إن طبيعة اللغة وجوهرها لا يمكن أن يفهم بوضوح إلا من خلال الدور الذي تؤديه في حياة الفرد والجماعة اللغوية الواحدة وحياة الإنسان بعامة.

وقد عبر أحدهم عن هذه الحقيقة بقوله: "إذا أردنا أن ندرس الفكر والنتاج الفكري فالواجب أن ندرس اللغة، وإذا أردنا أن ندرس اللغة فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع" [49]ص(295).

ويرى اللغويون من أصحاب الفلسفة والمنطق أن الوظيفة الرئيسية للغة هي نقل الخبرة الإنسانية والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة، وعلى هذا فاللغة ضرورة حتمية لتقدم الثقافة

والعلم، لأن الألفاظ "حصون الفكر" وبالتالي فلا وجود للفكر بدون اللغة، لأن الكلمة أداة للتفكير في المعنى الذي تعبر عنه.

يقول "لوك" اللغة تولد الفكر، وأن الناس ليطلبون في تكوين أفكارهم عون اللغة... فاللغة تعد أم التفكير، وما يسمى عمليات العقل ليس إلا من عمل اللغة... فالمرء لا يفكر دون عون اللغة"

[50]ص(55)

فإن فقد التعبير ضاع الفكر، وهذا ما كان يعنيه "سقراط" بعبارته المشهورة "يا هذا كلمني حتى أراك" التي وجهها لى رجل كان صامتا ولا يشارك في الحوار، "سقراط" يشير بهذا أن الإنسان إن لم يفصح عن ذات نفسه بالكلام فإنه لا يرى، أي لا يعرف عنه شيء، فاللغة كما يقول المفكر الألماني "همبولت" Humboldt هي "عمل العقل و"هي الصوت المنطوق الذي نستطيع به أن نعبر عن الفكر".

وهي ليست مقصودة على وظيفة التوصيل كما في لغة الحيوان، ولكنها أداة للتفكير الحر والتعبير الذاتي.

فاللغة في نظر العقلين فكر أو تعبير عن فكر، وهذه نظرة قاصرة جدا لأنها لا يمكن أن تستوعب جميع أشكال "الأحداث اللغوية" أو أنواع السلوك الكلامي وحقا ما يقوله "يسبرس O.Jespersen أنه ما دمنا ننظر إلى اللغة باعتبارها العقلي أي كوسيلة من وسائل الاتصال ونقل الأفكار، فسوف لن نقرب من الفهم التام لطبيعتها.

3.1. نظريات اكتساب اللغة

يعرف ابن جني اللغة بقوله "أما حدها -أي اللغة- فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [51]ص(33).

هذا التعريف على إيجازه -يتضمن معظم الجوانب التي يتفق عليها المحدثون في تعريف اللغة، فهو يشير إلى الوظيفة "التعبيرية" للغة، ويفصح -أيضا- عن كون اللغة اجتماعية، أي أنها لا توجد إلا في أحضان جماعة لغوية معينة يتعاملون بها تعبيراً عن أغراضهم. وأهم من كل ذلك يقرر أن اللغة "أصوات" وهذا ما يؤكد اللغويون المحدثون وعلى رأسهم العالم اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure" (1913/1857) الذي يرى أن اللغة في جوهرها، نظام من الرموز الصوتية أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السماع.

وعبارة ابن جني -أيضا- تشير ضمنا إلى أن الرموز الصوتية لا معنى لها في ذاتها وقد حسم "علم اللغة الحديث" هذه القضية التي شغلت المفكرين دهرا طويلا، فهو يقرر أن اللغة عرفية، وأن العلاقة بين جزئي العلامة اللغوية (الدال والمدلول) علاقة اعتباطية، ذلك لأن الدال والمدلول -في الحقيقة- ليسا شيئا واحدا بل هما شيئان مختلفان تماما، فالدال أي الصوت إن هو إلا رمز أو علامة على الشيء يغني عن استحضاره عند التفاهم، فمعنى الشيء غير ذاته. وفي العصر الحديث اهتم العلماء باللغة اهتماما كبيرا، وأجروا تجارب مكثفة للكشف عن طبيعتها مما أسفر عنه ظهور "علم اللغة الحديث" والذي بين من خلاله دي سوسير عن طبيعة اللغة عن طريق التفرقة بين ثلاثة مصطلحات أساسية هي:

- الكلام La parole.

- اللسان La langue

- اللغة Le langage

3.1.1. الكلام La parole

هو الأحداث المنطوقة فعلا من متكلم فرد [52]ص(14.13)، أي العبارات التي لها واقع مادي مباشر، ويمكن أن يدرك إدراكا حسيا، وعلى ذلك فالكلام نشاط فردي يقوم به شخص ما في حديثه مع الآخرين، ونظرا إلى أن الأفراد هم الذين يمارسون الكلام وليست الجماعة، فهو لذلك ليس "حقيقة اجتماعية" لأنه عمل الفرد يعمل فيه بالحذف والزيادة والتعديل، وذلك على العكس من الوقائع الاجتماعية التي يجب أن تكون "عامة" يمارسها المجتمع بشكل جبري.

أما اللغة: La langage

فيعني بها اللغة بالمعنى المطلق، هي كلام ينقصه التكلم، إنها المجموعة الكلية للعادات اللغوية، التي تسمح للفرد بأن يفهم وأن يفهم [26]ص(140).

وهي على هذا الأساس، ملك للفرد وللمجتمع أيضا، فهي فردية واجتماعية في آن واحد، ولذلك فهي أيضا ليست "واقعة اجتماعية" لأنها تتضمن العوامل الفردية المنسوبة إلى المتكلمين الأفراد أنظر [53]ص(29.23)، وهي تقع على تخوم عدة ميادين فيزيائية وفسولوجية ونفسية.

وهي تتحقق في أشمال متعددة ومتنافرة، ولذلك لا يمكن أن تدرس دراسة علمية لما تفتقده من مبدأ التجانس والوحدة.

أما اللسان La langue

فهو اللغة المعينة الصالحة للدراسة العلمية كالعربية والإنجليزية وسواهما، وهو مجموعة من الصور اللفظية المختزنة في العقل الجماعي، وهذه الصور ذات قيم موحدة عند جميع الأفراد وهو نتاج اجتماعي لملكة اللغة، وهو خارج عن نطاق الفرد لأنه يرثه باعتباره تراثا جماعيا وليس له في هذا الميراث أي نوع من الاختيار.

فهو لا يملك التدخل في اختيار مفرداته أو تنظيم قواعده، واللسان لا يوجد إلا بنوع من الاتفاق الجماعي، ولذا فإن الإنسان لا يستحوذ على اللسان إلا بالدربة والمران.

واللسان متميز عن الكلام، فلو أن هناك فردا فقد القدرة على الكلام فإنه يظل يحتفظ باللسان، ذلك أن اللسان نظام أي مجموعة محددة من القواعد الكلامية التي تنظم المفردات والتراكيب وتمثلها كتب القواعد والقواميس.

أما الكلام فهو أحداث منطوقة حسب نظام اللغة المعينة، أي أن اللسان يمد الكلام بالقواعد التي يطبقها فعلا في وجوده المادي.

وخلاصة هذا كما يرى "دي سوسير" أن الكلام لا يمكن دراسته دراسة علمية لأنه فردي، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية، و"اللغة" كذلك لا تدرس بشكل علمي لأنها لا تمثل واقعة اجتماعية خالصة حيث أنها تخص الفرد وتخص الجماعة، أما اللسان فهو وحده الذي يمكن دراسته دراسة علمية لأنه موضوع محدد يتصف بالتجانس ولذا يمكن ملاحظته وتصنيفه وله بذلك مكان بارز بين الحقائق الإنسانية [53]ص(30.29)

واللغة عنده نظام من العلامات التي تتكون من صورة صوتية ومن مفهوم مرتبط بها ارتباطا وثيقا، والعلامة أو الرمز علاقة ترابطية بين المفهوم والصورة الصوتية.

وهذه العلامات مزدوجة، أي أنها اتحاد لصورة صوتية هي "الدال" بتمثيل ذهني أو مفهوم هو "المدلول" وتتحقق الدلالة من مجموع هذين العنصرين اللذين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهما كوجه الورقة وظهرها لا يمكن تمزيق الأول دون تمزيق الثاني. [26]ص(197)

ويتصدى "أ. يسبر سن O.Jespersen" العالم الدنمركي لآراء "دي سوسير" ولا يقبل قوله أن الكلام من نتاج الأفراد، بينما اللسان من نتاج المجتمع.

ففي رأيه أن الجماعة ليست سوى مجموعة من الأفراد وعلى ذلك فالكلام واللسان هما جانبان لشيء واحد، وكلام الفرد ليس شيئا منفصلا عن لغة الجماعة، إنه مثل أو صورة لها، فالكلام وإن كان نشاطا فرديا إلا أنه يرتبط بعنصر اجتماعي، هو الإفهام، ومفردات "اللسان" المعني هي جميع ما ينطق به كل أفرادها من ألفاظها اختلفت درجة شيوعها والأمر كذلك بالنسبة للتراكيب ومخارج الحروف.

ويرى "يسبر سن" أن العلاقة بين اللسان والكلام، شبيهة بعلاقة النوع بالفرد، فكل "خروف" يختلف عن آخر وبالرغم من ذلك نستطيع أن نتصور معنى عاما مشتركا بين جميع "الخراف" نطلق عليه كلمة خروف، والخروف بالمعنى المطلق ليس له وجود في عالم الواقع وإنما هو أمر ذهني، وكذلك اللسان بالنسبة للكلام فالموجود فعلا هو النشاط الإنساني الذي يقوم به فرد أو أفراد.

وهو يتساءل مستكرا إذا كان "اللسان" عند "دي سوسير" مجموعة من الصور الذهنية للكلمات والتراكيب اللغوية الموجودة لدى جماعة لغوية خاصة، ومستقر هذه الصور أذهان الأفراد، فماذا تكون الصورة الذهنية المستقرة في ذهن فرد خاص؟ هل هي كلام أم لسان؟. إنها بمفهوم "دي سوسير" ليست كلاما، لأن الكلام عنده نشاط فعلي، والصور الذهنية لدى فرد معين ليست كذلك، وهي أيضا ليست "لسانا" لأنها أمر فردي بينما "اللسان" أمر جماعي، فماذا تكون إذن - إن لم يكن كلاما ولا لسانا؟ ويجعل "دي سوسير" القاموس والكتب الخاصة بالقواعد تمثيلا "اللسان" الذي هو أمر جماعي لا تمثيلا للكلام الذي هو أمر فردي، وهنا يسأل "يسبر سن" ما قوله في وجود قاموس خاص "بهوميرو س" وآخر خاص "بشكسبير" مثلا كما توجد كتب خاصة للقواعد التي جرى عليها كل من هذين الشاعرين، هل يكون القاموس مجالا لتسجيل النشاط اللغوي الفردي على غير ما قرره "دي سوسير"؟ أنظر [50] ص (34 وما بعدها). لذلك نجد أن يسبر سن يعتمد تقسيما آخر يقدم فيه ثلاثة مصطلحات هي:

1. الحدث اللغوي وهو نطق فرد معين بعبارة معينة مرة واحدة، ولو أن الفرد نفسه كرر العبارة نفسها، فإن هذا يشكل حدثا لغويا جديدا لأنه لا يمكن أن تتشابه المواقف أو الدوافع للأحداث اللغوية في جميع تفصيلاتها.

1.1. لغة الفرد وهي القيم اللغوية الموجودة لدى فرد من الأفراد.

1.1.1. لغة الجماعة وهي مجموعة القيم اللغوية لدى أفراد الجماعة اللغوية الواحدة. كما أن يسبر سن يرى أن الواقع اللغوي يكون "أحداثا لغوية" أما العلاقات والقواعد والأمور التجريدية فهي "لغة" وقد تكون اللغة "فردية" حين تكون هذه القواعد والعلاقات والتجريدات خاصة بفرد من الأفراد، وقد تكون اللغة "جماعية" حين تكون هذه الأمور عامة تشمل الجماعة كلها أنظر [50] ص (24 وما بعدها).

كما يرفض فيرث Firth أيضا نظرية "دي سوسير" في الكلام واللسان، فهو لا يؤمن بثنائية الفرد والمجتمع التي ابتدعها "دور كايم" عالم الاجتماع الفرنسي وتابعه فيها "دي سوسير"،

فالفرد وإن كان له شخصيته المستقلة المتميزة عن غيرها من الشخصيات، إلا أنها تشترك معها في كثير من الأمور، واللغة أيضا تدرس باعتبارها جزءا من عملية اجتماعية، وأن ما نسميه النظم الصوتية أو الأجناس النحوية أو الصرفية أو الدلالية ليست إلا هياكل مبتكرة ومنتظمة تستهدف تحليل الأحداث اللغوية.

فهذه النظم ليس لها وجود خارجي، وإنما هي مجرد اصطلاحات ذات مفهومات معينة نستعين بها على فهم اللغة، فليس في اللغة فعل أو فاعل أو مفعول أو مصدر، ولكن اللغة أقوال تنطق لا غير. [54]ص(92)

1. النظريات السلوكية

في النصف الأول من القرن العشرين ساد في الدراسات اللغوية "المنهج الوصفي التشكيلي" ورائده اللغوي الأمريكي ليونارد بلوم فيلد L.Blomfield 1887-1949 صاحب كتاب "اللغة Langages" الذي وصفه الباحثون بالقيم.

وقد تأثر بلوم فيلد بالمذهب السلوكي في علم النفس الذي كان سائدا في أوروبا وأمريكا، والسلوكيون يوجهون كل عنايتهم إلى دراسة ظاهرة السلوك فقط على اعتبار أنه مكون من عادات مختلفة تتكون عن طريق "المثير" و "الاستجابة" وهذا يعني أن السلوك الإنساني يمكن التنبؤ به عن طريق فهم الظواهر الفسيولوجية، وغيرها من الظواهر المادية في سلوك الأفراد.

يعرف "ل. بلوم فيلد" اللغة بأنها "مجرد سلوك بشري شبيه بما عده من العادات السلوكية الأخرى" ولذلك فهو يطلق على اللغة اسم "السلوك النطقي" أو "السلوك اللغوي" وبناء على ذلك فغن دراسة اللغة ينبغي أن تهتم بوصف الأشكال اللغوية الظاهرة المتمثلة في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية، فهذه هي التي يمكن ملاحظتها وتسجيلها مثلها في ذلك مثل أي عادة سلوكية أخرى، أما المعنى فقد أبعدته كلية عن حقل الدراسة اللغوية، على أساس أنه أمر نفسي، فهو ليس مظهرا خارجيا يمكن النظر فيه بالمنهج العلمي الموضوعي المستخدم، في العلوم التجريبية.

وهذه نقطة ضعف بارزة عند بلوم فيلد ومدرسته، فاللغة رموز تتضمن معاني أو دلالات، وعلى ذلك فالدراسة الوصفية التشكيلية هي دراسة علمية ليس فيها أي محاولة من أجل الفهم أو التعبير، إنها تصف الملامح السطحية، من غير أن يمتلك محتواها الفكري وكأن اللغة مجرد علامات مفرغة من الدلالات، لذا فقد انتقد بعضهم هذا المنهج باعتبار أن الكلام عن

التحليل اللغوي من غير إشارة إلى المعنى هو كمن يصف طريقة صنع السفن من غير إشارة إلى البحر. [25] ص(35)

إن التفسير السلوكي للظاهرة اللغوية، يبنى على المعطيات العلمية السلوكية "Béhaviourisme" وهي نظرية من نظريات علم النفس، شاعت وتوغلت في كل الميادين العلمية، حتى أوشكت أن تكون المنهج الفريد، المعول عليه في تقصي مظاهر النشاط الإنساني فلا غرر إذن إن ألفيناها تقتحم الميدان اللساني فتضفي عليه طابعها الخاص.

ولأن العملية التواصلية من وجهة نظر النظرية السلوكية، لا تعدو أن تكون آلية تقوم على مفهوم المثير والاستجابة، تطورت النظرية السلوكية وأخذت مسارها الطبيعي في الوصف اللساني على يد اللساني الأمريكي "بلوم فيلد" الذي كان جادا في تطبيقها.

حيث نجد أن هذه النظرية تركز في جوهرها على أسس علمية، كعدم الاهتمام بالجوانب الذهنية مثل العقل والتصور والفكرة ودحض كل تحليل نفسي يعول على الاستبطان، وإبراز كل ما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة بالاعتماد على السلوك الظاهر دون سواه، وحين تطبيق هذا المنهج على الظاهرة اللغوية ينصب التحليل على الأشكال اللغوية الظاهرة، والمواقف المباشرة التي أدت إلى إنتاجها في الواقع اللغوي، لذلك أطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك النطقي أو السلوك اللغوي.

كما تعتمد هذه النظرية على تقليص دور الدوافع والقدرات الفطرية في الظواهر السلوكية، وإعطاء أهمية قصوى لعملية التعلم في اكتساب النماذج السلوكية، كما أن التواصل اللغوي في نظر السلوكيين لا يعدوا أن يكون نوعا من الاستجابات réponses لمثيرات ما stimulus تقدمها البيئة أو المحيط environnement.

إن ما انتهى إليه "بلوم فيلد" من إسقاطات سلوكية على الظاهرة اللغوية، إنما بناه على تلك الأسس المشار إليها -سالفًا- فكانت حصيلة ذلك كله أن أقر مبدئيا أن الجوانب الدلالية للعناصر اللسانية لا تعدو أن تكون الموقف الذي يقوم فيه المتكلم المستمع المثالي للغته بالإنتاج الفعلي للكلام، ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع. [55] ص(145)

فالمتكلم حين أدائه الفعلي للكلام يكون قد قام باستجابات نطقية لمثيرات ما تخضع خضوعا مطلقا لحافز البيئة، دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأدنى قدر من التفكير.

"لأن الاستجابة الكلامية مرتبطة بصورة مباشرة بالحافز ولا تتطلب تدخل الأفكار، وذلك لأن اللغة في نظر السلوكيين لا تعدوا أن تكون عادات صوتية يكتسبها حافز البيئة" [55] ص(145)

ترتكز المعطيات العلمية للتفسير السلوكي على التجارب المخبرية التي أجريت على الحيوانات، مما جعلت السلوكيين يعممونها على المظاهر السلوكية لدى الإنسان، فتبدوا اللغة وفق هذا من الاستجابات المتتالية [55]ص(73)

كما تفترض النظرية السلوكية عامة أنه ينبغي أن نولي الاهتمام بالسلوكيات القابلة للملاحظة والقياس، ولا يركزون اهتمامهم على الأبنية العقلية أو العمليات الداخلية التي تولد الأبنية اللغوية، والمشكلة الأساسية في هذا المنظور أنه نظرا لأن الأنشطة العقلية لا يمكن أن ترى فإنها لا يمكن أن تعرف أو تقاس.

فالسلوكيون لا ينكرون وجود هذه العمليات العقلية، ولكنهم يرون أن السلوكيات القابلة للملاحظة مرتبطة بالعمليات الداخلية أو الفسيولوجية ويرون أنه لا يمكنهم دراسة ما لا يمكن أن نلاحظه، ومن ثم فإن السلوكيين يبحثون عن السلوكيات الظاهرة التي تحدث مع الأداء اللغوي.

ويرى السلوكيون أن اللغة في مراحلها الأولى هي نموذج بسيط من السلوك إنها عادة، وأن اللغة هي شيء يفعله الطفل وليس شيء يملكه كما يرون أن اللغة مستعملة وفقا لنفس المبادئ المستخدمة في تدريب الحيوانات، فسلوكيات الحيوانات المتعلمة هذه هي نفسها السلوك اللغوي المتعلم بالتقليد والتعزيز.

إن أبرز أوجه الخلاف مع السلوكية أن الطفل يكون سلبيا خلال عملية تعلم اللغة، فالطفل يبدأ الحياة بجعبة لغوية خاوية، ثم يصبح الطفل مستخدما للغة حينما تمتلئ الجعبة بالخبرات التي توفرها النماذج اللغوية في بيئته، وهذا لا يعني القول بأن الطفل غير فعال تماما، فهو فعال بمعنى أنه تقليد الأشكال اللغوية ولكنه لا يبادر بهذه السلوكيات من جانبه، وشكل لغته الناشئة يتحدد ليس بالاكشاف الذاتي أو التجارب الإبداعية ولكن بواسطة التعزيز الانتقائي الذي يتلقاه من المحيطين به.

إن هذا يقود إلى الافتراض الأساسي الكامن خلف تصور السلوكيين للنمو اللغوي، بالرغم من أن السلوكيين لديهم آراء مختلفة حول كيفية حدوث عملية التعلم بالضبط، إلا أنهم يتفقون جميعا حول البيئة أنها هي العامل الأكثر أهمية في عملية الاكتساب، وبينما يؤكد الفطريون على التشابهات التي تحدث في النمو اللغوي لدى الأطفال، فإن السلوكيين يؤكدون على الاختلافات التي تحدث بواسطة البيئات الواسعة الاختلاف، للأطفال أثناء فترة اكتساب اللغة، فالسلوكية تركز على القوى الخارجية التي تشكل سلوكيات الطفل اللفظية في صورة لغة، فهم يرون الطفل باعتباره مستجيب لهذه القوى. [56]ص(78)

إن هذا يقودنا إلى الافتراض الأساسي الكامن خلف تصور السلوكيين للنمو اللغوي، بالرغم من أن آراءهم تختلف حول كيفية حدوث عملية التعلم إلا أنهم يتفقون جميعا حول الأكثر أهمية في عملية الاكتساب، وبينما يؤكد أصحاب النظرية الفطرية على التشابهات التي تحدث في النمو اللغوي لدى الأطفال، فإن السلوكيون يؤكدون على الاختلافات التي تحدث بواسطة البيئات الواسعة الاختلاف، للأطفال أثناء فترة اكتساب اللغة، فالسلوكية تركز على القوى الخارجية التي تشكل سلوكيات الطفل اللفظية في صورة لغة فهم يرون الطفل باعتباره مستجيب القوى.

1.1. الكلام واللغة كسلوكيات إجرائية

ومن أبرز المنظرين المرتبطين بالتفسير السلوكي لنمو الكلام واللغة هو "سكنر" وليس بمستغرب أن يرى "سكنر" الكلام باعتباره سلوكا متعلما لأنه ينظر إلى كل السلوكيات باعتبارها متعلمة وفق مبادئ التعلم أو الاشتراط الإجرائي. ولكي نفهم تفسير "سكنر" لنمو اللغو والكلام علينا أن نفهم أولا المبادئ الأساسية للاشتراط الإجرائي، ويمكن أن نتناول ذلك بتوضيح مختصر. الإجراء هو أي سلوك يمكن أن يتأثر حدوثه بالاستجابات التي تعقبه أو بعبارة بسيطة السلوك الإجرائي هو رد فعل الكائن تجاه البيئة، فإذا ما زاد حدوث تكرار سلوك معين كنتيجة لاستجابة تعقبه، فإنه يحدث التعزيز، وإذا ما نقص التكرار، فإن السلوك المعين تتم معاقبته. وفي الاشتراط الإجرائي، فإن الأحداث التي تعقب السلوكيات المستهدفة هي أشياء ذات أهمية للتعلم، بيد أن الأحداث التي تسبق السلوكيات أو المستهدفة هي أيضا من الأهمية بمكان، لأنها تتحكم في حدوث السلوكيات المطلوبة من عدمه، ولنفترض أن أحد الوالدين قام باشتراط الطفل تعليمه أن يقول "شكرا" حينما يتلقى هديته "تعزيز" في كل مرة يقول فيها ذلك، فإذا ما زادت كلمة شكرا كنتيجة للعديّة، فإننا نستطيع أن نقرر أن التعزيز والتعلم قد حدثا، أثناء فترة التعلم قد يعطي الوالد -شعوريا أو لا شعوريا- نظرة معينة للطفل أثناء تلقيه الهدية، هنا النظرة تذكر الطفل أنه يجب أن يقول "شكرا" وتسمى هذه النظرة "المثير المميز". كما أن للتقليد دور هام في عملية اكتساب اللغة، فالوالدين والأفراد المحيطين بالطفل يستخدمون اللغة ولديهم الخبرة في تنمية الأشياء للطفل، هذا ما يمثل نماذج (modèle) للاستخدام اللغوي الكفاء.

وهكذا يحاكي الطفل كلام الراشدين، ويرى الباحثون أن الأصوات المقلدة تتكرر مع الطفل نتيجة لأنها تسبب خبرات سارة لديه بالإضافة إلى أن هذا التقليد يعزز من المحيطين بالطفل [54]ص(92).

وهنا نشير إلى رأي "ميرفي" Murphy فهو يرى ضرورة التفرقة بين عمليتين مختلفتين تقومان وراء اكتساب الطفل اللغة، الأولى هي عملية فهم لغة الغير من الراشدين والثانية هي استخدام هذه اللغة، ويتفق معظم الباحثين على أن العملية الأولى تسبق الثانية، فالطفل يفهم بعض العبارات ويستجيب لها استجابات ملائمة قبل أن يستطيع استخدام اللغة بمعناها الدقيق. ويعترف التجريبيون الذين يدعون أنهم قد علموا الحيوان شيئاً من اللغة الإنسانية أن تلك الحيوانات التي دربوها لم تستطع أن تكتسب اللغة بالطريقة التي يكتسبها الأطفال وقد ظلت "القردة" مثلاً المدربة عدة سنوات تتعلم النطق بثلاث كلمات فقط هي (بابا) (ماما) و(كب) أي فنان، والواقع أنها قد فعلت ذلك بصعوبة كبيرة وبعد تدريب شاق اشتمل على تحريك شفطي القردة باليد بشكل مباشر. [57]ص(33)

إذ ثمة اعتقاداً سائداً بأننا نولد مزودين بأعضاء صوتية وجهاز عصبي يمكننا من النطق، ولا يلبث الطفل طويلاً حتى يكتشف ويستخدم مدى واسعاً من التلفظ بأصوات، بغض النظر عن الثقافة التي ولد فيها، وبالمثل فإن السرعة التي تتحول بها هذه التلفظات إلى نطق له معنى (لدى كل من الطفل والمحيطين به) وإلى أصوات قابلة للإعادة خلال السنوات القليلة الأولى من حياة الطفل تعد شهادة مقنعة لما في وسع الطفل من قدرة على اكتساب اللغة.

[59]ص(54)

ليس هناك شك أن التعزيز والتقليد لهما دور هام في النمو اللغوي، إلا أنه بالرغم من ذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن ينظر إليهما باعتبارهما التغير الوحيد لنمو الطفل اللغوي. فالنظرية السلوكية هي نظرية مبسطة وعامة إلى حد ما، فمثلاً من الصعوبة أن نحلل ونفسر التماثل والتشابه في اكتساب اللغة لدى الكائنات البشرية، فكل الأطفال يكتسبون لغة، ويكتسبونها بطرق متشابهة إلى حد كبير، فلو كان اكتساب اللغة هو بمثابة حالة بسيطة من تشكيل البيئة للغة الطفل فإنه سيكون هناك اختلاف وتباين واضح في الصور والأشكال والعمليات اللغوية.

إن نظرية التعلم تفشل في توضيح وشرح استخدام الأطفال للكلمات والجمل الجديدة، فالالتزام بنموذج نظرية التعلم باعتباره التغير الوحيد لاكتساب اللغة هو بمثابة النظرة القاصرة للموضوع، فعلى سبيل المثال فإن الأطفال الصغار يفهمون اللغة أكثر مما يستخدمونها فنظرية

التعلم ليس لديها تفسير لفهم الطفل للكلمات والجمل المتنوعة كما أن التعزيز والتقليد لا يضعان في الحسبان مسألة السرعة الفائقة التي يتعلم بها الأطفال اللغة بمجرد أن يبدأون في التحدث.

علاوة على هذا فإن الراشدين يميلون إلى تعزيز محتوى الكلام، أكثر من تعزيزهم للتركيب النحوي.

وهناك بحث قام به كل من براون "Brown" وجازدن "gazden" وبيولوجي "bullugi"، قارنوا فيه بين صحة الكلام عند الأطفال حين تعقبه علامات الاستحسان من الوالدين بحديث الأطفال الذي لا تعقبه علامات الاستحسان فأوضحت النتائج أن الأسس التي كان يتم بناء عليها الاستحسان أو عدم الاستحسان لكلام الأطفال أسس غير لغوية على الإطلاق، ولكنها كانت تقوم على مدى الاتساق بين الكلام والواقع، أي مدى واقعية الجملة. [60]ص(163) ولهذا نجد جملا خاطئة نحويا مثل "أنا لا مثل أختي" والتي يقصد بها "أنني لست مثل أختي" قد يستقبلها الوالدين بالاستحسان والموافقة، بينما نجد جملة سليمة البناء مثل "إنني نائم" قد تواجه بعدم الموافقة "لا أنت لم تنم".

وكذلك من أبرز جوانب القصور في هذه النظرية السلوكية هو الافتراض أن الطفل يلعب دورا سلبيا في اكتساب اللغة، فالأطفال حتى في المراحل المبكرة من تعلم اللغة يقومون بالتجريب بشكل فعال من خلال إحداث الأصوات بصرف النظر عن رد فعل الوالدين، فهم يشيرون إلى الموضوعات والأشياء التي يسميها الوالدين لهم، ويبتكرون كلمتان أو ثلاث لم يتحدث بها أبدا الوالدين إليهم [60]ص(205)

وفيما يتعلق بالتقليد فإن التقليد ليس هو السبيل الوحيد الذي يتعلم بواسطته الأطفال اللغة فلو كان ذلك صحيحا فإن كلام الأطفال ينبغي أن يكون صحيحا نحويا بشكل دائم، لأن الراشدين يستخدمون النحو غالبا بشكل صحيح، بيد أننا نجد أن الطفل في الواقع قد يكون كلامه غير مناسب من حيث القواعد النحوية.

كما قدمت جايمس "james" تلخيصا لبعض المشاكل والانتقادات الموجهة لهذا النموذج السلوكي، ففيما يتعلق بدور التقليد فإنه مثار تساؤل، فالأطفال ينتجون جملا لم يسمعوها أبدا من قبل، وهذا يعني أنهم ينتجون جملا أكثر ابتكارية وأكثر اختلافا عما سمعوه فالطفل قد يقول أشياء مثل "لا بابا جاء" ويعني بها أن الأب لم يجيء، أو غيرها من الجمل المختلة نحويا وصرفيا...

كما أن التقليد يقل بشكل كبير بعد العام الثاني، ولكن نجد أنه ما زال هناك كثيرا من اللغة يجب اكتسابها بعد عمر الثانية، ولو كان التقليد هاما كما يعتقد السلوكيون فإننا نتوقع أن نرى تقليدا أكثر اتساقا من النماذج التي نراها.

وهكذا يمكننا القول أنه بالرغم من بعض الفائدة التي تكمن في نظريتي الاشتراط والتقليد في شرح كيفية اكتساب اللغة، إلا أنه بالإضافة إلى ما سبق فإن هذه النظريات تغفل بعض العوامل البيولوجية أو النضجية المهيأة لاكتساب اللغة، فعلى سبيل المثال، نجد أن القراءة للغة المكتوبة تبدأ في عمر السادسة تقريبا وكل الأطفال لا يستطيعون القراءة في نفس الوقت وبعض الأطفال يبدون استعدادا للقراءة مبكرا عن البعض الآخر، إن التهيؤ يدل على أن النمو الملائم يجب أن يحدث أولا قبل أن يستطيع الأطفال التعلم، وهذا التهيؤ للقراءة يجب أن يكون محددا بيولوجيا، فإذا لم يكن ذلك صحيحا، فإنه ينبغي على الوالدين نظريا على الأقل أن يكونوا قادرين على تعليم طفلهم الصغير القراءة بمجرد أن يولد.

ومن نقد النظرية السلوكية نجد تشو مسكي، فهو يدحض الآراء التي عرضها سكرنر في كتابه السلوك اللغوي verbal bahaviar وقد رأينا أن السلوكيين ومنهم سكرنر يؤمنون بأن اللغة لا تعدوا أن تكون عادة اجتماعية سلوكي مثلها في ذلك مثل سائر العادات السلوكية الأخرى، وأن اكتساب اللغة يتم عن طريق المحاولة والخطأ.

أما تشو مسكي فيرى أنه لا توجد أي علاقة بين سلوك حيوانات التجارب وبين اللغة البشرية، لأن اللغة خاصية من خصائص الإنسان التي يشاركه فيها غيره وأن أنظمة الاتصال عند الحيوان والتي تسمى تجاوزا لغات تختلف بصورة جذرية عن اللغات الإنسانية فلهذه اللغات طاقة توليدية لا متناهية ولا يمكن التنبؤ بعبارات اللغة التي سوف تقال استنادا إلى المثيرات الخارجية ويرى أن اللغة ظاهرة معقدة غاية التعقيد وأن الطفل لا يولد وذهنه صفحة بيضاء كما يزعم السلوكيون، بل أنه يولد "مزودا" بمعرفة تامة بالنحو الكلي، أي أنه يولد ولديه قدرته أو استعداد لغوي فطري Compétence وهذا الاستعداد الفطري هو الذي يفسر تلك السرعة المذهلة والسهولة الفائقة التي يكتسب بها الطفل لغة الأم.

وقدرة الطفل على تعلم الكلام ليس له علاقة بالذكاء أو الحافز، فجميع الأطفال سواء أكانوا أذكاء أم أغنياء يتعلمون الكلام باللغة الأم، ولو فرض أن الطفل لم يتعلم هذه اللغة الأولى قبل البلوغ فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يتعلمها بعد ذلك، والتعليم المدرسي لا يعلم اللغة، فالمدرسة تعلم الطفل القراءة والكتابة ولا تعلمه التكلم باللغة [61]ص(بدون صفحة)

وقد رأى تشو مسكبي أن هناك عموميات لغوية، أي قواعد وأشكال عامة تنطبق على جميع اللغات الإنسانية وهذا هو الذي يتيح للطفل أن يكتسب أي لغة يوجد في محيطها وقد أبرز خاصية هامة تميز لغة الإنسان عن أنظمة الاتصال الحيواني تلك هي القدرة الإبداعية للغة الإنسانية، فالإنسان خلاق في لغته وفي وسعه أن يخلق بعدد محدود من الأصوات phonèmes ما لانهاية له من الجمل، والطفل عندما يمتلك خاصية اللغة تتكون عنده القدرة على الخلق والابتكار أي خلق وتوليد الجمل.

إن مثل هذه الانتقادات تدل بوضوح على أن التعلم ليس ميكانيزما مفردا يتم بواسطته اكتساب اللغة، ولهذا يمكننا أن نتناول نماذج ونظريات أخرى من نظريات اكتساب اللغة. ثم ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية حركة تزعمها عدد من علماء كان أهمهم وابعدهم أثرا "سابير Sapir وبلوم فيل"، الذين يعتبران أبا المدرسة البنوية الحديثة... وقد امتد أثر هؤلاء على الدراسات اللغوية النظرية في أواخر الخمسينات من القرن الحالي، وظل أثرهم التطبيقي واضحا حتى أوائل السبعينات بل حتى الوقت الحاضر في كثير من البلدان، ذلك لأن أعمال هؤلاء العلماء اعتبرت ثورة فعلية على القواعد التقليدية، فما هي أسس هذه المدرسة وما هو منهجها وما هي نتائج مجهوداتها؟.

لقد اتخذت هذه المدرسة من المدرسة السلوكية في علم النفس حجر الأساس الذي تركز عليه ولذلك فقد كان اهتمامها مقصورا على السلوك اللغوي الظاهر الذي يمكن ملاحظته، دون التطرق إلى ما يجري داخل الدماغ، ولطلك ركزا دراستهم على لغة الحديث الشفوية بالدرجة الأولى، واعتبروا هذه المظهر من المظاهر اللغوية الأولى والأساسية والاهم ولهذا فقد ظهر في دراستهم الاهتمام الواضح بالجانب اللفظي verbal للغة والعناية الفائقة بانعكاس ذلك على المعاني.

إلا أنهم في مقابل ذلك أهملوا دراسة المعنى إهمالا كبيرا، وتركوه لعلماء النفس والفلاسفة ليعالجوه بطرائقهم الخاصة، على أساس أنه شيء غير ظاهرة وغير محسوس، ولهذا فهو ليس من اختصاص اللغويين.

وقد كان لتأثر أصحاب هذه المدرسة بالحركة العلمية التي سادت القرن الماضي، أثره الكبير على أسلوب أو منهج عملهم بحيث كانوا يجمعون المادة اللغوية من أفواه الناس ويسجلونها ثم يبدؤون بتقسيمها إلى جمل، فأشبه جمل، فكلمات فأجزاء الكلمات، إلى أن يصلوا إلى الأصوات أو اللبنات الأولى، التي تتألف منها اللغة جميعا ثم يستخدمون الأسلوب العلمي

الدقيق في اكتشاف الطرائق التي تتجمع بها الأصوات لتؤلف الكلمات والكلمات لتؤلف الجمل، أي لتؤلف النماذج أو الأنماط التي تنتج عن كل عملية من تلك العمليات.

لقد كان اهتمام "دي سوسير" الرأي الأول لهذه المدرسة منصبا على وصف اللغة، أي لغة، من داخلها وبالاعتماد على المعايير اللغوية دون سواها سعيًا وراء التوصل إلى وصف دقيق علمي شامل لتركيب أو بنية اللغة الأساسية، وما يتفرع عنها من أبنية فرعية، بحيث يأتي الوصف شاملا وعلميا ودقيقا للغاية، ولذلك فقد كانت المعايير المستخدمة واضحة جدا ومنهجية ومطبقة بحرفيتها على جميع الحالات، وهذه بلا شك واحدة من أكبر حسنات منهج هذه المدرسة لأنها تأتي دائما بالنتائج الموثوقة المبنية على أساس ثابت.

[55]ص(144ومابعدھا)

إلا أن أبرز جوانب القصور في هذه النظرية هو اهتمامها بالشكل فقط فهي لم تحاول النفاذ إلى جوهر اللغة وأهم مظهر من مظاهرها وربما كان ذلك هو عبء هذه النظرية الرئيسي فما قدمته هذه النظرية لا يتعدى أن يكون تأخيرا للجمل الرئيسية التي تتكون منها اللغة وقد ساعدتهم النظرية السلوكية في علم النفس على افتراض أن وضع الأطر أو الأنماط اللغوية، سواء على مستوى الكلمة أو على مستوى الجملة، فيه الكفاية لعتاء الصورة الكاملة عن اللغة، ذلك أنهم وخصوصا بعد أن أتى "سكندر" بنظريته القائلة: "إن اكتساب اللغة شبيه باكتساب العادات الأخرى عن طريق 'المثير والاستجابة والتعزيز' ارتأوا أن تلك الأطر أو الأنماط أو القوالب التي قسموا اللغة إليها ما هي إلا أجزاء من العادات أو السلوك اللغوي يكتسبها الطفل واحدة بعد الأخرى بالاستماع والمحاكاة والتعزيز والتكرار إلى أن يتقنها.

وبما أنهم كانوا مهتمين بوجه خاص بتعليم اللغات الأجنبية فقد رأوا أن هذا هو الأساس السليم لتبسيط اللغة على المتكلم -بتقسيمها إلى تلك الأطر أو الأنماط- وبنوا عليها طريقتهم المعروفة باسم الطريقة السمعية الشفوية التي سادت معظم أنحاء العالم فترة من الزمن.

ولكننا نعرف الآن أن معظم علماء النفس المحدثين وكذلك علماء اللغة والمختصين في علم اللغة النفسي، لا يعتقدون أن التغير السلوكي لاكتساب العادات بوجه عام ينطبق على اكتساب اللغة، ولهذا يتضح لنا بجلاء مدى الخطأ الذي ارتكبه أصحاب هذه المدرسة في توجيههم النظري لتحليل اللغة وفرضيتهم المتعلقة باكتساب اللغة التي كان لها أكبر الأثر على توجيههم اللغوي.

لقد تعاملوا مع اللغة كما يتعاملون مع المواد الكيماوية التي يمكن تحليلها في المختبر بطريقة علمية موضوعية لا علاقة لها بالفكر أو المعنى، أو كما يتعامل العلماء مع الظواهر الطبيعية

أو النظريات الرياضية وغيرها، وأهملوا إهمالا تاما علاقة اللغة بالعقل، كما أهملوا علاقتها القوية جدا بالمجتمع فأنت نظريتهم قاصرة إلى حد كبير [56]ص(بدون صفحة 101 من 225)

1.1.1. النظرية الفطرية

في عام 1957 ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية كتيب صغير الحجم عظيم الأثر بقلم عالم اللغة من أتباع النظرية البنيوية وهو "نوم تشومسكي" N.chomsky حيث أتى بنظرية جديدة تختلف عن سابقتها، اختلافا كاملا، واستطاعت أن تقوض النظرية البنيوية من أساسها. لقد أخذت هذه النظرية الجديدة على سابقتها أنها اعتمدت على عينة، من الكلام الفعلي، ووضعتها في أطر موحدة، وكأن تلك الأطر هي الوحيدة التي تمثل أبنية اللغة جميعها، وبذلك سدت الباب على تلك الأبنية التي يمكن أن تتخض عنها قواعد اللغة، بل التي تصدر عن الناس بالفعل سواء في لغة الحديث أو لغة الكتابة، كما أنها أخذت على المدرسة اللغوية السابقة أنها لم تتوصل إلى القواعد الفعلية التي تعمل كالمولد الآلي لتوليد جميع الجمل الصحيحة الممكنة في اللغة، سواء أصدرت عن أحد منذ بدء الخليقة حتى الآن، أم لم تصدر، أما أنها تصدر عن بعض الناس فيما يأتي من الزمن.

كما أخذت هذه النظرية على سابقتها سطحيته في الوصف اللغوي، واقتناعها بالشكل الخارجي للغة دون الالتفات إلى المضمون، أو المعنى الذي يكمن في أعماق اللغة، ويكون المرحلة العميقة الأساسية من مراحلها، ثم أن أصحاب هذه النظرية الجديدة لم يكونوا يؤمنون بالمذهب السلوكي، في علم النفس، واعتبروه سطحيا لا ينفذ إلى أعماق الإنسان الذي تصدر عنه اللغة التي هي أعقد ما يصدر عنه على الإطلاق. [57]ص(124)

وقد افترض أصحاب هذه النظرية أن الطفل يولد مطبوعا على قدرة خاصة تختلف عن جميع المخلوقات الأخرى، لاكتساب أي لغة أو لغات يتعامل معها في مجتمعه بشكل طبيعي، وخالفوا كل من سبقهم ممن قالوا أن اكتساب اللغة يتم عن طريق الاستماع والمحاكاة والتعزيز والتكرار، لأن هذا القول يعني أن يلتزم الطفل بما يسمعه فقط ويختزنه في الذاكرة.

ثم يسترجعه عندما يحتاج إلى شيء منه في مناسبة ما، وهذا في رأي أصحاب هذه النظرية خطأ كبير لسببين: السبب الأول أن هذا لو كان صحيحا لتطلب وقتا طويلا جدا، بينما نجد أن الطفل يتقن لغة قومه في زمن قياسي لا يتعدى السنوات الثلاث أو الأربع الأولى، عن عمره، على أكثر تقدير وفي وقت يكون فيه عقله وذكاؤه قاصرين جدا، أما السبب الثاني فهو أن

الواقع يدحض هذه الفرضية ذلك لأن الطفل ما إن يبلغ الخامسة من عمره وربما قبل ذلك بعام أو أكثر، حتى نجده قادرا على خلق الجمل التي يحتاج إليها في المناسبات المختلفة وفي كثير من الأحيان لا تكون هذه الجملة شبيهة بتلك التي يستخدمها الكبار، والتي يسمعها الطفل منهم، ولهذا فقد افترض أصحاب هذه النظرية أن هناك قدرة تولد مع الطفل تتكون مما يسمى بالقواعد الكلية (لجميع اللغات) *grammaire universelle* ولذا فقد وجد كل من تشو مسلي" ولين برج lanberg أن نموذج التعلم السابق شرحه بسيط جدا ويتعذر الدفاع عنه وفي إشارة إلى أهمية الجوانب البيولوجية يرى لين برج أن بزوغ الكلام يكون تحت ضبط نضوجي صارم، وهكذا نجد أن بعض علماء اللغة يرون أن اللغة يتم تعلمها جزئيا من خلال خبرات الطفل وأن الجانب الأكبر منها يكون بسبب قدرات لغوية فطرية *capacité linguistique*.

فيرى لين برج أن هناك محدد بيولوجي فطري للسلوك اللغوي ويرى أن الكائنات تولد بقدرة لغوية ولديها استعداد فطري على إنتاج اللغة، وترى هذه النظرية أن اللغة ليست مكتسبة كلها، ولكن بعض منها غير ولادي فهناك عناصر معينة من اللغة شائعة فيما يبدو، ويرى "لينبرج" أن قدرة الأطفال على تعلم اللغة هي نتيجة للنضج، ويتحدث عن الفترة الحرجة لاكتساب اللغة فهو يرى أنه عند الميلاد وفي الأشهر الأولى المبكرة فإن النضج يحدد قدرة الطفل على أن يتكلم وعلى العكس فعند حوالي 18 شهرا إلى سن سنتين فإن الأطفال ينمون القدرة على الكلام واستخدام اللغة، فقدراتهم العصبية نضجت لدرجة أن اكتساب اللغة يصبح ممكنا. وعموما فإن المنهج البيولوجي يرى أن هناك تفاعلا بين الاستعداد المبدئي أو الفطري السابق للغة وبين البيئة، وهذا المنهج يفترض أن اكتساب اللغة هو اكتساب سلسلة من القواعد التي تسمح للأطفال أن ينتجوا الجمل [58]ص(311.310) وإلى جانب ما سبق يناقش "لينبرج" عدة أمور شائعة في نمو اللغة، تؤكد مسألة النضج الفطري لنمو اللغة هي:

أ - أن بداية انتظام اللغة تحدث ما بين سنتين وثلاث سنوات.

ب - أن اللغة تبرز قبيل أن يستخدمها الأطفال بشكل مباشر.

ت - أن التلغظات المبكرة مثل المنافات والسجع لا تمثل ممارسة أو متطلبات تعلم

لاكتساب اللغة فيما بعد.

كما يعتقد "تشومسكي" أن نمو اللغة هو حالة مبدئية من النضج وأن العامل البيئي الوحيد الضروري للطفل لكي يتعلم اللغة هو أن يتعرض لبعض اللغة وبعبارة أخرى فإن المعرفة

بقواعد اللغة -أي قواعد كيفية تجميع الكلمات في جمل وعبارات ذات معنى- أي التركيب syntaxe هي عملية بيولوجية الأساس. [58]ص(312)

وبناء على ما يذهب إليه "تشومسكي" فإن كل كائن حي يولد مزودا بقدرة أولية نوعية لاكتساب اللغة، وهي التي يطلق عليها "تشومسكي" آلة اكتساب اللغة، فكل طفل يولد ببناء لغوي عام شائع يرشد محاولات ومجهودات الطفل ليفهم القواعد الأساسية للغة فألة اكتساب اللغة بالمخ تسمح للطفل الصغير أن يستنتج نظام القواعد الأساسية فالأطفال يكتشفون التناسق والانتظام المجرد في الكلام الذي يسمعون، ويحللون هذه الأنماط اللغوية، ويستخدمون نتائج التحليل في لغتهم.

إن وسيلة اكتساب اللغة تضع في الاعتبار حقيقة أن كل الأطفال يسировون خلال نفس المراحل في اكتساب اللغة بالرغم من الاختلافات الكبيرة في حصيلتهم أو لغتهم الفطرية، كذلك تضع في الاعتبار أن الأطفال يقعون في الأخطاء عند قيامهم بعملية الجمع (أي جعل المفرد جمع) مثل قولهم "أغنية" فيجمعونها مثلا "أغنانات" بدلا من أغاني...

ويخطئون كذلك عند التحويل إلى زمن الماضي أو التحويل إلى صيغة النفي مثل "أنا نمت لا ويقصدون بها "لم أنم أو لن أنام"... وكلها لا يمكن أن تكون قد سمعت أو قلدت.

كما يرى تشو مسلكي أن الكلام الذي يسمعه الطفل يدخل إلى وسيلة اكتساب اللغة، وبواسطة العملية التي تحدث هناك، تخلق الأفكار الخاصة بقواعد اللغة لاشعوريا، فالقواعد الفطرية التي تشكل وسيلة اكتساب اللغة والقواعد المكتسبة للغة معينة تكون وتشكل النحو لهذه اللغة.

[59]ص(63)

ومن الجدير بالشرح والتوضيح أن هناك مناطق خاصة باللغة في المخ والمنطقة الأساسية يشار إليها باسم منطقة بروكا "Broca" نسبة إلى العالم "بيربول بروكا" حيث قام ببحث شامل على هذه المنطقة من المخ، واكتشف أنه عندما تحدث إصابة في هذا الجزء تنشأ عن ذلك "الأفازيا" أي فقدان القدرة على النطق ونجد أن الأطفال والراشدين المصابين بالأفازيا غير قادرين على تسمية الموضوعات والأشياء أو غير قادرين على إنتاج الكلمات على الإطلاق، وهناك منطقة أخرى في المخ متضمنة في الكلام هي منطقة وزنك وإصابة هذه المنطقة في المخ تحدث عدم القدرة على تنفيذ الجمل السمعية أو إتباع التعليمات البسيطة، مثل ضع هذا الكتاب فوق المكتب.

ثم إن جانبنا من تعلم الطفل للغة وقدرته على ذلك هو الفهم الفطري للبناء الأساسي للغة، وهو ما يسميه تشو مسلكي البناء العميق، ويمثل البناء العميق المعنى أو الفكرة التي تكمن وراء

الكلمات في الجملة، أما الجانب أو المستوى الآخر للفهم والذي يأخذ فترة ليتم تعلمه هو البناء السطحي والذي يمثل الجملة التي نراها تسير من كلمة لأخرى خلال الصفحة.[59]ص (63) ويمكن توضيح الاختلافات بين هذين المستويين من الفهم من خلال الجمل الآتية "البنت حركت الكرة، الولد قذف الكرة".

"الكرة حركت بواسطة البنت"، "الكرة قذفت بواسطة الولد".

هاتين الجملتين لهما بناء سطحي مختلف، ولكن معناهما واحد، فالجملتين تتحدثان عن طفل قذف الكرة، ولذلك فالبناء العميق هو نفسه البناء السطحي.

مثال آخر:

"لقد كان نباح الكلب مرعباً"

هذه الجملة لها بناء سطحي واحد فقط، ولكن لها معنيان:

(1) أن الكلاب كانت تنبح بشكل سيء.

(2) أن الكلاب كانت تنبح.

في هذه الحالة هناك بناءان عميقان وبناء سطحي واحد، فالبناء العميق قد ترجم إلى بناء سطحي بواسطة تطبيق مجموعة من القواعد، وهذه القواعد تحويلية، وتسمى نظرية "تشومسكي" بنظرية "النحو التحويلي".

إن أهمية القواعد التحويلية تكمن في قدرتها الذاتية على تفريع الجمل من خلال العلاقة التي تتبدى في ضوء ما تقدمه هذه القواعد من إجراءات تفسيرية من خلال بيان العمليات التحويلية المسموح بها من القواعد وتحديد عددها وترتيبها وتعداد القيود المتعلقة بتطبيقها أنظر[59]ص(64)

وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: قواعد تحويلية وجوبية وقواعد تحويلية جوازية (اختيارية) ويعرف هذا في التراث النحوي العربي بالوجوب والجواز ، وجوب أو جواز تقديم عنصر وحذف عنصر. [62]ص(124)

وعموماً فإن النظرية الفطرية أو البيولوجية ترى أن هناك تفاعلاً بين الاستعداد الفطري السابق على اللغة وبين البيئة، وهذه النظرية تفترض أن اكتساب اللغة سلسلة من القواعد التي تسمح للأطفال أن ينتجوا الجمل.

وهكذا وطبقاً لمنظور "تشومسكي" فإن اللغة المنطوقة في بيئة الطفل يتم ترشيحها وتصفيته من خلال وسيلة اكتساب اللغة، حيث يتم إدراك واختزال النظام النحوي إلى قواعد ثم تقوم

وسيلة اكتساب اللغة باستخدام هذه القواعد لإيجاد وخلق تجمعات جديدة من الكلمات، تلك التجمعات قد لا يكون الطفل قد سمع الآخرين ينطقون بها [58]ص(بدون صفحة) ولعل هذه القدرة قد تفسر لنا العدد الضخم من التلفظات الأصلية التي يصدرها الطفل، وتشرح أكثر من ذلك كيف يسلك الطفل ليكسب اللغة من خلال التغذية المرتجعة لتلفظاتهم الصحيحة. [63]ص(64)

لقد ترك تشو مسلئي وأتباعه العديد من الأسئلة المثارة دون محاولة التصدي للإجابة عليها حول كيفية تعلم اللغة، فالفكرة الأخيرة والسابق شرحها بأن الأطفال يجردون نظام نحوي توليدي تساعدنا على فهم النمو السريع للتركيب، إلا أنها لا تولي اهتماما كبيرا لنمو "السيمانتيك" أي تطور معاني المفاهيم وينظر كثير من العلماء إلى ذلك باعتباره نقصا أساسيا في النظرية.

كذلك من الصعب أن نعرف شيئا من وسيلة اكتساب اللغة التي يدعيها "تشو مسلئي" فهم لم يبرهنوا على أن المخ يحتوي بالفعل على هذه الآلة اللغوية الخاصة، وذلك يمثل نقصا عاما في الدعم التجريبي لهذه النظرية، وبالتالي فإن وسيلة اكتساب اللغة هي بناء فرض مفيد، ولكن خصائص هذه الوسيلة وكيفية عملها بالضبط تظل غير واضحة.

2.1.1. النظرية اللغوية "سلوبين" slobine

لقد أقام سلوبين، نظريته من خلال توليفة وتوفيقه بين النظرية السلوكية والنظرية الفطرية السابقتين، فتفرض نظريته أن العوامل البيولوجية تؤثر في اكتساب اللغة، ولكنه يرى كذلك أن التفاعل، بين الأطفال والراشدين (أي تأثير البيئة والخبرة) هو شيء ضروري إذا ما أريد للمهارات اللغوية أن تنمو، "فالميكانيزمات" الفطرية وحدها لا يمكن أن تفسر أو تشرح إتقان الطفل للغة، وأن هذا الإتقان يتضمن ما هو أكثر من الاشتراط والتقليد.

ويتفق "سلوبين" مع "تشو مسلئي" أن هناك قدرة نمو خاصة فطرية لدى البشر، كما أن الملامح الخاصة بالمخ والاختبارات المقطعية تجعل من الواضح أن القدرة اللغوية لها أساس بيولوجي مميز، فسلوك الكائنات الخاص والجهاز العصبي المميز والأبنية التشريحية هي خير دليل على النمو الخاص لهذه القدرات التي يتم تلقيها في الشفرة الوراثية، والتي تجعلنا حتى نصبح كائنات ناطقة أو مخلوقات ناطقة.

ويشرح "سلوبين" ذلك بقوله "أن عقل الطفل مهياً بطريقة مسبقة لمعالجة أنواع من الأبنية التي تحدد ملامح اللغة البشرية وهذا لا يعني أن النسق النحوي هو معطى في ذاته كمعرفة فطرية، ولكن يعني أن الطفل لديه أساليب فطرية لمعالجة المعلومات وتكوين أبنية داخلية وحينما تطبق

هذه القدرات على اللغة التي يسميها، فإنه ينجح في بناء النحو الخاص بلغة محلية [64]ص(120)فالأسس البيولوجية الفريدة للغة الإنسان تؤكد تدعيم المناقشات النظرية والتجريبية فيما يتعلق بالقدرات اللغوية الفطرية للكائنات الإنسانية، إن "سلوبين" لا يجادل في القدرة الفطرية لدى الكائنات البشرية والتي تمكن غالبية البشر من نجاحهم في تعلم اللغة بل أن مناقشته وجداله يركز على طبيعة هذه القدرة الفطرية هل هي نوعا من المعرفة المتقدمة يتم استثارته بالتعرض للغة؟ أم هي قدرات متقدمة متطورة؟.

ويقترح "سلوبين" أن قدرة الأطفال الخاصة على اكتساب اللغة قد تكون بمثابة استراتيجيات متقدمة أو مبادئ تمكن الأطفال أن يقدموا ويكتشفوا كيف تعمل اللغة.

وبتعبير "سلوبين" فالطفل لا يولد بمجموعة من الفئات أو الأصناف اللغوية ولكن بنوع من "الميكانيزمات" العملية أو مجموعة من الإجراءات أو القواعد الاستدلالية، يستخدمها ليعالج البيانات اللغوية، ومن ثم فإن ما هو مشترك وعام في اللغة هو نتيجة للقدرة المعرفة أو الكفاءة المعرفة الفطرية.

فهو يرى أن كل طفل يبدأ حياته ببعض الإجراءات الفطرية البدائية لاستقبال وتخزين وتحليل الخبرة اللغوية ولإتاحة استخدام القدرات ومعرفة متراكمة لإنتاج وتفسير النطق أو التلفظ.

وعلاوة على ذلك فبالرغم من أن "سكنر" و "تشومسكي" ينظرون إلى الأطفال كمشاركين سلبيين في عملية تعلم اللغة، فإن "سلوبين" ينظر إلى الطفل باعتباره فعال ونشط active، ومستطلع، وهو يرى أن كل منهج حديث لاكتساب اللغة يتعامل مع حقيقة مفادها أن اللغة تبني من جديد بواسطة كل طفل ويتيح استخدام قدرات فطرية مؤداها من نوع ما في تفاعل مع خبرات العالم الفيزيائي والعالم الاجتماعي.

وتشير الدراسات الحديثة للأطفال باعتبارهم متعلمين فعالين للغة يقومون دوما بتحليل ما يسمعون، ثم يقومون بعد ذلك بطريقة منهجية قابلة للتنبؤ بوضع هذه المتفرقات اللغوية التي يسمونها معا بطريقة منهجية مرتبة.

فالأطفال يحتاجون إلى التدعيم والتغذية المرتجعة أثناء محاولاتهم الأولى لإجراء وإقامة الاتصال، وكذلك يحتاجون إلى نماذج من الكلام المناسب نماذج لا تعوق قدراتهم النامية فكثير من نوعية الكلام الوالدي الموجه للأطفال يجب أن يكون من نوعية الكلام المناسب والملائم للمهارات البنائية الاستقبالية للطفل، وهكذا فإن الكلام الوالدي غالبا ما يكون بمثابة -مقالات- أي دعائم للنمو اللغوي للطفل.

فالوالدين لهم أسلوبهم المميز في الحديث إلى أطفالهم الصغار، فغالبية الوالدين يقدمون نسخة مختصرة من اللغة المنطوقة عند التفاعل مع أطفالهم الصغار، فالقائمين على الطفل يصفون أحداثاً عينية تحدث في الحاضر وتشير غالباً إلى موضوعات ذات أسماء مصغرة (أي تصغير الأسماء) مثال "هريرة" تصغير "هرة" أو قطيطة تصغير "قطّة".

وعن دور الوالدين وخاصة الأم، أوضح لنا "سنو" Snow كيف توائم الأمهات حديثين بما يلاءم القدرات النامية لأطفالهم مشجعة الطفل على المشاركة التحدّثية، وطبقاً لما يذهب إليه "سنو" فإن هناك مبدئين عامين يعملان أثناء تفاعلات الطفل مع الآخرين: الأول، أن الوالدين عموماً يفسرون سلوكيات أطفالهم كمحاولات للاتصال، حتى عندما لا يبدو ذلك التفسير موضوعياً.

والمبدأ الثاني هو أن الأطفال يبحثون بشكل نشط عن علاقات بين الموضوعات والأحداث والناس في عالمهم والسلوكيات الصوتية للقائمين على رغباتهم. وبسبب هذا التآزر والارتباط بين تلفّظات الراشدين والموضوعات محط اهتمام الطفل، فإن الأطفال يكونوا قادرين على تعلم العناصر الأساسية للغة، والنتيجة لهذين المبدئين هي أن الوالدين لديهم الحافز للتحدث مع أطفالهم، والأطفال يكون لديهم وسيلة لتعلم اللغة. كما أن هذا التفاعل يخدم عدة وظائف في نمو كفاءة الطفل مع اللغة فأولاً، هذا الشكل من الكلام (أي كلام الأم) قد يساعد على اكتساب الطفل لمعنى الكلمة، فالأمهات تميل إلى أن تطلق الأسماء على الموضوعات بصوت عالي من الكلمات الأخرى، أثناء حديثهن للأطفال وغالباً ما يضعون الموضوع في آخر جملة كما في "هل ترى الشجرة".

3.1.1. منظور التفاعل الاجتماعي

كان الاهتمام بدراسة اللغة في محيطها الاجتماعي وما زال سمة من سمات المدارس اللغوية في أوروبا، وخصوصاً في المملكة المتحدة، حيث كان "فريث" Firth يركز عليها في جميع أبحاثه ودراساته، كما كان لغيره من أمثال مالنوفسكي B.malinowsky باع طویل في هذا المجال منذ أوائل القرن الحالي، وحتى في الولايات المتحدة كان هناك بعض الرواد من أمثال "بوس" Boas و "سابير" Sapir وغيرهما ممن ساهموا في هذا المجال، بسبب اهتماماتهم بدراسة لغات الهنود الحمر هناك.

وبعد سنوات قلائل من ظهور نظرية "تشو مسلني" تصدى لها واحد من العلماء الأمريكيين هو "ديل هايمز" D.hymes وبين بكل جلاء أنها قاصرة لأنها تقتصر على ظاهر اللغة، رغم محاولتها التعامل مع المعاني، ولأنها تعزل اللغة عن مجتمعتها ومحيط استخدامها وبذلك

تتخسر خسارة هائلة، وتصبح محدودة غير شاملة لجوانب اللغة المختلفة، وخصوصا الظروف التي تتحكم في استخدامها الفعلي في المجتمع.

وبينما كان "تشومسكي" يبحث عما يكون القدرة أو الملكة اللغوية competence linguistique، دعا "هايمز" وزملائه إلى البحث عن قواعد القدرة على التواصل أو ملكة التواصل، التي تشمل القدرة اللغوية، واستخدام اللغة في المجتمع والقواعد الاجتماعية التي تحكم ذلك الاستخدام. [58]ص(41.40)

وفيما يتعلق بمنظور التفاعل الاجتماعي في تطور اللغة يرى بعض الباحثين أن اللغة هي بمثابة نشاط اجتماعي activité sociale ينشأ من الرغبة في الاتصال مع الآخرين في المواقف الاجتماعية التفاعلية وعلى الرغم من أن هذا المنظور يولي اهتماما بالأسس البيولوجية الفطرية لدى الكائنات الإنسانية لتعلم اللغة، فإنه كذلك يؤكد في نفس الوقت على الدور الذي تلعبه كل من الخبرات expérience التي تنشأ عن الاحتكاك مع الباقين ذوي المهارة في الحديث وتطور المهارة اللغوية.

كما أن الأمهات تميل أيضا إلى لغة الانتباه أو التأكيد على الكلمات الجديدة من خلال رفع نغمة الصوت عند نطقها، ثانيا، فإن التنغيم للكلمات قد يسهل اكتساب الطفل للتركيب وأخيرا نجد أن التعريض لحديث الأمهات قد يوفر للطفل دروسا في التحول التحادثي، أي تحول المحادثة من الأم للطفل إلى الأم، وهذا أحد العناصر العملية التي تسود الكلام في التفاعل مع الآخرين.

ولقد أوضحت البحوث، أنه كلما قضت الأمهات وقتا أطول في التحدث والتقابل مع الطفل ذو العام من عمره، كلما كبرت حصيلته اللغوية، كما أوضح "أولسون" و"بايلز وباتس" و"هنتلوشر" Olson.Bayles. et .Baes et huttenlocher أنه كلما تتحدث الأم أكثر مع الطفل كلما اكتسب الطفل كلمات أكثر.

إن المسألة ليست مجرد أن كم أو مقدار حديث الأمهات مع أطفالهن هو الذي يحدث اختلافا، بل كذلك كيفية تحدث الأمهات في مسائل مختلفة، فعندما تستخدم الأمهات عدد كبير من التوجيهات، لضبط سلوك أطفالهن وتكون هذه التوجيهات تطلعية، فإن النمو اللغوي يكون بطيء، وعندما تستخدم الأمهات الأسئلة وتبادل الحوار لاستخراج اللغة من أطفالهن، ويتبعون مبادرة الطفل باستجابة فإن النمو اللغوي يتقدم بسرعة أكثر، ومن خلال انغماس الأطفال الصغار في المحادثات، فإن الأمهات تزيد من انتباه الطفل لخصائص اللغة ويوفرن في نفس الوقت لهم مجموعة كبيرة من المعلومات عن هذه الخصائص.

إن التفاعل الاجتماعي وتأثيره على النمو اللغوي لا يقف عند حد العلاقة مع الأم فقط، بل يتضمن تفاعلات الطفل مع المشاركين الآخرين له، فالتبادل اللغوي مع الآباء والأقران والأخوة يؤثر في مستوى المهارة اللغوية للطفل، فعلى سبيل المثال عندما يتحدث أطفال عمر الخمس عشر شهرا مع آبائهم، فإنهم يخبرون تحليلات اتصالية أكثر مما يحدث عند التحدث مع الأمهات، فالآباء غالبا ما يطلبون إيضاح أكثر أو تفسير الموضوع، أو أنهم لا يعترفون ويسلمون بلغة الطفل بعد أن يفشلوا في فهم ما يقول الأطفال. وهكذا نجد أنه عند الاتصال بالآباء فإن الأطفال يواجهون تحديا للقيام بتوافقات لكي يتبقون ويحتفظون بهذا التفاعل. [65]ص(125)

3.2.1. مراحل النمو اللغوي

من الأهمية بمكان أن الطفل يولد بكل التجهيزات التشريحية التي يحتاجها لاستقبال وإنتاج اللغة والكلام، ويستخدم الطفل كل تجهيزه الاتصالي منذ البداية، فهو يستخدم أذنيه لسمع، ويستخدم حنجرته في البداية لإحداث الصراخ، وخلال أسابيع قليلة يستخدمها لإحداث أصوات معبرة عن السرور كذلك، وغالبا ما تكون التوافقات التي يحدثها الطفل بأعضاء التلفظ خلال السنة الأولى، عشوائية بلا معنى، ولكن في غضون أشهر قليلة يحدث أصوات لينة، وفي نهاية السنة الأولى فإنه يحدث أنواع من الحركات والاتصالات الضرورية لإنتاج الحروف الساكنة.. المهم هنا أن الطفل يولد مستعدا للكلام ولا يضيع وقتا للاستعداد لذلك اليوم الذي يصبح فيه استراتيجيته للاتصال متضمنة ومشتملة على اللغة، وأكثر الجوانب أهمية في نظام اتصال الطفل هي المكون أو الجانب الاستقبالي، فهو لديه سمع جيد، وهو قادر على التعامل مع المثيرات السمعية التي يتلقاها بطرق تعكس اهتماما فطريا بالكلام، وهذا من الأهمية بمكان لأن الكلام واللغة يعتمدان على القدرة على الاستقبال والتعامل مع المعلومات الحسية وخاصة السمعية.

ويرى أوينز Owens أن نمو الكلام واللغة يعتمدان على ستة قدرات إدراكية حسية هي:

- (1) القدرة على الانتظار من أجل الكلام.
- (2) القدرة على تمييز أصوات الكلام.
- (3) القدرة على تذكر تتابع أصوات الكلام في الترتيب الصحيح.
- (4) القدرة على التمييز بين تتابعات أصوات الكلام.
- (5) القدرة على مقارنة تتابع أصوات الكلام بالنموذج التي تم تخزينه في الذاكرة.
- (6) القدرة على إحداث التمايزات بين الأنماط الكلامية من حيث النغم.

وعموما يعتبر اكتساب اللغة وتطورها من الموضوعات الشديدة الأهمية في علم نفس النمو وعلم نفس اللغة، ونظرا لأن اللغة من أهم وسائل ربط الإنسان ببيئته الاجتماعي فإن النمو اللغوي للطفل في السنوات الثلاث الأولى من عمره له أهمية بالغة في اكتساب العضوية في المجتمع.

وفي هذا المجال نتجه مع "ميرفي" Murphy إلى ضرورة التفريق بين عمليتين مختلفتين تقومان وراء اكتساب الطفل اللغة وهما:

الأولى: هي عملية فهم لغة الغير من الراشدين.

الثانية: هي استخدام اللغة.

ويتفق معظم الباحثين على أن العملية الأولى تسبق الثانية فالطفل يفهم بعض العبارات ويستجيب لها ملائمة قبل أن يستطيع استخدام اللغة بمعناه الدقيق. [66]ص(146) وبشكل عام فإن اكتساب اللغة لدى الطفل البشري يبدأ بالأصوات ثم تبدأ هذه الأصوات في التمايز لتصبح كلمات لها معنى، ثم تتركب هذه الكلمات لتصبح جملا نحوية ذات معنى. [67]ص(102.101)

إن الطفل بعد ولادته ينتقل إلى بيئة أخرى مختلفة تماما عن بيئته السابقة، (بيئة الرحم) أي ينتقل من بيئة قبل ولادية قليلة المثيرات وشبه هادئة إلى بيئة صاخبة مضطربة ومتغيرة، وقد لاحظ العلماء أن الطفل عند ولادته يصرخ صرخة الميلاد، وهي صرخة لإرادية بسبب اندفاه الهواء إلى الرئتين، كما أن الطفل في بعض حالات الولادة المتعسرة نجده يصرخ، ولذلك يعتبر علماء اللغة أن أول مرحلة من مراحل النمو اللغوي هي مرحلة الصراخ لدى الطفل، وقد تبين أن مراحل اكتساب اللغة واحدة في جميع الأطفال وأن لغة الطفل تبدأ بمرحلة الصراخ.

وبدراسة نتائج الدراسات المختلفة التي حددت مراحل التطور اللغوي خلال فترة ما قبل المدرسة وجد أن أغلب العلماء يقسمون مراحل نمو اللغة عند الطفل إلى مرحلتين أساسيتين، تنقسم كل منهما إلى عدة مراحل فرعية على النحو التالي: [68]ص(68)

1 -مرحلة ما قبل اللغة أو ما قبل الكلام.

2 -مرحلة اللغة أو الكلام الحقيقي وفهم اللغة.

1. مرحلة ما قبل اللغة

1.1. من الصرخات إلى الكلمات

هناك أهمية للاستقبال في خبرات الاتصال المبكرة لدى الطفل، وأهمية أخرى أيضا للتفاعل بين الطفل والقائمين على رعايته، وإذا ما نظرنا إلى إنتاج اللغة والكلام باعتباره نموذج من المدخلات -المخرجات، فإننا نجد أن القائمين على رعاية الطفل يمدونه بالمشيرات اللغوية والكلام، والمسألة هنا أكثر تعقيدا من مجرد الاستيعاب البسيط لما ترسله البيئة له، فالطفل لا يتلقى المعلومات فحسب بل هو يتفاعل مع المرسل لهذه المعلومات، كما أن المعلومات اللغوية التي توجه للطفل مباشرة ذات معنى وأهمية أكثر من المعلومات اللغوية التي توجه للناس الآخرين في حضور الطفل.

أما جانب المخرجات في عملية الاتصال فإنه لا يبدأ مع الكلام ولكن مع السلوكات غير اللغوية، وحينما ينضج الطفل عقليا وإدراكيا وعضليا، فإنه يكون قادرا على استخدام المعلومات التي يتلقاها من القائمين على رعايته ليجعل اتصالاته أكثر تحديدا، أكثر قصدية، وأكثر شبيها باللغة الحقيقية. إن بداية اتصال الطفل بالعالم بسيطة جدا، أنه يصرخ.

1.1.1. مرحلة الصراخ

هي المرحلة السابقة للغة تسمى بمرحلة "التمهيد والاستعداد" كما أن هناك من اللغويين من سماها بمرحلة الفونولوجيا، وأول فتراتها فترة الصراخ [69]ص(143) وهي أول الأصوات التي يحدثها الطفل والتي تتضمن صرخاته الأولى هي انعكاسية réflexive مما يعني أنها غير متعلمة، وإلى جانب الصراخ فهو يتجشأ ويعطس.. هذه الأصوات أحيانا ما تسمى بالأصوات النمائية végétative الإشارة إلى أنها أصوات طبيعية. وتوصف أولى صرخات الطفل بأنها غير متميزة، وعند نهاية الشهر الأول يستطيع القائمين على رعاية الطفل التمييز بين صرخات أساسية عديدة فحينما يكون الطفل جائعا فإنه يحدث نمط متكرر من الصراخ العالي، الصمت الشهيق، ثم فترة راحة تعقبها حركات مص بشفتيه، وحينما يتكلم فهو يحدث صرخة توصف بأنها طويلة عالية حادة. وقد يعقب هذه الصرخة صمت يبدو أن الطفل يلتقط أنفاسه أثنائها كذلك قد يطبق كفيه ويلوي قسما وجهه مع توتر العضلات ويعبس، ولا يمكن أن نخطئ الأصوات الخاصة بضيقه وكربه، ويشبه ذلك صرخة الغضب، ولكن في صرخة الغضب فإنه يحرك كمية أكبر من الهواء ولا نجد أية صعوبة في إدراك الرسالة وراء هذا الضيق والاضطراب.

يرى "شاتز" Chatz أنه لا تكون هناك في البداية لغة لدى الطفل أكثر من الصراخ، ولا تكون هناك نية أو قصد لنقل المعلومات كما ليس هناك توقع للأثر الذي يحدثه سلوك الطفل

على العالم المحيط به، وهكذا تبدأ هذه المرحلة بالصرخة الأولى أي صرخة الميلاد، وهي صرخة لها دلالاتها وأهميتها الخاصة سواء الدلالة الفسيولوجية أو اللغوية فمن الناحية الفسيولوجية هذه الصرخة تمثل أول استخدام للجهاز التنفسي الرقيق، وهي تحدث بسبب اندفاع الهواء بقوة عبر الحنجرة إلى رئتي الطفل، حيث يتم اهتزاز الحبال الصوتية وبالتالي تحدث عملية التنفس التي تهدف إلى تزويد الدم بقدر من الأكسجين ضروري لحياة الطفل. أما الدلالة اللغوية فإن هذه الصرخة لها أهمية نظراً لأنها تمثل أول استخدام لجهاز الكلام، كما أنها كذلك أول مرة يسمع فيها الطفل صوته، وهي خبرة هامة للتطور اللغوي، وقد سمي "أوتورانك" Autorank وهو من علماء التحليل النفسي هذه الصرخة تسمية فلسفية عميقة الدلالة "صدمة الميلاد".

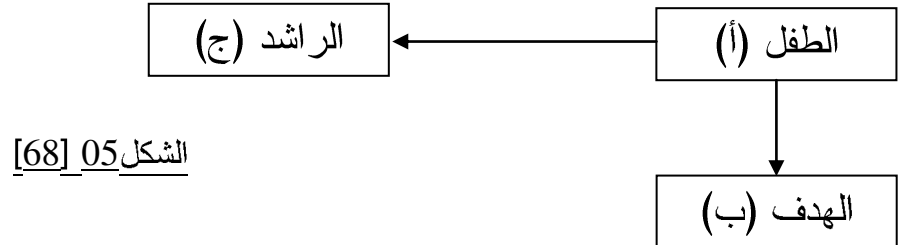
1.1.1.1. وظيفة الصراخ

من الواضح أن صراخ الطفل قد يكون له قيمة اتصالية communicative ولكن يتضح أنه في الشهور الأولى التسعة، فإن الصراخ كسلوك -من وجهة نظر الطفل- مجرد رد فعل لحالة داخلية، وعلى الرغم من أن الصراخ قد يكون تعبيرات سلوكية هادفة لحالات داخلية، فإنه قد يظل ضروريا لتأسيس نظم الاتصال فيما بعد، فالأطفال يصرخون ويحاولون الوصول إلى هدف ما، والراشدون يفسرون رغباتهم لمواجهتها وإشباعها والأطفال حينما يعبرون بإشاراتهم التي تخدم هدف اتصالي لا يعون تلك العملية.

إن معظم الأصوات التي يحدثها الطفل خلال هذه الفترة، تكون في شكل صراخ، ولهذا الصراخ أهمية كبيرة في تمرين الجهاز المختص بالكلام الذي لم ينضج بعد، إلى جانب أن الصراخ يساعد الطفل على التعلم، فهذه الأصوات يمكن أن تساعد على إشباع حاجاته الأساسية ورغباته عندما يؤدي الصراخ إلى التخلص من الجوع أو الألم أو الحصول على انتباه الآخرين كما سيأتي. [68]ص(70)

وفيما يتعلق بالقصدية في الاتصال يرى غالبية الباحثين أن ذلك يحدث في حوالي 09 إلى 10 شهور من العمر لغالبية الأطفال، وقبل هذا الوقت لا يحدث اتصال قصدي وفي النصف الثاني من العام الأول من الحياة، فإن النمو المعرفي *développent cognitive* في غالبيته يتحقق مما يسهل عملية الاتصال الفعال، فالأطفال ينمون القدرة على السلوك بقصد أي يقصدون ما يسلكون فعلى سبيل المثال، نجد أن الأطفال قادرين على استخدام وسائل ناجحة لا حصر لها من الأفعال لكي يحلوا مشاكل ما، مثل الحصول على لعبة يرغبونها...

وقد أوضح "باتس" Batés أهمية فترة العمر 09 إلى 13 شهر لبزوغ عملية الاتصال القصدي على النحو التالي:



وكما يرى في الشكل التوضيحي السابق نجد أن الطفل يقف عند النقطة (أ) مواجهاً لهدف بعيد عن متناول يده (ب) أما الراشد الذي سوف يحقق للطفل هدفه فإنه يقف عند النقطة (ج). وقبل ثماني أو تسع أشهر، فإن الأطفال يحاولون الوصول إلى اتجاه الهدف ويثيرون الهرج والمرج وربما يصرخون طلباً للهدف المعين (ب) وعندما يصبحون متضايقين بدرجة كبيرة، فإنهم قد يكفون عن بذل الجهد ويتجهون إلى الراشد (ج) طلباً للراحة. وعند تسع شهور فإن هذا النمط يتغير فالأطفال الصغار يبدأون في تفسير سلوكياتهم الهادفة ليتطلّعوا إلى الراشد، ونجد أن الاتصال البصري (بالعين) يتحول للخلف والأمام، من مكان الراشد (ج) إلى مكان الهدف (ب) علاوة على ذلك فذا لم يتحرك الراشد نحو الهدف فإن الطفل قد يتلفظ بصور عالي أكثر أو يغير من صوت أو يضيف إشارات مختلفة، ومن ثم فإن سلوك الطفل الإشاري يبدو الآن قائم على الأفعال الصادرة من الراشد، أكثر من كونه قائم على مكان ووضع الهدف ذاته.. ومن هذه النقطة يستدل على أن الطفل لديه تحكم قصدي على السلوكيات الاتصالية باعتبارها آليات إشارية أكثر من كونها ردود أفعال لحالات داخلية. [71]ص(63)

2.1.1. أسباب الصراخ

إن الصراخ الذي يحدثه الطفل حديث الولادة ليس سوى وسيلة للتخلص من مصادر الضيق أو التوتر، سواء كان توتراً داخلياً أو خارجياً في البيئة وقد حاول العلماء تحديد الأسباب وراء الصراخ من خلال هذه الفترة، وقد اختلفت الأسباب التي قدمت لذلك من جانب العلماء. فقد أوضح أن الطفل الذي يقل عمره عن 07 أسابيع فإن أهم أسباب الصراخ ترجع للجوع يليها الصراخ لأسباب غير معروفة، أما أقل الأسباب في هذه السن فهي الضوضاء، أما

البعض الآخر من العلماء فقد أوضحوا أن صراخ الطفل خلال السنة الأولى يمكن أن يرجع لكثير من الأسباب أهمها:

- 1 -الألم المتعلق بالتغذية والإخراج.
 - 2 -المنبهات القوية كالضوء الشديد أو البرد والحرارة الشديدة أو الأصوات الحادة..
 - 3 -الأوضاع غير المريحة.
 - 4 -الاضطرابات القوية أثناء النوم.
 - 5 -التعب، الخوف...
- وعامة فإن الطفل حتى قبل بلوغه ثلاثة أشهر فإن الطفل العادي في نموه يكون قد تعلم تماما أن الصراخ هو الطريقة الأكيدة لتحقيق الحاجات والرغبات والحصول على انتباه الآخرين، والصراخات التي يحدثها الطفل ترتبط في ذهنه ارتباطا شرطيا بالنتائج التي تترتب عليها مما يزيدها رسوخا فإذا كان الصراخ قد أدى في مرة سابقة على الإشباع عن طريق الرضاعة فإن الصراخ في حالات الجوع يكون أشد وأقوى حتى يتحقق الغرض المطلوب وبسرعة، ومعنى ذلك أن الطفل يستخدم الصراخ خلال هذه المرحلة للتعبير عن حالاته الوجدانية ودوافعه المختلفة.

وعلى ذلك فالوظيفة التي يؤديها الصراخ خلال هذه الفترة من حياة الطفل وظيفة اللغة في أبسط صورها، أي الاتصال بالآخرين وطلب العون منهم لإشباع الحاجات. [68]ص(71) وهكذا يمكننا أن ندرك أن الصرخة قد تكون أشبه في البداية بفعل منعكس -المثير فيه هو اندفاع الهواء إلى الرئتين- والاستجابة هي تلك الأصوات التي يصدرها الوليد، ثم يتحول صراخ الطفل بعد فترة قصيرة من عملية لا إرادي إلى عملية إرادية هدفها التعبير عن حالة الطفل.

وتستطيع الأم بخبرتها أن تميز بين صراخات الطفل المختلفة وتدرّك الدلالة والمعنى لكل صرخة، فهذه صرخة جوع وتلك صرخة ألم...

3.1.1. التحليل اللغوي للأصوات التي يحدثها الطفل أثناء الصراخ

تبين ملاحظات بعض الباحثين أن الأصوات الأولى المبكرة التي يحدثها الطفل أثناء الصراخ تتصل بالحروف المتحركة ففي العربية نجد (الفتحة والكسرة والضمّة والشدة والسكون) وأول الحروف الساكنة ظهورا الحروف الأمامية التي تصدر عن مقدمة التجويف الفمي (أصوات الشفاه) وهناك من يرى أن هذه الحروف تتكون من مؤخرة التجويف الفمي والحلق، فهناك خلاف حول ذلك، وقد أكد البعض أيضا أن اكتساب الأصوات اللغوية يخضع لقانون أقل جهد

فسيولوجي وأن الأصوات التي يحدثها الطفل الصغير تسير من الأصوات التي تخرج عن الشفاه إلى الأصوات التي تتطلب جهداً فسيولوجياً ومقدرة أكبر، أي تلك الأصوات الصادرة عن مؤخرة الفم والحلق، وقد حظي هذا الرأي بقبول واسع من جانب كثير من علماء لغة الطفل إلا أن هناك العديد من العلماء الآخرين يختلفون مع التفسير والاستنتاج السابق ويرون أن تطور اكتساب الأصوات اللغوية يسير في الاتجاه العكسي، أي من مؤخرة الفم (الحلق) إلى مقدمة الفم (الشفاه).

ففي الملاحظات التي اختصت بهذا الجانب تبين أن الأصوات التي يحدثها الطفل الصغير تكون من الأصوات الخلفية وإن الأصوات الصادرة عن الشفاه تظهر بعد ذلك، وفي الدراسة الدقيقة التي أجراها العلماء نجد أن الأصوات التي تظهر عن مؤخرة الفم، حيث نميز بين الأصوات الصادرة عن الراحة وتلك الصادرة عن إحساس الطفل بعدم الراحة، وتأكد أن الأصوات الخلفية هي المعبرة عن الراحة والأمامية عن عدم الراحة والألم. وعامة فإن أول الحروف الساكنة ظهوراً الحروف الأمامية وهي قسمان: حروف شفوية مثل (الباء) وحروف شبيهة (أسنانية) مثل (الذال) و(التاء) وترجع أسبقية ظهور تلك الحروف إلى أن الطفل حين يستعد للقيام بما يتوقعه من الرضاعة فإن الأصوات التي يصدرها تكون قريبة من الشفتين والأسنان. [68]ص(74.73)

ثم تبدأ الحروف الأنفية مثل (النون) و(الميم) وهذان الحرفان يصدرهما الطفل في الغالب عندما يكون في موقف من مواقف الارتياح في النصف الثاني من العام الأول، وعندما يصل الجهاز الكلامي إلى درجة من النضج يتمكن الطفل من السيطرة على حركات لسانه تبدأ الحروف الساكنة الخلفية، وهي المعروفة بالحروف الحلقية في الظهور مثل (الكاف) و(الجيم) و(القاف) و(العين)...

وبعد اكتساب الأصوات الأولى واستخدامها يلاحظ زيادة كبيرة سريعة في أنواع الأصوات التي يستخدمها الطفل، بحيث أنه ابتداءً من الشهر الثالث من عمره نجد أن معظم العلماء قد أشاروا إلى بداية المرحلة التالية في التطور اللغوي أي مرحلة المناغاة.

1.2. مرحلة المناغاة

لا ينطق الأطفال أولى كلماتهم قبل سن 10 إلى 12 شهراً من العمر، غير أن هذه الكلمات الأولى، يسبقها تاريخ من التلفظ vocalisation فعند سن "الشهرين" ينمو الجهاز العضلي لدى الطفل بدرجة تسمح بإحداث أصوات معينة أساسية للغة، ومع التحكم المتزايد في اللسان والفم،

يتقدم الصغير نحو المناغاة، فعند الميلاد تكون قدرات الطفل الصوتية محدودة بالصراخ وبأصوات أخرى قصيرة قليلة مثل التتهيدات والطققات...

ويرى معظم العلماء الذين قاموا بدراسة التصور اللغوي للطفل خلال الشهور الأولى من عمره أنه ببلوغ الطفل الشهر الثالث فإن عملية المناغاة تكون واضحة تماما لديه، وتستمر هذه المرحلة عادة حتى نهاية العام الأول عندما تسمع الكلمة الأولى منه، ولكن يجب أن نعرف أن بداية هذه المرحلة وكذلك نهايتها تختلف من طفل لآخر وتتوقف على مدى نضج وتطور جهاز الكلام لديه. [68]ص(75)

وتتضمن المناغاة إنتاجا واسع المدى لأصوات الكلام، فالأطفال الصغار ينشغلون في العمل على تفكيك اللغة لإيجاد وإحداث الأصوات المتفرقة التي تتضمن تلك اللغة ففي عمر 3 إلى 4 أشهر نجد أن تلفظات الأطفال الصغار تتكون من أصوات لينة مفتوحة فهم يقولون مثلا أ-أ-أ، وتلك الأصوات غالبا ما توصف باسم "الهديل" لأنها تشبه "هديل الحمام" وباستمرار الأطفال في إصدار هذه الأصوات المتنوعة فإنهم يبدؤون في حوالي الشهر الخامس أو السادس في تجميع هذه الأصوات في سلسلة من الأصوات نسميها المناغاة، ففي سن ستة أشهر ينغمس الأطفال في أصوات متنوعة تتضمن تلك الحروف الساكنة، وفي عمر 7 أشهر تصبح مناغاة الطفل ثرية وغنية بواسطة الكلمات ذات المقطعين، وتكون هذه المقاطع مميزة تماما مثل (دادا أو بابا بابا...) وهذا ما يطلق عليه المناغاة المضاعفة.

وعند نهاية مرحلة الطفولة الأولى تبدأ المناغاة تأخذ شكل الترنيمات والإيقاعات الخاصة باللسان المحلي للطفل، وعند الشهر الثامن فغن غالبية الأطفال يتعلمون الاستماع ويحاولون الانضمام للمحادثات التي لا تستهدفهم بشكل مباشر، فإذا ما كان الأب يتحدث مع الأم، وكان الطفل يجلس بينهم فإن رأسه يتلفت يمينا وشمالا من الأب للأب وهكذا كما لو كان يشاهد مباراة للتنس، وبمجرد أن يتعلم الطفل كيف يقاطع الحديث، فإنه ينمي تلفظات معينة تستلقت الانتباه وعند نهاية الشهر الثامن وفي الشهر التاسع فن مقاطع المناغاة التكرارية تتجمع معا في جمل طويلة من أربع مقاطع أو أكثر، فالمناغاة عادة ما تتكون من مقاطع متكررة أو متطابقة مثل بابا، دادا، باي باي...

وقد أوضح الكثيرون في هذا المجال (تطور اللغة) أن البنات يسبقن البنين في عملية المناغاة وكذلك لديهن قدرة أكبر على تنويع الأصوات أثناء عملية المناغاة.

وهناك عوامل وتغيرات نضوجية في الجهاز العصبي المركزي تلعب دورا في نمو عملية المناغاة، ولكن هذه العوامل ليست هي المسؤولة وحدها على المناغاة، فالبيئة قد تلعب دورا هاما في المناغاة والتلفظات المبكرة عند الطفل.

وفي مناقشة لدور البيئة في عملية المناغاة نجد تساؤلا مؤداه، هل الأطفال الصم الذين يتلقون اشارة سمعية قليلة أو منعدمة من البيئة يقومون بالمناغاة؟ وبصدد هذا التساؤل نجد أن الدراسة الكلاسيكية التي قام بها العلماء مثل "لينبرغ" وغيره ترى أن صغار الصم يبدون العلامات المبكرة للمناغاة، غير أن الدراسات الحديثة أثبتت أن المناغاة الأكثر تعقيدا لا توجد لدى الأطفال الصم، وهذا يقودنا إلى وجهة النظر بأن العوامل النضوجية قد تكون مسؤولة عن الأصوات المبكرة للطفل ولكن التعرض للكلام السوي السليم يكون مطلوبا للأشكال الأكثر تقدما من المناغاة. [71]ص(163)

وفيما يتعلق بأن المناغاة ليست مكتسبة يسوق بعض العلماء العديد من الأدلة على ذلك من أهمها:

- أن أصوات المناغاة التي يصدرها الطفل تتوقف إلى حد بعيد على شكل التجويف الفمي أثناء إصدارها، نظرا لأن شكل التجويف يؤدي إلى تعديل مسار تيار الهواء المطرود من الرئتين، وهو التيار الذي يمر على الحبال الصوتية محدثا أصواتا مختلفة.
 - كذلك أوضحت الدراسات أن الأصوات التي تصدر عن الأطفال الصغار خلال مرحلة المناغاة تكون متشابهة لدى الأطفال في مختلف المجتمعات ومن مختلف الجنسيات وذلك بصرف النظر عن اختلاف اللغات المستخدمة في تلك المجتمعات. [68]ص(76.75)
- فقد ثبت من خلال البحوث عبر كل الأجيال أنه لا يوجد اختلاف في المناغاة مهما اختلفت الثقافات وقد أثبت انجرام ingram أنه في بعض اللغات مثل الفرنسية والعربية والتي تختلف في نوعية الصوت وطبقته يمكن أن يستنتج المستمع اختلافات في مناغاة الأطفال في عمر 8 إلى 10 أشهر، ولكن تختفي هذه الفروق فيما بعد. [68]ص(76)
- إن الطفل الأصم -كما سبق ورأينا- الذي لا يسمع صوته ولا صوت الآخرين يصدر الأصوات الخاصة بالمناغاة مثل الطفل العادي -على الأقل لفترة- ولكن بعد مضي وقت ما ونتيجة لعدم سماع صوته يفقد اهتمامه بالأصوات وتقل المناغاة.
- ولكل ما سبق يرى العلماء أن الطفل يصدر أصوات المناغاة بدون أي قصد أو مجهود من جانبه، ويرون ذلك نوعا من النشاط العضلي الخالص، وهو بمثابة استجابة للحاجات الطبيعية.

وقد أشار العلماء إلى أن أصوات الطفل (المناغاة) تنتج عن تحول الأصوات التي كانت تصاحب شعور الطفل بالراحة والرضا خلال المرحلة السابقة مباشرة، وتبين أن أصوات الراحة تلك هي أصوات تعبيرية في طبيعتها ويصدرها الطفل للتعبير عن شعوره بالراحة، ولذلك فالمناغاة لا تخرج عن كونها مجموعة من الأصوات التي يخرجها الطفل وهو في حالة ارتياح واسع..

كما يتفق العلماء أن مناغاة الطفل شكل من أشكال اللعب أو "حديث اللعب" وينظرون إليها بوصفها مجرد نشاط يحقق للطفل سعادة ويجد المتعة في المناغاة وسماع صوته ونظرا لأن المناغاة لا ترتبط عند أي مرحلة وفي أي وقت بأشياء محددة أو مواقف بعينها أو بأشخاص محددين، لذلك لا يرى لها علماء اللغة أن لها مغزى عند الطفل، ولا يعتبرونها وسيلة للاتصال بالآخرين، ولذلك فهم لا يعتبرونها حديثا بالفعل أو المعنى الصحيح للكلمة. [68]ص(75)

وقبل أن ننقل إلى المرحلة التالية: وهي مرحلة التقليد يمكن أن نلخص أهم الفروق بين مرحلة الصراخ ومرحلة المناغاة فيما يلي: [68]ص(77)

الجدول رقم 01 [68]

مرحلة المناغاة	مرحلة الصراخ
أصوات مقطعية خاصة بالإنسان	الصراخ غير مقطعي ويشترك مع الحيوان
تقترن في الغالب مع حالات الرضا والراحة	غالبا ما يقترن بانفعالات مؤلمة وغضب
يمكن للطفل السيطرة لحد ما على جهازه الصوتي	غير إرادية
المناغاة ذات ألحان حسب حالة الطفل الوجدانية	الصراخ عشوائي ولا يسير حسب إيقاع معين
أثر عامل التعلم والاكتساب أكبر	أثر عامل الاكتساب ضعيف
تسجيل المناغاة صعب لحد ما	محدودة النطاق وتسجل بسرعة
المناغاة قد تخدم حاجات عضوية، أو وجدانية بشكل أكثر وضوحا وفعالية	الصراخ يخدم حاجات عضوية

3.2.1. مرحلة التقليد

في هذه المرحلة نجد الطفل يقلد صيحات وأصوات الآخرين التي يسمعها وذلك بهدف الاتصال بهم، أو أن يصبح مثلهم، أو من أجل اللهو، أو بصورة عضوية تلقائية، أو بهدف إشباع حاجة ما والتقليد في اللغة معناه نسخ أنماط معينة من سلوك الآخرين، وعملية التقليد

حقيقة توجد لدى جميع الناس (وبعض الحيوانات) إلا أن الدراسات لم تجد ما يثبت أن التقليد عمل غريزي في سلوك الإنسان، ويبدو أن هناك دورا في عملية التقليد لعملية التعلم، فقد اعتبر البعض عملية التقليد واحدة من طرائق التعلم ووسيلة تسهل عملية التعلم لدى الطفل. والتقليد ذو أهمية بدليل أن كل طفل يتعلم اللغة التي يسمعها من المحيطين به، أي أن اللغة القومية له أو لغة الأم، هذا ولا تخفى أهمية التقليد لكل جوانب سلوك الطفل المختلفة، ولعل أهمية التقليد في مجال النمو اللغوي تتضح لدى الطفل الأصم ولاديا، فهو عاجز عن تعلم الكلام بسبب حرمانه من فرحة تقليد الآخرين نظرا لعدم سماعه لكلامهم. وعلى الرغم من الاتفاق الواضح حول أهمية التقليد ودوره في اكتساب اللغة أو المهارات اللغوية، إلا أن الغالبية العظمى من العلماء يرون أن هناك رأي في هذا المجال مؤداه أن الأصوات الجديدة لا تكتسب أو تتعلم عن طريق تقليد الكلام وأصوات الآخرين، بل تظهر خلال اللعب اللفظي والتمارين اللفظية التي يقوم بها الطفل ونتيجة لعوامل النضج الفسيولوجي لجهاز الكلام، ولهذا فالطفل لا يقلد إلا الأصوات التي سبق أن ظهرت في مناغاته التلقائية.

وتأكيدا لجهة النظر السابقة نجد أن البالغ بقيامه بإعادة الأصوات التي سبق أن نطقها الطفل وتمرن عليها تلقائيا فإنه يستثير الطفل إلى إعادة تلك الأصوات مرات ومرات ومن ثم يؤدي إلى سهولة استخدام تلك الأصوات بالذات ويلاحظ أن تقليد الطفل لأصوات البالغين يكون في البداية تقليدا تقريبا غير دقيق وغير محكم، ولكن مع مواصلة التقليد تقترب الأصوات التي يصدرها الطفل تدريجيا من أصوات البالغين من حوله.

2. من التقليد إلى التطور اللغوي

أما عن فترة مرحلة التقليد فهناك شبه اتفاق بين الباحثين على أن هذه الفترة تمتد من عمر خمسة أشهر تقريبا إلى الأربعين أسبوعا (عشرة أشهر) ويرى البعض ومنهم "جان بياجيه" أن نهاية السنة الأولى للميلاد وبداية السنة الثانية هي فترة التقليد للأصوات حيث يبدأ الطفل بنطق الكلمة الأولى، بشكل صحيح وهادف، كما أن عملية التقليد تتحول من عملية تلقائية لا إرادية إلى أن تصبح في نهاية السنة الأولى من عمر الطفل عملية إرادية، ويصاحبها عنصر الفهم بعد أن كانت غير واضحة للفهم تماما [72]ص(55.54) وهذا ما توصلت إليه الباحثة "مكارثي" بعد استعراض نتائج جميع الدراسات السابقة وغيرها حيث وجدت أن بداية سلوك التقليد كانت في أغلب الدراسات في حوالي الشهر التاسع، من عمر الطفل، وإن كان ذلك

السلوك يكشف عن نفسه بصورة واضحة وظاهرة قرب نهاية العام الأول من عمر الطفل عندما تبدأ اللغة الحقيقية في الظهور. [68]ص(85)

1.2. تفسير عملية التقليد

اختلفت التفسيرات التي قدمت لقيام الطفل بتقليد الآخرين بصفة عامة وتقليد ما يصدر عنه من أصوات بشكل خاص، وقد أرجعها العلماء إلى ما يلي:

- 1 - إرجاع التقليد إلى نزعة فطرية لدى الطفل يولد بها تجعله يستجيب للحديث بحديث.
- 2 - إرجاع التقليد إلى استجابة الطفل للتعبير بالتعبير بصرف النظر عن الأسباب وراء ذلك.

- 3 - إرجاع الاستجابة الصوتية للحديث إلى تدخل الكبار في نشاط المناغاة عند الطفل. [68]ص(85)

كما يرى البعض أن صوت البالغ ليس إلى مثير للطفل يجعله يكرر الأصوات الخاصة به والتي سبق أن نطقها بنفسه تلقائياً في المناغاة. [68]ص(86.85)

1.1.2. مرحلة الإيماءات

في نهاية السنة الأولى قبل أو مع ظهور الكلمة الأولى، يبدأ الطفل في استخدام الإيماءات والإشارات باليد، أو مد الذراع...

وغالباً ما تصاحب إيماءات الأطفال باتصال بصري مباشر وكذلك يعيد الأطفال اتصالاتهم إذا لم تفهم الرسالة التي يريدون نقلها وهذه المجموعة من السلوكيات والسياق الذي تحدث فيه هذه السلوكيات تجعلنا ندرك أن الأطفال يستخدمون الإيماءات باعتبارها وسائل هادفة.

[68]ص(90)

ويستخدم الأطفال الإيماءات بشكل رمزي لتمثيل الموضوعات والأحداث والحاجات، وقد تبين أن الطفل عندما يكون عمره ما بين 11 إلى 24 شهراً من العمر فإن نظاماً رمزياً غير لفظي ينمو بشكل شائع بجانب المهارات اللفظية للطفل ونجد أن عدداً كبيراً من الإيماءات تعيد خلق وظيفة الأشياء، أكثر من إعادة شكل الأشياء فمثلاً حينما يضع الطفل شيء ما على أذنيه فهو يمثل ذلك على اعتبار أن الشيء الوحيد المعبر عنه هو "الهاتف" "جهاز التلفون" وتختفي

الإيماءات تدريجياً عند منتصف السنة الثانية لأن الإيماءات تكون أقل فائدة حينما يكون المستمع بعيداً عن النظر كما أنه يتم فهم الإيماءات بشكل صحيح بعدد محدود من الراشدين في بيئة الطفل، كذلك يميل الوالدين إلى تشجيع تلفظات الطفل أكثر من تشجيعهم للإيماءات،

واستخدام الطفل للإيماءات يأتي نتيجة لاختصار النشاط الحركي الذي تشترك فيه كافة أجزاء الجسم، والذي يحاول الطفل عن طريقه التعبير عن حاجاته ورغباته، ولهذا يطلق على الإيماءات "لغة الجسم".

كما كشفت الدراسات أن هناك علاقة ارتباطية بين الذكاء عند الطفل واستخدامه للإيماءات بشمل سلبي، فكلما زاد الذكاء عند الطفل قل اعتماده على الإيماءات نظراً لزيادة استخدامه للغة الحقيقية والعكس صحيح. [68]ص(90)

2.1.2. اللغة المقطعية، مرحلة اللغة الحقيقية

إن المراحل السابقة للغة غير المقطعية (الصراخ، المناغاة، الإيماءات) تهيئ الطفل للدخول في المرحلة اللغوية وتنمي لديه الاستعداد لذلك والطفل لا يصل مرة واحدة إلى استخدام اللغة بل يمر بمرحلة تدرج قبل أن يتلفظ بكلمة واحدة، وحيث يكون قد جمع مجموعة من الألفاظ والحركات الإيمائية التي يفهمها ولكن لا يستطيع التلفظ بها قبل العام الأول، ويمكن تناول هذه المرحلة في عدة نقاط أساسية:

3.1.2. فهم اللغة قبل استخدامها

يفهم الطفل اللغة قبل أن يستخدمها أو ينتجها، هذه حقيقة لا يشوبها شك، فاللغة الاستقبالية (التي يتم استقبالها) - أي ما يفهمه الطفل - تسبق بكثير اللغة الإنتاجية - أي التي ينتجها ويولدها الطفل - أي قدرته على أن يقول ويستخدم الكلمات بنفسه.

حيث أن الأطفال يستطيعون فهم الخمسون كلمة الأولى حينما يكونون في عمر ثلاثة عشر شهراً من العمر، ولكنهم غير قادرين على إنتاج خمسون كلمة حتى عمر تسعة عشرة شهراً فالحقيقة أن صغار الأطفال يفهمون كثيراً ما يقال لهم، نعني أنهم قد اكتسبوا بعض المعارف الهامة عن اللغة قبل أن ينطقوها بالفعل.

1. مرحلة الكلمة الأولى

تنتهي مرحلة المناغاة حينما ينطق الأطفال أولى كلماتهم ويتحولون بذلك من النمو قبل اللغوي إلى النمو اللغوي، وعامة فإن الكلمة الأولى تبدأ بعد العام الأول من العمر، مع مراعاة الفروق الفردية، ونجد أن حصيلة لغوية قوامها خمسون كلمة تكون واضحة وغالبية هذه الحصيلة

اللغوية المبكرة تتكون من إشارات مرجعية مثل (حذاء، كلب، حليب، قطة...) وأفعال تشير للحركة verbe d'action (أذهب، أشرب، أأكل...).

وكما سبق فإن الأطفال يفهمون اللغة أكثر مما يتحدثون، غير أن ما يصدر عنه من كلمات يكون محدود بكلمات مفردة، وتكون أول كلمة يصدرها الطفل ذات معاني أكثر مما يتوقع منها ككلمة قصيرة.

ويشير العلماء إلى أن أكثر أجزاء الكلام انتشارات لدى الأطفال في هذه المرحلة هي الأسماء وهذه الأسماء تقوم مقام أو تؤدي وظيفة الجملة الكاملة، وبين هؤلاء العلماء أن الكلمة الواحدة قد تعني عدة معاني مختلفة باختلاف المواقف فمثلا كلمة "بابا" قد تعني "أني أريد بابا" أو قد تعني "بابا قد جاء..."

كذلك نجد أن الحديث المبكر للطفل وكلماته الأولى تتسم بالانفعال أي تعبر عن حاجات الطفل ورغباته ومشاعره، فالطفل قد يقول مثلا كلمة "أكل" بصوت عالي قاصدا بذلك "أريد شيئا أتناوله" أو أنني جائع، أو يقول بصوت خفيض قاصدا بذلك "أنني شبع".
كذلك غالبا ما تكون الكلمات الأولى للطفل زائدة التعميم، وذلك لأن المعنى المراد من الكلمة يكون من الصعب على الطفل تحديده ولهذا نجد أن كلمة "كرة" تستخدم لوصف كل الأشياء المستديرة.

والكلب لوصف الحمار أو الحصان أو البقرة... وهذه الفترة من التعميم الزائد تنتهي عندما يكبر الطفل قليلا ويستنتج ويتعلم جانبا هاما وهو أن كل شيء له اسم خاص به، ولذلك لأن الوالدين دائما ما يطرحون السؤال "ما هذا" على مسامع الطفل مرات ومرات طوال اليوم مما يجعل الطفل يتعلم أن يسمي الأشياء ويبني حصيلته اللغوية.

ونجد أيضا أن الطفل يستخدم الأفعال التي تدل على الحركة باعتبارها أوامر فالطفل يقول "أذهب" قاصد "أريد أن أذهب الآن" وأحيانا ما تكون الأوامر الموجهة ذاتيا، فنظرا لأن الطفل يتحرك من حجرة لأخرى فإنه قد يقول "أذهب" مستخدما هذه الكلمة لحدث معين لأن الفعل بمفرده لا يكون محددا بدون لغة.

فاستخدام الكلمات الجديدة يعتبر كنوع من التحكم في الخبرة السابقة ببعض الكلمات مما يجعل الكلمات الدالة على الأشياء أسهل في التعلم من الكلمات الدالة على الحركة، إلى جانب هذا فغن الأطفال ليست لديهم أفكار الراشدين التفصيلية المحددة، ولكن حديثهم أو الكلمة الواحدة يقوم مقام الجملة والفكرة التي لدى الراشد فهي "الكلمة الجملة" أي أن كلمة تعبر عن أفكار كثيرة وهي بذلك تعادل جملة كاملة لدى الراشد.

الفصل 2

اضطرابات الكلام والنطق والصوت

بدأ الحديث عن اضطرابات اللغة يأخذ مكانه منذ منتصف القرن التاسع عشر [67]ص(174) ويعكس من ناحية تطور التصورات السيكولوجية واللغوية للسلوك اللغوي، ومن ناحية أخرى تطور التصورات التشريحية والإكلينيكية للعلاقات بين الأعصاب اللحائية واضطرابات السلوك. [73]ص(بدون صفحة)

وهناك أنواع كثيرة من اضطرابات اللغة والكلام وقد تم التمييز بين اضطرابات اللغة واضطرابات الكلام على أساس أن اضطرابات اللغة تشير إلى الاضطرابات المتعلقة باستقبال اللغة (فهمها) أو التعبير بها، أو الاضطرابات المتصلة بالتتابع اللغوي (كأن تنتظم جملة وراء أخرى) في حين تشير اضطرابات الكلام إلى معاناة بعض الأطفال من متاعب عند النطق بالكلمات، ومن أبرز هذه الاضطرابات الأخيرة الاضطرابات الصوتية واضطرابات التلفظ articulation disorder. [74]ص(177)

ومع ذلك ما زالت هناك خلافات قائمة بين الباحثين في التمييز بين اضطرابات اللغة واضطرابات الكلام، وقد جرت عادة الباحثين أن يقسموا اضطرابات الكلام وعيوب النطق إلى قسمين رئيسيين:

- أولاً: عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب أو عوامل عضوية.

- ثانياً: عيوب ترجع فيها إلى أسباب وظيفية.

والقسم الأول من تلك العيوب يكون السبب فيه إما عيب في الجهاز السمعي، والجهاز الكلامي كالتلف أو التشوه، وأما سوء التركيب في أي عضو من أعضاء الجهازين، وإما النقص في القدرة العقلية، وهي تؤدي إلى خلل في تأدية هذا العضو لوظيفته، فيحدث نتيجة لذلك عيب في النطق، أو احتباس في الكلام، أو نقص في القدرة التعبيرية، كما ترجع أيضاً للإصابات العضوية في المخ.

ويلاحظ في حالة العيوب أو الاضطرابات التي تنجم عن علة وظيفية أن المصاب لا يشكو أي نقص عضوي في الجهاز الكلامي أو السمعي، وكل ما هنالك أن قدرة الفرد على التعبير تتأثر بعوامل غير عضوية، تسبب له اضطرابات عدة تختلف من حيث نوعها وشدتها وفقا لمدى قوة هذه العوامل وتأثيرها في الفرد، وبجانب التقسيم السابق هناك تقسيم آخر أكثر تفصيلا لا يقوم في أساسه على النظر إلى مصدر العلة، بل يقوم على أساس المظهر الخارجي للعيوب الكلامي، وتتخذ هذه العيوب أشكالا مختلفة مثل احتباس الكلام، أو فقدان القدرة عن التعبير، أو التأخر في الكلام عند الأطفال، ومنها العيوب التي تتصل بطلاقة اللسان وانسيابية في العبير ومن أهمها: اللججة والتلعثم.

كما أن هناك عيوب النطق الناتجة من نقص في القدرة السمعية أو القدرة العقلية.

[66]ص(30.29)

ومن الملاحظ أن هناك اضطرابات أكثر ظهورا في الأطفال، وهناك ظواهر كلامية أخرى يمكن اعتبارها من الظواهر المرضية، مثل الاستباق والتماذي والنقلات والإبدال والإدغام.

[66]ص(31)

وإلى جانب هذه الأخطاء الطبيعية فقد كتب "لي" Lee عن الطريقة التي يمكن بها إحداث اضطرابات ملحوظ في سلوك الكلام لدى الأشخاص ذوي العادات السوية في الكلام.

[74]ص(385)

وقد أظهرت حالات تجريبية أشكالا متعددة من عيوب الكلام ومنها تكرار أصوات معينة وكلمات أو عبارات، والتردد والوقفات.

ويرى بعض الباحثين أن الحبسة بأنواعها المختلفة من الأمثلة التقليدية لاضطراب اللغة، حيث تضطرب فيها عدة وظائف حسية وحركية، وتظهر في تأثر القدرة على فهم الكلام أو عدم القدرة على نطق الكلمات وقد تمتد الصعوبة لتشمل القدرة على استدعاء الكلمات، وقد أظهرت حالات أخرى أشكالا متعددة من عيوب الكلام ومنها تكرار أصوات معينة وكلمات أو عبارات، والتردد والوقفات.

ويرى بعض الباحثين أن الحبسة بأنواعها المختلفة من الأمثلة التقليدية لاضطراب اللغة، حيث تضطرب فيها عدة وظائف حركية، وتظهر في تأثر القدرة على فهم الكلام أو عدم القدرة على نطق الكلمات، وقد تمتد الصعوبة لتشمل القدرة على استدعاء الكلمات، وقد كان "كان بالجير" "J. ballager" (1865) ومن بعده جاكسون H.Jackson (1868) أول من نظرا إلى الحبسة كاضطراب في اللغة، إلا أن هناك اضطرابا من النوع الحبسة ولا يظهر

لديهم الاضطراب كاضطراب سائد، وإنما عنصر من بين اضطرابات السلوك الأخرى، لديهم كما في مرض الفصام.

ويمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع رئيسية من الاضطرابات في سلوك التخاطب اللفظي، وهذا التصنيف يعتمد على محاكاة لغوية وغير لغوية منها:

أ - اضطرابات الكلام التي تقابل الأعضاء الطرفية للإنتاج، وأعضاء الاستقبال، ويمكن أن نميز في هذه الفئة من الاضطرابات اللججة واللثمة واضطرابات القراءة.

ويعني اضطراب الكلام أي اضطراب طويل المدى في إنتاج الكلام أو في إدراكه، وبالتالي فإن الكلام المضطرب هو الكلام الذي ينحرف عنه كلام الأقران الآخرين، ويكون ملفتا للانتباه، ويسبب سوء التوافق بين المتكلم وبيئته الاجتماعية، وقد تكون هذه الاضطرابات عضوية أو وظيفية وبمقتضى القانون الأمريكي لتعليم الأفراد ذوي الإعاقات الصادر عام 1997 فإن الفرد من ذوي اضطرابات التخاطب هو الذي تختلف قدرته على التواصل عن أقرانه بصورة دالة أو ملحوظة بحيث يؤثر هذا على نموه العاطفي أو الاجتماعي أو الذهني والتعليمي.

ب اضطرابات اللغة التي تقابل الأعطاب المخية ذات البؤر المحدودة أو المنتشرة (مثلا الحبسة الفصامية) ويختلف الباحثون حول التحديد لهذه الفئة، فكثيرا ما تضطرب اللغة دون وجود أعطاب مخية.

وهو ما يعرف بالاضطراب الوظيفي مثل ما يحدث لدى مرضى العصاميين من اضطرابات في فهم وإنتاج اللغة، برغم ما هو معروف من أن الفصام مرض وظيفي ليس له سبب عضوي معروف حتى الآن.

ت الاضطرابات النطقية (enunciation) ولها مظاهر تتجلى في عملية النطق، وفي التعديلات العامة في سلوك المفحوص تجاه العالم الخارجي في حالات معينة (مثل الذهانيين) يكون هناك اضطراب في خريطة التخاطب ذاتها، وتقع في علاقة المتكلم بالمستمع بالإضافة إلى العلاقة بين المتكلم والمرجع (referant) الذي يتحدث عنه، وفي حالات أخرى (كالعصابيين) لا تضطرب خريطة التواصل، ولكن يظهر تنظيم وظيفي يأخذ شكلا معينا بالنسبة للحديث الهيشيري، والحديث الوسواسي وهكذا.

وعلى الرغم من شيوع فكرة أن الاضطرابات الصوتية، والعيوب التلفظية (الإبدالية) هما شيئا واحدا. إلا أن هناك تفرقة هامة بينهما، فلكي نقول أن الطفل لديه مشكلة صوتية تلفظية

"problème articulation" فإن ذلك يعني أنه لا يستطيع إحداث حرف "الباء" لأن لديه شق خلقي خلقي، لا يسمح له أن يحجر الهواء في فمه لإحداث الصفة الانفجارية لحرف الباء. أما الطفل الذي لديه القدرة الجسمية لإحداث حرف معين ويحدثه بشكل صحيح في بعض المواقف، وبشكل خاطئ في مواقف أخرى، هذا الطفل لديه اضطراب صوتي phonologie كأن يكون الطفل قادر على إحداث حرف "س" في أول الكلمات، ولكنه يسقه حينما يكون في آخر الكلمات ... هذه مشكلة صوتية وليست تلفظية. [63]ص(207)

فهناك علاقة كبيرة بين اضطرابات النطق والاضطرابات الجسمية، فالقدرة على الاتصال من أهم السمات الإنسانية التي "يمكننا من التعلم والعمل والتفاعل الاجتماعي والإعاقات الاتصالية قد تؤثر على جميع أوجه حياة الفرد

1. أشكال اضطرابات اللغة والنطق

تعرف رابطة الكلام واللغة والسمع الأمريكية American speck langage 1993 اضطرابات التخاطب على أنها قصور الفرد أو عدم قدرته على استقبال أو إرسال ومعالجة وفهم مفاهيم أو رموز اللغة سواء كانت لفظية أو غير لفظية. [74]ص(41)

وهذه الاضطرابات قد تكون ولادية أو مكتسبة، وتتراوح شدتها ما بين الاضطراب الخفيف إلى الشديد، وقد تصاحب إعاقات أخرى سلوكية كحالات قصور الانتباه وفرط النشاط، أو مصاحبة لإعاقات حسية كالصمم أو ضعف السمع أو العلل البصرية، أو الشلل الدماغي، وقد تصاحب الإعاقات الإدراكية، أو حالات الذهان...

وقد بينت البحوث أن عدم توافر القدرة على النطق لا يمنع من اكتساب اللغة الإنسانية، ويتعاون أطباء المخ والأعصاب مع علماء اللغة في التعرف على طبيعة اللغة وأنظمتها

المختلفة، وفي التعرف على أدق مناطق الدماغ المسؤولية عن مهارات لغوية معينة، وقد توصل العلماء في هذا الصدد إلى نتائج هامة منها:

- أن الجزء الواقع في المنطقة اليسرى من المخ، ويسمى "منطقة بروكا" هو الجزء المسؤول عن القدرة اللغوية وليس الكلام بدليل أنه إذا أصيب لا تتأثر طلاقة المريض الشفوية، ولكن المصاب يجد صعوبة في العثور على الكلام المناسبة في المواقف المختلفة، كما يجد صعوبة في الكتابة وفي فهم ما يسمع أو يقرأ. وهذان النوعان من الاضطراب اللغوي هما مظهران من الحبسة Aphasie والثاني منها أكثر شيوعا، وقد أجريت البحوث على مرض "الحبسة" وقد أسفرت عما يأتي:

- إصابة بعض ألياف الدماغ أو إتلافها لا تسبب في خسارة أجزاء مختارة من اللغة، كما أن الإصابة لا تلغي القدرة اللغوي إلغاء تاما بينما يبقى المصاب في نفس الوقت طبيعيا من جميع الوجوه الأخرى.

- جميع إصابات "الحبسة" لا تقضي على اللغة قضاء تاما بل تسبب خلا في وظيفتها الطبيعية وفي استعمالها مما ينتج عنه اضطراب في التنسيق الداخلي واختلال في الأداء اللغوي الخارجي. [57]ص(26.23)

تبين لنا أن الإعاقة النطقية مرض، والأعراض أنواع ودرجات، فمنها الخطير الحاد أو البطيء في نتائجه وآلامه، ومنها العارض الذي لا يقلق كثيرا، بيد أنه يبقى مرضا، وهو يتطلب علاجاً، فإن كان لنا أن نوازن بين إعاقة نطقية فادحة في أسبابها ونتائجها بمرض جسدي خطير، قد يهدد السلامة والسعادة... فإن لنا أن نوازن بين مرض جسدي عارض ونوع من أنواع الإعاقة النطقية العارضة التي قد تزول ببسر، حين يتجاوز المتعلم -بشيء من التدريب- أثر اللهجة المحلية في تعلم الفصحى، أو أثر اللغة الأولى في تعلم لغة ثانية. وكما قد تكون المسافة قريبة أحيانا بين المرض العضال والمرض العارض، فإن المسافة قد تكون أحيانا قريبة بين إعاقة وإعاقة، إذ كثيرا ما يلتبس الأمر على الباحث بشأن المعاقين بسبب الآثار الحادة للازدواجية اللغوية، فقد تبلغ آثار الازدواجية اللغوية، الحادة مبلغا يعيق عن النطق بأي لغة من اللغات، وفي حالة كهذه يلتقي السبب العارض بسبب بليغ من أسباب الإعاقة، كالتشوه الفمي، أو التلف السمعي، وتكون النتيجة واحدة.

1.1. المقصود بالإعاقة ودرجتها ومدى خطورتها

المقصود بالنطق: القدرة على استعمال اللغة الملفوظة في التعبير عما يدور في النفس، إزاء المواقف التي تواجه الإنسان في حياته وعلى هذا فالإعاقة النطقية هي عدم القدرة على ذلك،

بيد أن الإعاقة تكون على درجات متفاوتة وهذا "يعني أن القدرة على النطق تكون على درجات متفاوتة أيضا، فالخرس التام يمثل نقطة قصوى في العجز، أما الانسيابية في الكلام التي يتمتع بها بعض الناس، فتمثل درجة متقدمة في القدرة، وما بين هاتين الدرجتين درجات من التفاوت الواسع بين البشر.

غير أن درجة من هذه الدرجات، قد يصنف صاحبها تصنيفا مرضيا، كأن يكون مريضا بالتأتأة ومن أعراضها أن صاحبها إذا شرع في الكلام استعصى عليه الأمر في بداية جملة أو بادية كلماته، فتراه يردد الحرف الأول من الجملة مثلا "ليس لعله في نطق هذا الصوت أو ذاك، وإنما لاستصعاب البداية نفسها، وهو استصعاب يمثل عرضا، له أسبابه المتنوعة"

[75]ص(بدون صفحة)

وقد يصحب محاولة النطق المتعسرة انفعالات وإشارات، ومن بعد تعسر وتردد في النطق في البداية، ينفرج الأمر، وتراه ينطق الجملة نطقا عاديا أو خاطفا، يعوض ترده ويغطيه. ولنأخذ مثلا على ذلك ما نسمعه من هذا النوع، إذ ينطق أحدهم جملة "أكلت التفاحة" فردد المقطع الأول من الجملة عدة مرات أ أ أ..أكلت التفاحة أو أأ..أكلت التفاحة...تفاحة. ورب شخص آخر مصاب بشيء من التأتأة الخفيفة، غير أنه لا يدخل في عداد المرضى، وكثيرا ما يكون أصحاب هذه الحالات من المحاضرين والكتاب، وغيرهم يسعون إلى التعبير عن فكرة قد يحتاج معها، إلى التأنى في اختيار الكلمة.

وقلة هم الناس الذين يعكسون الوضع المثالي الذي يخلو من أي درجة من درجات الإعاقة، أو أي صورة من صورها، وعلى هذا فالوضع العادي، ليس وضعاً مثاليا خاليا من أي شكل من أشكال الإعاقة، كما أنه ليس وضعاً مرضيا.

وينبغي الإشارة إلى أن أيا من هذه الأوضاع الثلاثة قد يتجه مؤشرها اتجاها نفسي محرج، يصبح فيه -لحظتها- معاقا أو قريبا من المعاق، وقد يمر معاق بطرف لا يحس فيه بخطورة إعاقته التي تؤدي -في العادة- إلى تصنيفه في درجة مرضية، ولا شك أننا نلمس هذه الأحوال جميعا في الحياة العادية فيقال إن فلانا كان منطلق في موقف مترددا محرجا مرتجا عليه في موقف آخر.

واللغة ظاهرة اجتماعية، لا تأتي للإنسان بدون مجتمع، وعلى هذا فسلاسة النطق مهارة مكتسبة، ويتفاوت الناس في القدرة على اكتساب هذه المهارة، وعلى هذا كان المنتظر أن يبدأ المرء تجربته مع اللغة بصورة ارتقائية تدريجية، تبدأ من الطفولة المبكرة، ثم يتفاوت الناس في الدرجات لاكتسابها وهذا يعني أن كل إنسان لا بد من أن يخوض تجربة الانتقال من

الإعاقة إلى الوضع السوي، الذي قد يدرك مبكرا، أو في سن متأخرة نسبيا، ولربما لا يدرك البتة.

ولكل أسباب كامنة وراءه فالطفل السوي عضويا ووراثيا، من جهة دماغه، وأذنه ولسانه وحلقه وشفتيه... والسوي نفسيا واجتماعيا ينتظر منه أن يتجاوز إعاقات النطق المعتادة طفوليا، بسهولة ويسر، الطفل الذي يعاني من علة عضوية أو نفسية أو اجتماعية... أو من هذه مجتمعة، قد تستمر إعاقته فترة أطول، وقد تستغرق حياته كلها. وحالات الإعاقة النطقية بوجه عام، كبيرة جدا، وقد تزيد مع زيادة عوامل خاصة، كالجهل والمرض والقمع والخوف... وقد يكون من أسبابها بعض مظاهر الخلطة الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات غير المستقرة، بما فيها المجتمعات المتطورة، وطبيعي أن تزداد نسبيا في مجتمعات حادت عن روحها الإنسانية العادية فكانت فوقية متعالية، أو دونية تحتقر نفسها. إن نسبة كهذه تعد كبيرة بحق، إذ هي تعني أن ثمة نسبة عالية من الناس يعانون إعاقات نطقية.

وهذا يعني أن الإعاقة النطقية ستكون سببا لألوان من المعاناة النفسية والاجتماعية فضلا على أن المعاق ينتظر أن يكون أقل في أدائه منه غير معاق، فيما يقوم به أو يكل إليه من أعمال ومهام، تمثل الجانب المادي في علاقته بالمجتمع، ولنا أن نتصور نظرة المجتمع للمعاق. تبين مما سبق أن الكشف عن أسباب النطقية وعلاجها مجال متعدد الجوانب، يلتقي فيه مجموعة من الباحثين، ولكل منهم مجاله الذي يبحث عنه، وقد أشير إلى أن الأسباب قد تكون مركبة، فهي عندئذ تحتاج إلى كل هؤلاء الباحثين، أو قد تكون في حاجة إلى جهد بعضهم أكثر من حاجتها إلى جهة آخرين، على أن الأمر يحتاج ابتداء إلى تشخيص أولي. ونظرا لأن الإعاقة التي نتكلم عنها نطقية، ولذا كان لا بد للغوي، من دور في حل كثير من حالات الإعاقة.

فالباحث اللغوي يكون خبيرا بالأصوات وصفاتها، فالأصوات المهموسة كالحاء والتاء، من المتوقع أن لا تصل إلى أذن المعاق سمعيا كما تصل الأصوات المجهورة كالباء والزاي... وتختلف الأصوات المجهورة والمهموسة في درجة جهرها، فالزاي مثلا أشد جهرًا من الباء، وأقل تعرضا للخفاء لأنها احتكاكية، وأما الباء فعلى جهرها، غير أنها انفجارية، ولحظة انحباس الهواء يتعرض فيها الصوت المجهور للخفاء، ثم يتميز ويظهر بانفجاره، وبمخرجه ويعتري هذا الخفاء الأصوات الانفجارية بشكل واضح عنه سكونها، ولذا احتاجت إلى قدر من القلقة.

والصوت في آخر الكلمة يكون عرضة للخفاء، فتاء التأنيث في نحو فاطمة تنطق هاء، وقد يتخفف من هذه الهاء فتبقى الفتحة التي قبلها هكذا.

Fatima → Fatimah → Fatimat

وقد يحدث في الوصل أن تنطق الألف (الصفحة الطويلة) فتحة قصيرة، كان تنطق الألف في موسى musa فتحة قصيرة عند الوصل فيقال في: موسى الكريم موسى الكريم musa l karim.

والمعالج اللغوي يراعي خصائص الأصوات في حال الإعاقة السمعية إذ من المتوقع أن يربط بين الأصوات التي لا تسمع وخصائصها الصوتية، فالتاء تبدو -حتى عند بعض الأسوياء أحياناً- طاء، فتتنطق كلمة من نحو: تتطلب، طططلب، tatatallab وتنطق كلمة مسطرة (بالسين) مسطرة mistarah بالصاد، وكثيراً ما حدث شيء من هذا وأقرته الفصحى ضمن ما ائتلف منه من لهجات، كما في اصطبر، إذ أصل الطاء فيها تاء، وكما في أدعي إذ أصل الدال المدغمة تاء، وهكذا في اذكر قلبت فيها التاء دالا. [76]ص(53)

وفي صقر يجوز أن تنطق السين زايا أو سينا ومن ذلك (اهدنا الصراط المستقيم) أنظر [77]ص(91) بالصاد و(اهدنا الصراط المستقيم) بالسين، إن هذه التنوعات تعبر عن قدرات نطقية تتحكم فيها عوامل نفسية واجتماعية متداخلة. ومن الطبيعي أن تختلف مشكلات الإعاقة السمعية عن الإعاقة اللسانية أو المتعلقة بسقف الحلق، فالراء مثلاً، تحتاج إلى درجة لسانية فائقة، ولذا يتأخر الأطفال عادة في نطقها ويبدلون لها زاء أو غينا، ولذا فإن المعالج اللغوي يكون على معرفة بخصائص هذه الأصوات، صعوبة وسهولة.

فالأصوات المرققة أسهل نطقاً في العادة من الأصوات المفحمة، ولذا نجد أن بعض المعاقين يميلون إلى نطق الطاء تاء، والصاد سينا، والطاء ذالا، والصاد دالا، وهكذا... وبعض الحالات نجد فيها أن المعاق يستطيع أن ينطق الجيم جينا، في نجو جمل، ولكنه قد ينطقها زايا في كلمة تتضمن صوت الزاي في نحو: جزر إذ قد تنطق ززر zazar وجزار zazzar، إن مثل هذا النطق يحدث مع المعاقين الذين يعطشون الجيم، أي تصبح عندهم احتكاكية g، وبدا فإنهم يستسهلون تقريب نطقها من نطق الزاي، ولا يحدث هذا في العادة في البيئات اللغوية التي تنطق الجيم g (بالطريقة القاهرة) لأنها عندئذ تكون انفجارية بعيدة عن

الزاي، وقد تبلغ محاولة التسهيل عند المعاق حدا يجعله يدغم الصوتين في صوت واحد، كأن يقول في مسجد مجد maggid.

إن في وسع المرء أن يلاحظ أن المعاق قد يستسهل نطق كلمة من نحو: أكل akala وهي أسهل نطقا عليه من أكل ukila (المبنية للمجهول)، لأن التشكيل الفمي فيها متباين من ضم إلى كسر إلى فتح، وقد يحدث في الحالات السوية الفصيحة شيء من هذا في نحو: قيل qila، وميل mila بدلا من قول quwila وميل muyila فقد أجاز العرف الاجتماعي ذلك في مثل هذه الكلمات (المعتلة) ولذا فإن الصرف الاجتماعي قد أقر هذا النوع من الإعاقة، فما عادت مؤشر إعاقة.

ولعل من الطريف أن يشار هنا إلى أن اللهجات الدارجة تأبى عليها أن تستعير من الفصحى أسلوب البناء للمجهول الذي تعرفه الفصحى، هذا هو السائد الأعم، إلا من ألفاظ قليلة، نحو تُشكر، التي سادت في اللهجات العامية ولعل اللهجات التي اعتمدت على بعض الأوزان الصرفية المبنية للمعلوم، نحو انفعَل، وافتعل، ابتعدت عن أوزان المبنى للمجهول، تجنبنا لما في صيغة من ابتعاد عن الرتبة السهلة في أوزان المبنى للمعلوم، ومما يعزز هذا الرأي أن الفصحى المعاصرة قد بدأت تميل إلى الابتعاد عن هذا النوع وتتفاداه، في صيغ من نحو: تمَّ استقبال... بدلا من: استقبل.

ولا شك في أن الألفاظ ذات المقاطع القليلة أسهل على المعاق من الكلمات ذات المقاطع الكثيرة، فكلمة من نحو أم، وفم أسهل من كلمة نحو: إبراهيم، والكلمات غير المركبة أسهل نطقا من الكلمات المركبة نحو: حضر موت وأبو ظبي... والجمل القصيرة أسهل بطبيعة الحال من الجمل الطويلة.

وهناك أشكال عدة للإعاقات النطقية واضطرابات التخاطب، يمكن تفحصها من خلال التفسيّسات الآتية:

2. الاضطرابات الصوتية الإبدالية

على الرغم من شيوع فكرة أن الاضطرابات الصوتية، والعيوب النطقية (الإبدالية) هما شيئا واحدا، إلا أن هناك تفرقة هامة بينهما، فلكي نقول أن الطفل لديه مشكلة صوتية تلفظية (problème articulation) فإن ذلك يعني أنه لا يستطيع إحداث صوت معين، فعلى سبيل المثال، الطفل الذي لا يستطيع إحداث صوت معين، مثل "الباء" لأن لديه شق خلقي، لا يسمح

له أن يحجز الهواء في فمه لإحداث الصفة الانفجارية لحرف الباء، لديه مشكلة صوتية متعلقة بالتلفظ. [58]ص(بدونصفحة)

أما الطفل الذي لديه القدرة الجسمية لإحداث حرف معين ويحدثه بشكل صحيح في بعض المواقف، وبشكل خاطئ في مواقف أخرى، هذا الطفل لديه اضطراب صوتي (phonological) كأن يكون الطفل قادر على إحداث حرف "س" في أول الكلمات ولكنه يسقط حينما يكون في آخر الكلمات... هذه المشكلة "صوتية" وليست تلفظية. [60]ص(34) وتأخذ أخطاء صوت الكلام أربعة أشكال أساسية هي:

- الحذف: كأن يقول الطفل "عا" بدلا من قوله "على" أو قوله "أحـ" بدلا من قوله "أحمد".

- استبدال: صوت مكان آخر مثلما يقول طفل يتحدث الإنجليزية "thoup" مكان أو بدلا من "soup" أو في العربية مثل قول الطفل توم مكان ثوم أما التشويه: فهو إحداث صوت معين، ولكن هناك انحراف طفيف في إحداثه كأن يضيف الطفل صوتا غير مطلوب إلى الكلمة مثل "عسكور بدلا من عسكر". ويمكن تفصيل هذه الاضطرابات في المبحث القادم.

1.2. أسباب اضطرابات النطق

توجد عدة عوامل وأسباب تؤدي إلى عمليات اضطراب النطق وعيوب الكلام، ولعل أبرزها ما يأتي:

1.1.2. الأسباب العضوية

حيث إن تلف أي عضو من الأعضاء المساعدة في الكلام قد يكون هو السبب في الإخلال بعملية الكلام بشكل أو بآخر، كما أن إصابات المخ تؤخر عمليات ارتقاء الكلام، أو تسبب شتى العاهات الكلامية كأنواع الحبسة وغيرها من الأسباب العضوية أيضا خلل الجهاز العصبي المركزي واضطراب الأعصاب المتحكم بالكلام، وترجع بعض صعوبات النطق إلى أسباب جسمية كانشقاق سقف الفم، أو سور تركيب الأسنان، وكثيرا ما تكون الإعاقة السمعية سببا في صعوبة النطق، حيث يحرم الأصم من سماع النموذج الذي يقلده.

2.1.2. الدماغ والاضطرابات اللغوية

يظن البعض أن سلامة الحواس (العين والأذن) وقيام جوارح النطق، بوظيفتها في التصويت والعناية بالطفل تربويا، تكفي وحدها لإنتاج اللغة، ولكن الحقيقة عكس ذلك إذ لا بد إضافة إلى هذه العناصر، أن يكون الدماغ سالما، وأن يكون نموه سويا. [69]ص(293)

إذ أن هناك عوامل كثيرة تعطل نمو الدماغ... فبعضها موروث، كالعيوب الجسدية التي يولد عليها الطفل.

ومن هذه الموروثات نجد الخلل العقلي المترتب عن إصابة المخ بأمراض متنوعة يؤدي كل منها إلى اضطرابات نطقية.

كما أن عيوب الاستقبال لها دور في ظهور المشكلات الصوتية، بما في ذلك المشكلات الحسية والإدراكية، وتعد هذه المشكلات الصوتية هنا، وظيفية، حتى بالرغم من أن هناك مشكلة عضوية واضحة في حالة فقدان السمع، فعلى سبيل المثال فإن المشكلة العضوية ليست في آلة الكلام ذاتها، والاضطرابات الصوتية المرتبطة بفقدان السمع تتناسب مع نوع وشدة فقدان، فمثلا فإن الأصوات الانفجارية والاحتكاكية تعد أكثر تكرارا لديهم.

فإذا لم يستطع الطفل أن يسمع هذه الأصوات بشكل متكرر، فسوف تصبح لديه مشكلة في اكتساب هذه الأصوات، وبالطبع كما نعرف جميعا فإن الطفل ستكون مشكلته أكبر إذا ما كان فقدان السمع لديه حاد، وذلك أكثر من فقدان المتوسط، فبينما الطفل ذو فقدان السمع المعتدل، يستطيع اكتساب الكلام ببطء، فإن الصمم التام أو الولادي يجعل عملية اكتساب الكلام من الصعوبة كثيرا. [78]ص(134)

وأحيانا ما يستطيع الطفل أن يحصل على المعلومات الحسية في مخه لأن لديه سمع عادي، ولكن لديه عملية معالجة للمعلومات مضطربة لأن لديه عيب أو اضطراب إدراكي حسي، فالإدراك الحسي هو العملية التي بواسطتها يقوم الفرد بالاختبار والتخزين والتنظيم والتفسير وتحليل المعلومات الحسية، فإذا ما كان الطفل يعاني من مشكلة في الجزء الخاص باستقبال الكلام، فإنه لن يكون قادر على تحديد أين تبدأ الكلمات أو أين تنتهي أو أي الأصوات أو الكلمات أكثر أهمية في سلسلة الأصوات والكلمات.

وهذه المشكلات وما شابهها سوف تؤثر في مخرجات الكلام لأننا لا نستطيع فصل كيف نتحدث عن كيف نستقبل الكلام. [79]ص(53)

ولهذا نجد أن العلاج الذي يقدم للأطفال ذوي مشكلات الإدراك الحسي يبدأ بمحاولة تحسين قدراتهم العملية ولا يركز بشكل مباشر على كيفية إحداث الأصوات.

وفي عديد من المشكلات الصوتية فإن أخصائيي أمراض اللغة والكلام لا يكونوا قادرين على تحديد سبب مشكلة الطفل بالضبط فليس هناك عيب عضوي واضح، فالطفل عادي الذكاء، ولديه خبرة أسرية عادية، ويبدو أنه يستقبل الكلام ويفسره بشكل عادي في هذه الحالات فإن الأخصائي الإكلينيكي يحدد ما يعرفه الطفل وما لا يعرفه عن علم الأصوات، وبعد ذلك ينشأ برنامجا لملء الفجوات حتى يصحح نظام الطفل الصوتي. [63]ص(220)

3.1.2. العيوب الجسمية

من العيوب الجسمية التي تؤثر على لغة الطفل، والتي تعتبر من المعوقات في هذا المجال:

1. العيوب التي لها أثر في سماع الطفل للقوالب اللغوية.
2. العيوب التي تؤثر في قدرة الطفل على الربط بين المعنى والأصوات، والتي تؤثر في القدرة العقلية للطفل لتكوين لغته.
3. العيوب التي لها أثر في قدرة الطفل على الكلام (مثل الحنجرة واللسان، والحلقوم والتشوهات التي قد تصيب هذه الأعضاء، وغيرها من أعضاء النطق في جسم الطفل).

وعندما يكون سبب التأخر اللغوي عند الطفل يجرع إلى العيوب الجسمية يكون اللسان هو أحد هذه الأعضاء المعرضة للعيوب، نظرا لأن غالبية أصوات الكلام تتضمن تحريك اللسان، فإنه إذا ما أصيب اللسان فإن الكلام يتأثر تبعا لذلك، فأحيانا ما يكون اللسان كبيرا جدا، وتسمى هذه الحالة بتضخم اللسان وبالطبع ليس هناك معايير مطلقة لحجم اللسان السوي، ولهذا فإن ضخامة اللسان تعني أن لسانا ما كبير جدا بالنسبة للفك السفلي الذي يقع فيه، ونجد أن المشكلات الصوتية المرتبطة بضخامة اللسان يمكن أن نتنبأ بها، ونظرا لأنه لا يوجد مكانا كافيا لحركة اللسان العادية، فإن أصوات الكلام تكون متداخلة النغمات وغير مميزة ومن أكثر مشكلات اللسان شيوعا تلك الحالة المسماة بتصلب اللسان، والتي يشيع تسميتها بعقدة اللسان. [72]ص(133)

وهناك شكلين لتصلب اللسان، فأحيانا ما يكون لجام اللسان (الوصلة العضلية تحت اللسان متصل بشكل كبير باللسان لدرجة تعوق حركة طرف اللسان، وإذا ما كانت حركة اللسان مقيدة بشكل واضح بواسطة اللجام، فإنه يمكن التدخل جراحيا لقصها، وفي الشكل الآخر من تصلب اللسان، فإن الجذر العضلي للسان يعوق حركة اللسان، وهذه حالة أكثر خطورة يمكن أن تعالج بالجراحة، غير أنه عند قطع العضلة فإن ذلك يحدث إصابة عضلية عصبية دائمة.

[72]ص(135)

وقد يكون مصطلح اختلال النطق، يشير إلى مدى من اضطرابات الكلام الحركية العصبية، ويتضمن مشكلات الاتصال المرتبطة بالعيوب العصبية العضلية في التنفس (respiration) وفي إخراج الأصوات الكلامية phonation وفي الترجيع reonation وفي التلفظ articulation، ولكي نفهم مدى مشكلات التلفظ في اختلال النطق، فإنه من الأهمية أن نتذكر أن الجهاز العصبي يبدأ في المخ ويتضمن النخاع الشوكي ومسارات عصبية لا حصر لها تنتشر خلال الجسم، واختلال النطق يمكن أن ينشأ من مشكلة في أي جزء فإذا ما حدثت إصابة في الأعصاب الجمجمية الموجودة في جذع المخ أو في فصوص أخرى من الجهاز العصبي، هنا نجد أن اضطراب الكلام الناشئ يسمى اختلال النطق العصبي الحركي السفلي [69]ص(بتصرف)

والأمراض الشائعة لهذا الشكل من اختلال النطق هي ضعف العضلات أو شلل فالمجهود الصوتي ضعيف غامض، وتدرجيا فإن مكونات الكلام الأخرى تتأثر أيضا وفي الحالات الحادة قد لا يكون هناك كلام على الإطلاق. وإذا ما كان اضطراب الاتصال الناشئ من إصابة بالمراكز الحركية العليا للمخ، فإن الحالة تسمى اختلال النطق العصبي الحركي العلوي، وهي مشكلة الكلام الأساسية لدى الفرد المصاب بالشلل المخي الدماغي، وعلى الرغم من أنه قد يكون هناك ضعف أو فقدان للحركة وإبطال للنغمة العضلية لدى هؤلاء المرضى، فإن الخاصية السائدة هي الأداء غير الصحيح للحركة والتأزر الخاطئ، ولنا أن نتخيل الأمر إذا فقد الإنسان السيطرة على عضلات الكلام، أو أن عمليات الكلام تكون غير متزامنة (أي ليست في وقت واحد) تلك هي بعض المشكلات التي تواجه المصابين بالشلل. [63]ص(213)

4.1.2. العيوب الانفعالية

قد يشكو الكثير من الأطفال من عجزهم في تعلم اللغة، نتيجة بعض الاضطرابات اللغوي، فالطفل الذي يشعر مثلا أن أخا أصغر منه أصبح له مكانته في الأسرة، قد يصاب بالنكوص النفسي، فيبدأ بتقليد الأنماط اللغوية عند أخيه الصغير، كي يفوز ببعض الاهتمام في أسرته. كذلك فإن الطفل الذي يتسرع أهله في نقله إلى صف دراسي أعلى، دون الأخذ بالاعتبار إمكانية الطبيعية، سرعان ما يتحول إلى السلوك السلبي في تصرفاته، أو أنه قد يمتنع عن الكلام، وتظهر عليه علامات الارتباك، والتعثر لما يشعر به من توتر انفعالي، وقد يتصرف بعض الوالدين خطأ بإجبار طفلهم على أن ينطق بشيء يفوق قدراته العادية، مما ينتج عنه مواقف سلبية عند الطفل تؤثر على تعلمه اللغة، وقد يؤثر ما نتج عن ذلك من توتر انفعالي

على لغة الطفل، مما يسبب له العجز عن التعبير، وفي الحالات التي يتوصل المعلم إلى معرفتها عند أطفاله، ويعجز عن علاجها بأساليبه وطرقه داخل الصف في المدرسية فعليه أن يلجأ إلى الطبيب النفسي لمساعدته في العلاج، كما أن تعاون الأسرة ضروري أيضا في مثل هذه الحالات.

وعلى هذا فقد تكون أسباب الإعاقة اجتماعية، كأن ينتمي الطفل مثلا إلى أسرة تشغل عنه بعمل الأبوين، مع ضعف وجود مصدر لغوي آخر يعوض عنهما، ويلاحظ هذا بوضوح في بيوت الأسر العاملة، التي تكل أمورها إلى خادمة، لا تنتمي لغويا إلى بيئة الوالدين، وعندئذ يتلقى الطفل كما لغويا مشوها، لا يمثل القدر الكافي الذي يلزم الإتقان لغة الوالدين. ولا يمثل القدر الكافي الذي يلزم لإتقان لغة الخادمة، وكثيرا ما تحدث هذه الحالات مع أبناء المغتربين، وبخاصة إذا كانوا لا ينتمون ثقافيا إلى الأم التي يعيشون فيها. وثمة ألوان أخرى من المعاناة الاجتماعية، قد تؤدي إلى نوع من الإعاقة النطقية وكثيرا ما تتحول الأسباب الاجتماعية إلى تآزمات نفسية تستدعي الكشف عن جذور لها في الظروف الاجتماعية.

5.1.2. الأسباب النفسية

وترتبط بأسباب التنشئة الأسرية المتمثلة في الدلال والحماية الزائدة، والرفض والتمييز بين الإخوة والعقاب الجسدي والنفسي.

فالدراسات تشير إلى وجود حالات من التهته كانت تعاني من اضطراب نفسي وظهرت التهته جنبا إلى جنب مع العامل النفسي، كما أن هناك حالات من التهته ظهرت فجأة بعد صدمة نفسية شديدة.

ويربط "وايات" G.Wayatt (1966) بين التهته وعلاقة الأم بالطفل وبنوعية هذه العلاقة، وخاصة فيما يتعلق بالبدايات اللغوية الأولى التي تعو أو تكف الطفل المتته مما يخلق لديه السلوك العصابي، كذلك نجد أن الحرمان العاطفي والصراع النفسي هي عوامل هامة في هذا الاضطراب.

وترى مدرسة التحليل النفسي أن النزعات والدوافع المكبوتة يمكن التعبير عنها من خلال الفم وأعضاء التنفس (أعضاء الكلام أيضا)، فالتوترات الناجمة عن عوامل العدوان والخوف والكبت قد تؤدي في بعض مواقف الإجهاد النفسي إلى التهته وإلى اضطرابات كلامية أخرى.

كذلك يمكن تفسير هذا الاضطراب بأنه نكوص régression إلى مرحلة الطفولة المبكرة حيث التثبيت على المرحلة الفمية fixation فعندما يتعرض الطفل إلى قسوة أو خوف ما فإنه يستجيب بإغلاق فمه أو بالامتناع عن الكلام الذي يأخذ شكل تهتهة. [72]ص(175) والتهتهة هي اضطراب يغلب عليه أن يكون وظيفيا fonctionnel وهي اضطراب في توصيل المعلومات للآخرين، وهي تبدأ عادة بشكل تدريجي منذ فترة الطفولة المبكرة، كما أنها أكثر انتشارا لدى الذكور من الإناث.

وينشأ هذا الاضطراب من اضطراب في حركتي الشهيق والزفير أثناء النطق، مثل انحباس النفس ثم انطلاقه بطريقة تشنجية، كما نجد لدى الطفل حركات زائدة عما يتطلبه الكلام العادي، وتظهر هذه الحركات في اللسان والشفيتين والوجه.

وقد يحدث في التهتهة توقف للكلام فترة يكون الطفل فيها غير قادر على إصدار الأصوات مؤقتا، وبعد انخفاض وتوتر العضلات يحدث فيضانا من الكلمات السريعة، ثم يحدث توقف نتيجة التقلص والتوتر. [72]ص(138)

كما أن التهتهة في الغالب يصاحبها تقلص عضلات الوجه مثلا تقطيب الجبين وانتفاخ الخدين وبروز الفم وهذه هي الأعراض التي نستلفت الانتباه إلى التهتهة وتكون هي المسببة لسخرية الآخرين من الطفل. [68]ص(136)

وقد سبق ذكرنا دور الجماعة التي يحيا فيها الطفل في اكتسابه اللغة، وإلى جانب ذلك نجد أن البيئة الثقافية الفقيرة بالحديث الرفيع، وبالكلام الموجه، وبالتدريب المناسب للطفل، كما يحدث لدى أطفال الملاجئ الذين لا تتوفر لديهم عوامل التربية والتدريب والتنشئة الاجتماعية الجيدة. والطفل تتأثر لغته بالجو الأسري الذي يعيش فيه والتي تمثل الأم فيه أهم شخص يتأثر به الطفل، واللغة تعد وسيلة الطفل التي يعبر لها الأمة عن مطالبه وحاجاته وتلقى التعليمات منها، وبالتالي فالطفل يتبنى أفكار وسلوكيات الأم من خلال عملية واحدة، وهنا يظهر تأثير الأم بوضوح على لغة الطفل... وهذا التأثير يتجلى لنا إذا قارنا بين لغة أطفال الملاجئ وبين أطفال الأسر الطبيعية... وقد أشارت البحوث إلى أن الطفل داخل الملجأ، والذي يكون محروما من حنان ورعاية الأم قد يتأخر لغويا بحوالي ستة أشهر عن الطفل العادي.

فنوع العلاقة التي يقيمها الطفل الصغير مع أمه خلال الشهور الأولى من عمره تحدد إلى حد بعيد تطوره في كافة الجوانب بما في ذلك التطور اللغوي، وأشار كثير من العلماء إلى الطبيعة الاجتماعية للأصوات المبكرة التي يصدرها الطفل، وأشاروا إلى أن إصدار تلك الأصوات بطريقة صحيحة يتوقف على إقامة علاقات شخصية حميمة مع الراشدين المحيطين بالطفل.

كذلك كشف بعض الدراسات أن الأطفال الذين يكشفون عن مشكلات لغوية، يكشفون كذلك عن مشكلات سلوكية انفعالية وعدم توافق نفسي واجتماعي، فعيوب الكلام لديهم تنتج من أسباب انفعالية. [68]ص(177.176)

6.1.2. إهمال الوالدين للأطفال

قد يكون هناك بعض السر مما يكون فيه الوالدان مشغولين بالعمل، مما لا يترك لهما فرصة التحدث مع أطفالهم، أو قد يكونان زاهدين في التقرب منهم لظروف خاصة. وفي هاتين الحالتين، يظل الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة يمرحون، لا يجدون من والديهم الذين يتركونهم دون توجيه لغوي، فهم محرومون من الاستماع إلى القصص، والأناشيد، بالإضافة إلى حرمانهم من الاطلاع على الكتب والصور التي يتولى الكبار شرحها لهم في جلسات يقوم الأب والأم فيهما بالتحدث إليهم عن هذه الكتب والصور وعن مجريات الأحداث اليومية.

حيث من المتوقع أن يقوم الآباء والأمهات بالإجابة عن كثير من تساؤلات الأطفال، وهناك الكثير من الأطفال ممن لم تتح لهم فرص التوجيه والعناية الأسرية تعجز لغتهم عن التطور في أشكالها العادية لا شيء إلا لأنه ينقصهم الخبرات العادية. [80]ص(205.204) وبالرغم من أن هناك تفاوتاً كبيراً بين الأطفال في سن الخامسة والسادسة من حيث قدرتهم على استخدام اللغة، ومعرفة دقائقها، فإنه والأمر كذلك يتحتم على أكثرهم الكفاية في المجال اللغوي، كما يجب أن نعي أن اللغة لا تنمو في فراغ فالطفل يواجه عملية الاكتساب بحافز بيولوجي قوي لينمي اللغة، كما أن بزوغ اللغة يرتبط تماماً بالنمو المعرفي، والطفل لن يكتسب اللغة إذا لم يتعرض لنماذج لغوية، فهناك دليل على أن السماع البسيط للغة ليس كافياً لاكتسابها، فتفاعلات الطفل الاتصالية مع القائمين على رعايته تسير وتسهل اكتساب الحصيلة اللغوية، والنمو اللغوي ككل.

فحينما يستجيب القائم على رعاية الطفل لتلفظاته المبكرة فإنه يوسع من هذه التلفظاته، فإذا ما قال الطفل "بابا عمل" فقد يستجيب القائم على رعايته "نعم" "بابا ذهب إلى العمل" فالقائم على رعاية الطفل لا يغير فقط من ترتيب الكلمات في تلفظ الطفل، ولكنه يحتفظ ويستبقي ما يعتقد أنه اتصال مقصود من الطفل، وكذلك يوسع التلفظ إلى شكل تام كامل، ويذهب بعض الباحثين إلى أن القائمين على رعاية الطفل يوسعون حوالي 20% من تلفظاته أطفالهم في عمر السنتين إلى جمل تامة وأكثر صحة من حيث التركيب، ويستجيب الأطفال غالباً لهذه التوسعات بتقليدها.

وعلى الرغم من أننا نعرف تمام المعرفة ما تسهم به التوسعات في النمو اللغوي فإن البعض من الباحثين يعتقدون أنها تساعد في اكتساب اللغة من خلال مساعدة الطفل على فهم أضل للوظائف النحوية للكلمات والقواعد التي تحكم اتحاد الكلمات ومن خلال الاحتفاظ بالمجهود الاتصالي المركز على الموضوعات التي يختارها الطفل، ومن خلال تعزيز عنصر التبادل في المحادثة.

فالطفل قد يستمد منافع مختلفة من الأنماط المختلفة في تعلم التصاريف النحوية، فعلى سبيل المثال فإن تدعيم تلفظات الطفل بالإضافة أو بمراجعة التصاريف النحوية، فعلى سبيل المثال فإن تدعيم تلفظات الطفل بالإضافة أو بمراجعة التصاريف النحوية قد يساعد الطفل على اكتساب الجمع والملكية، بينما توسيع الموضوع أو القصد العام لتلفظ الطفل قد يكون أكثر فائدة في اكتساب التصاريف النحوية الأخرى بما في ذلك دلائل الزمن. [81]ص(150) ومن الواضح أن القائمين على رعاية الطفل ذوي حساسية لطول وتعدد نماذجهم اللغوية حتى قبل أن يوسعوا تلفظات طفله، وطبيعتها لذلك فإن القائمين على رعاية الطفل يحدثون تلفظات قصيرة حينما يتحدثون إلى صغار الأطفال أكثر مما يفعلون مع الكبار منهم، وعلاوة على ذلك فيبدو أن هناك علاقة بين تلفظات الراشدين القصيرة خلال النصف الثاني من العام الأول من عمر الطفل وبين قدرات اللغة الاستقبالية لديه في عمر 18 شهرا [82]ص(155)، فمن الواضح أنه عندما يحس الراشدين أن الطفل كبر بما فيه الكفاية ليستفيد من النماذج اللغوية والكلام، فإنهم يولون اهتماما أكبر لطول وتعقيد النماذج التي يوفرونها لكي يعطوا الطفل نماذج لغوية واضحة.

إن هذا يجعلنا نتناول نقطة شديدة الأهمية هي ضرورة التفاعل اللفظي (interrogation verbal) مع الآخرين، ومما يشير إلى ذلك أهمية ذلك أن الأطفال العاديين يناغون، ولكن نجد الأطفال الصم يتوقفن عن المناغاة بعد 6 شهور كما أن ضعف السمع لديهم صعوبات شديدة في اكتساب اللغة، فلكي يتعلم الطفل اللغة، فإنه يجب على الطفل أن يكون قادرا على التفاعل مع أفراد ينطقون هذه اللغة، أي لا بد للأطفال أن ينشئوا في بيئة توظف فيها اللغة في اتصال مع الآخرين في

2الإعاقات النطقية وعيوب الكلام. المقصود بها، أسبابها، أعراضها

لا شك أن الكلام هو من أفضل النعم التي كرم الله بها البشرية، وهو من أهم الوسائل في عملية التواصل مع الآخرين، إذ يتطلب أدائه إشراك مركز الكلام المتواجد في المخ، مع الأعصاب المحركة للعضلات، التي تقوم بإخراج الصوت باعتباره نشاطا إنسانيا يصدر عن الفرد بقصد الاتصال بالآخر في تفاعلات اجتماعية تتمظهر في أشكال عدة.

ويندرج هذا الفصل ضمن الدراسات اللسانية وتحديد الدراسات اللسانية الصوتية التطبيقية، حيث بدأ الحديث عن اضطرابات اللغة وكذا الإعاقات النطقية يأخذ مكانته منذ منتصف القرن التاسع عشر ميلاد (19م) ويعكس أبعاده من ناحية تطور التصورات السلوكية، واللغوية للسلوك اللغوي، ومن ناحية أخرى تطور التصورات التشريعية والعيادية للعلاقات بين الأعصاب اللحائية واضطرابات السلوك اللغوي. [67]ص(174)

وفي هذا السياق فقد تعددت أصناف هذه الاضطرابات، واصطلح على التمييز بين اضطرابات اللغة واضطراب الكلام، على أساس أن اضطرابات اللغة تشير إلى الاضطرابات المتعلقة باستقبال اللغة (فهمها) أو التعبير بها، أو الاضطرابات المتصلة بالتتابع اللغوي (كأن تنتظم جملة بعد أخرى) في حين تشير اضطرابات الكلام إلى معاناة الأطفال من متاعب النطق بالكلمات. [67]ص(185)

وعليه فإن أمراض اللغة، وأمراض الكلام، هي تلك الأمراض أو الاضطرابات التي تصيب الأجهزة النطقية أو السمعية، أو تلك الاضطرابات العصبية أو النفسية التي تؤدي إلى انقطاع يصيب عملية التواصل. [83]ص(17)

كما تعرف اضطرابات النطق "بأنها مشكلة أو صعوبة إصدار الأصوات اللازمة للكلام بالطريقة الصحيحة، ويمكن أن تحدث عيوب النطق، في الحروف المتحركة أو الساكنة كما

يمكن أن تشمل بعض الأصوات أو جميع الأصوات، في أي موضع من الكلمة.
[67]ص(186)

وقد جرت العادة أن تقسم اضطرابات الكلام وعيوب النطق إلى قسمين:

1 - عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب أو عوامل عضوية.

2 - عيوب ترجع فيها إلى أسباب وظيفية.

والقسم الأول من تلك العيوب يكون مرده إلى الجهاز السمعي، والجهاز الكلامي كالتلف أو التشوه، وأما سوء التركيب في أي عضو من أعضاء الجهازين، وإما النقص في القدرة العقلية العامة، وهي تؤدي إلى خلل في تأدية هذا العضو لوظيفته، فيحدث نتيجة لذلك عيب في النطق، أو احتباس في الكلام، أو نقص في القدرة التعبيرية، كما ترجع أيضا للإصابات العضوية في المخ.

ويلاحظ في حالة العيوب أو الاضطرابات التي تنجم عن علة وظيفية أن المصاب لا يشكو أي نقص عضوي في الجهاز الكلامي أو السمعي، وهذا ما أثبتته التحري الميداني الذي قمنا به والذي سنتناوله في آخر هذا البحث ولا حتى في الجهاز السمعي، وكل ما هنالك أن قدرة الفرد على التعبير تتأثر بعوامل عديدة تسبب له اضطرابات مختلفة من حيث نوعها وشدتها وفقا لمدى قوة هذه العوامل وتأثيرها في الفرد، وبجانب التقسيم السابق هناك تقسيم آخر أكثر تفصيلا لا يقوم في أساسه على النظر إلى مصدر العلة، بل يقوم على أساس المظهر الخارجي للعيوب الكلامي، وتتخذ هذه العيوب أشكالا مختلفة منها ما يأتي:

1 - التأخر في قدرة الكلام عند الأطفال.

2 - احتباس الكلام أو فقد القدرة على التعبير، وهذه المجموعة من الأمراض الكلامية تعرف باسم الحبسة.

3 - العيوب الإبدالية: وهي عيوب تتصل بطريقة نطق أو تقويم الحروف وتشكيلها.

4 - الكلام الطفلي.

5 - الكلام التشنجي.

6 - العيوب الصوتية.

7 - العيوب التي تتصل بطلاقة اللسان وانسيابيته في التعبير ومن أهمها الجلجلة والتلعثم...

8 - عيوب النطق الناتجة من نقص في القدرة السمعية أو القدرة العقلية.

ومن الملاحظ هنا أن معظم هذه الاضطرابات أكثر ظهوراً في الأطفال هناك ظواهر كلامية أخرى يمكن اعتبارها من الظواهر المرضية مثل الاستباق والتماذي والنقلات والإبدال والإدغام. [66]ص(30.29)

وعليه فإن الإعاقات النطقية وأمراض الكلام موضوع يحتاج إلى خبرات متعددة كخبرة اللغوي والطبيب العضوي والباحث النفسي والتربوي.

وصلة هذا الموضوع بعلم اللغة واضح، إذ هو يركز على مجال خاص من مجالاته، ويتناول شريحة المعاقين نطقياً، وهي شريحة من المجتمع تكاد تكون مهملة على صعيد الدرس اللغوي العربي، وكثيراً ما قصر دور المجتمع عن خدمة هؤلاء الناس نطقياً، بل كانوا مجال تندر وسخرية أحياناً، بدلاً من أن تمتد لهم الأيدي التي تجتهد في تأهيلهم.

ويعد الأطفال من أكثر أفراد المجتمع تعرضاً لإصابات تعوق نطقهم السليم وتعترض كلامهم، فالطفل قد يكتسب سلوكيات عديدة اجتماعية وأخلاقية... وهذا لا يتأتى له إلا باكتساب اللغة، التي تعتبر وسيلة هامة وأساسية للتبليغ والتعبير عن المكنونات والعواطف، وكذا تلبية الحاجات... ولكي يكتسب الطفل هذه اللغة ويتمكن من أدائها أداء حسناً لا بد له من أن يتدرب عليها وعلى كيفية نطقها وإخراج أصواتها، إلا أن بعض الأطفال يصعب عليهم ذلك، ولهذا تدخل المختصون من مختلف الاختصاصات محاولة في تشخيص هذه الأمراض.

وكما قد تكون المسافة قريبة أحياناً بين المرض العضال والمرض العارض، فإن المسافة قد تكون أحياناً قريبة بين إعاقة وأخرى، إذ كثيراً ما يلتبس الأمر على الباحث بشأن المعاقين بسبب الآثار الحادة للازدواجية اللغوية فقد تلغ آثار الازدواجية اللغوية الحادة مبلغاً يعيق عن النطق بأي لغة من اللغات، وفي حالة كهذه يلتقي السبب العارض بسبب بليغ من أسباب الإعاقة كالتشوه الفمي أو التلف السمعي، وتكون النتيجة واحدة. [84]ص(288)

وعلم النفس كذلك له دور في هذا المجال، حيث اتجه إلى محاولة ضبط العلاقة بين الاضطرابات النفسية والاضطرابات اللغوية، والانتهاء بذلك إلى علاج نفسي لغوي، وكذلك الأرطوفونيا، التي يهتم أصحابها بالمعالجة السوية للنطق والتخلص من العادات السيئة المصاحبة للكلام.

وقد اهتدى علم النفس التجريبي إلى منهج تحليل العمليات الذهنية المتصلة باللسان، وخير إسهام في ذلك اكتشاف العالم "بروكا" لمركز اللغة الموجود في المنطقة اليسرى من قشرة الدماغ "cortex". [69]ص(123)

ولما كان الكلام هو العنصر الأساسي في عملية التواصل ارتأينا أن نتحدث عنه وعن الاختلافات التي تطرأ عليه، علما أن الكلام السليم يتميز بعدة صفات تجعله الظاهرة الوحيدة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، كما يتميز بالفصاحة والبيان، لذلك كان علينا أن نعرف بهذه المصطلحات، البيان، الفصاحة، الكلام، اللسان، النطق، وذلك قبل أن نفصل ما يعترئها من عيوب، وعليه فسيكون عرضنا لهذه المصطلحات من خلال التطرق إلى الجانبين، اللغوي والاصطلاحي.

.....

ما يبين به الشيء بالدلالة وغيرها، وبيان الشيء بيانا اتضح، قال تعالى: ﴿آيات مبينات﴾ بكسر الياء ومن قرأ ﴿مَبَيِّنَات﴾ بالفتح فالمعنى أن الله بينها.

أما اصطلاحا: فالبيان عند الجاحظ اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى. [85]ص(11)

1.1.2. الفصاحة

فصح الرجل فصاحة فهو فصيح.

قال سيبويه: بكسر وتكسير الاسم نحو فصيح وفُصح وكلام فصيح بليغ ولسان فصيح أي

طليق. [1]ص(64)

أما اصطلاحا:

فيتخذ مفهوم الفصاحة في لغة الجاحظ وفكره الأدبي معنيين، الأول يرتبط بسلامة النطق مما

يشوب أصوات الحروف ويعطل مخرجها الصحيحة. [85]ص(15)

2.1.2. الكلام

3.1.2. التعريف اللغوي

كلام الله القرآن، وكلام الله لا يحد ولا يعد وهو غير مخلوق، وفي الحديث قوله صلى الله عليه

وسلم: "أعوذ بكلمات الله التامات" قيل هي القرآن، والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف

الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى. [1]ص(104)

والكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلام لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع

كلمة والكلمة القصيدة بطولها، وكليمك الذي يكلمك، وكالمه إذا ناطقه. [1]ص(504)

والتكليم التجريح، وعيسى عليه السلام كلمة الله لأنه لما انتفع به في الدين كما انتفع بكلامه

سمي به مثلما يقال فلا أسد الله. [86]ص(05)

والكلام: القول، أو ما كان مكتفيا بنفسه، وبالضم الأرض الغليظة، والكلمة اللفظة والكلمة الباقية كلمة التوحيد. [87]ص(17)

4.1.2. التعريف الاصطلاحي

الكلام رسالة تتجسد في إنتاجات فردية لولاها لما كانت اللغة حية، هذه الإنتاجات تأخذ أشكالاً مختلفة، كما لا يشترط في الكلام أن يكون منطوقاً فهو قد يأخذ الشكل المكتوب. [88]ص(05)

5.1.2. اللسان

6.1.2. التعريف اللغوي

اللسان جارحة الكلام، وقد يكمن به عن الكلمة، فيؤنث حينئذ فمن ذكره قال ثلاثة ألسنة مثل ذراع وأذرع وقد لسن من باب طرف فهم (لسن) و (ألسن) وفلان لسان القوم، إذا كان المتكلم عنهم ولسنه أخذه بلسانه. أنظر [1]ص(595)

واللسن بكسر اللام اللغة: ولكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها، ويقال لسن بين اللسن، إذا كان ذا بيان وفصاحة، والجمع ألسنة، وشاهد ألسنة الجمع فيمن ذكر قوله تعالى: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ أي اختلاف لغاتكم وخلافاتكم [1]ص(595) وقوله عز وجل: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ أي بلغة قومه. [89]ص(400)

واللسن بالتحريك الفصاحة وقد لسن بالكسر فهو لسن وألسن وقوم لسن واللسن جودة اللسان وسلطته، واللسان أيضاً الرسالة والمقالة. [1]ص(197)

7.1.2. التعريف الاصطلاحي

اللسان وضع واستعمال ثم لفظ ومعنى في كل من الموضع والاستعمال، ونعني بذلك أولاً أن اللغة مجموعة منسجمة من الدوال، والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية تدرج فيها، وهذا هو الوضع، وما يسمى بالقياس هو المعقول، من هذا الوضع، أي ما يثبت القوم من انسجام وتناسب بين بعض العناصر اللغوية والعلاقات التي تربطها. [90]ص(28)

1. النطق

1.1. التعريف اللغوي

نطق الناطق ينطق نطقاً، تكلم، والمنطق الكلام، وقد أنطقه الله أي كلمه وناطقه، وكتاب ناطق: بئ، وقد يستعمل المنطق في غير الإنسان من ذلك قوله تعالى: ﴿علمنا منطق الطير﴾ فالناطق الحيوان والصامت ما سواه. أنظر [1]ص(666)

1.1.1. اللغة والكلام

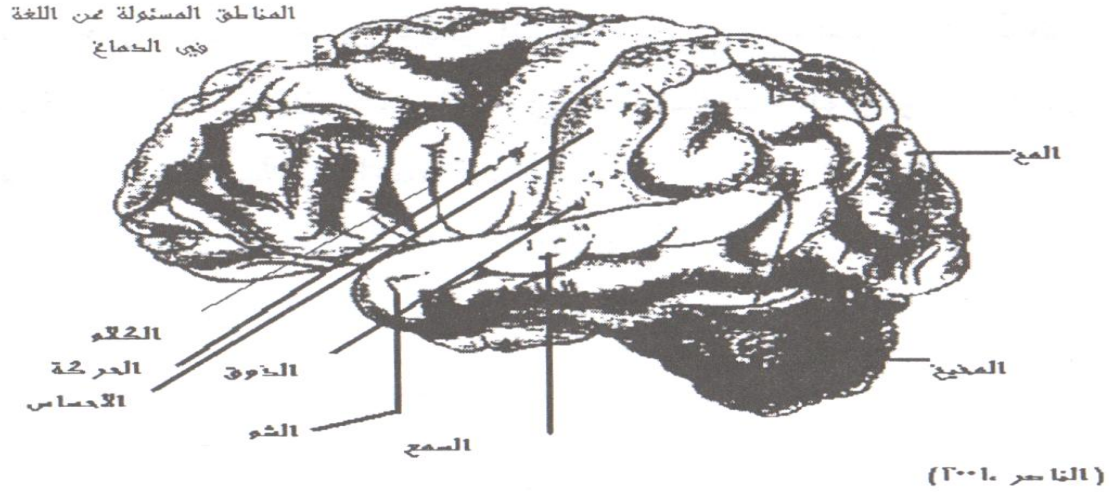
تعد اللغة ظاهرة اجتماعية تقع في مجال علم الاجتماع كما تقع في مجال علم اللغة ولها جانبان من جوانب الدراسة، أحدهما اللغة المعنية وثانيهما الكلام، وتشمل دراسة اللغة على ناحيتين، إحداهما جوهريّة، موضوعها اللغة المعنية التي هي اجتماعية في جوهرها مستقلة ع الفرد وهذه نفسية فحسب، وثانيهما تتناول الدور الفردي للغة باعتباره موضوعا لها أو بعبارة أخرى الكلام المكون من أصوات وهذه نفسية وعضوية معا.

واللغة ضرورية لفهم الكلام، والكلام ضروري لفهمها فاللغة في ماهيتها أصوات وعرفها ابن جني بقوله: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، واللغة خمسة أنظمة هي النحوي، الصرفي، التراكيبي، البلاغي، الصوتي، ولها أربعة أهداف هي الاستماع، الكلام، القراءة والكتابة".

والعنصر اللغوي الأساس هو الكلام أو اللفظة للدالة على متصور، وليس معنى هذا أن اللغة تستعمل فقط بالتعبير عن متصور بالمعنى الفلسفي، لأننا في حياتنا اليومية لا نهتم بالتصورات قد اهتمامنا بالواقع الملموس، ولهذا يمكننا عد اللغة أداو صالحة للتعبير في كل الظروف النفسية الاجتماعية.

وللتفريق بين اللغة والكلام، فإن الله نظام والكلام أداء نشاطي طبقا لصورة صوتية ذهنية واللغة توجد في المجتمع الناطق، وأما الكلام فهو وظيفة الفرد، واللغة مجموعة من الحروف والكلمات والصيغ والعلاقات النحوية في المجتمع، يتعلمها الفرد اكتسابا وأما الكلام فهو التنفيذ الفردي والاستخدام الشخصي لهذه المجموعة وهي حقيقة اجتماعية، وهو عمل فردي يشتمل على ما ينطقه أو ما يكتسبه الفرد ويلاحظ أن الاستعداد للكلام فطري أما اللغة التي يصيب فيها الكلام فمكتسبة.

وبناء على ذلك يمكننا اعتبار اللغة الأصل، والكلام هو الفرع أو جزء منها، واللغة هي قالب، الكلام يصيب في هذا القالب بناء على أسس معينة فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية لا ينفصلان عن بعضهما بعضا.



الشكل: 06 [69]

2. الإعاقات النطقية الكلام، النطق، اللغة، الصوت.

باستقراء الكتابات العديدة في هذا المجال فإنه لا يوجد اتفاق عام على تصنيف قاطع للإعاقات النطقية، إلا أن دراستنا الحالية تستمد تصنيفها حسب ما جاء في تصنيف رابطة الكلام واللغة والسمع الأمريكية سنة 1993 ASLHA والذي يقسم إعاقات الكلام والنطق إلى نوعين أساسيين هما:

1.2. اضطرابات الكلام والتي تشمل مشكلات في نطق الكلام أثناء الحديث وتنقسم هذه الاضطرابات بدورها إلى:

أ - اضطرابات الطلاقة: وتشمل كافة الاضطرابات الناتجة عن انقطاع في تدفق الحديث أو اختلال غير معتاد في سرعة الحديث وإيقاعه بالإضافة إلى بعض المظاهر الانفعالية والنفسية، ومن هذه الاضطرابات (الجلجلة، وقلق الكلام، والسرعة الزائدة في الكلام).

ب - اضطرابات النطق: وتشمل مجموعة الاضطرابات التي يطلق عليها اصطلاح الديزلاليا، بنوعها الجزئية أو الكلية وهي تشمل مجموعة عريضة من الاضطرابات المختلفة.

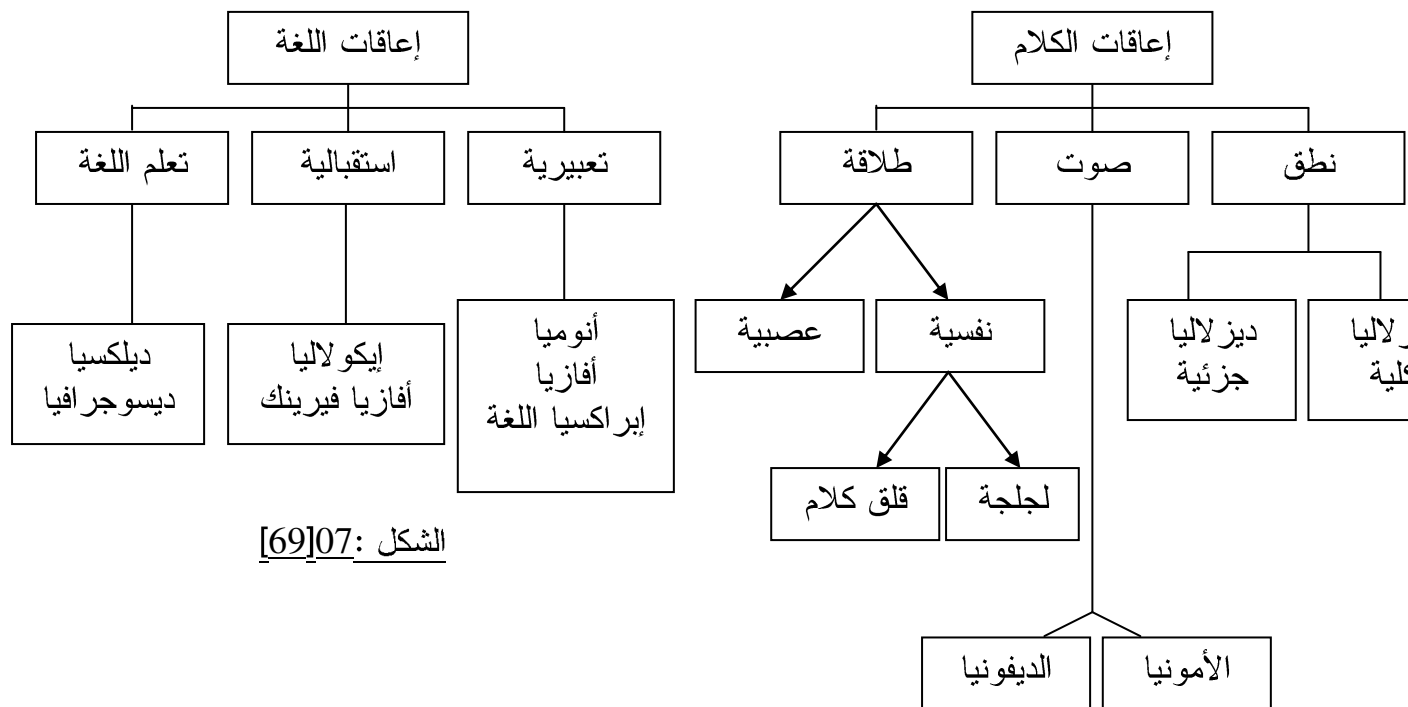
ت - اضطرابات الصوت: وهي تتصل بعيوب في طبقة الصوت، ومداه، والرنين والمدة، وجودة الصوت.

1.1.2. اضطرابات اللغة

وهي تشمل الاختلالات التي تصيب القدرة على فهم أو استخدام لغة الحديث أو الكتابة، أو كليهما مؤثرا بذلك على مكونات منظومة اللغة سواء كان ذلك في الجانب المعجمي أو التركيبي...

وتأسيسا على هذه المحاور الرئيسية ومن خلال استعراض الكثير من الدراسات والكتابات في هذا المجال فإننا سنعرض لمعظم الإعاقات النطقية وعيوب الكلام الشائعة خاصة عند أطفال المدارس.

الإعاقات النطقية



الشكل: 07[69]

2.1.2. اضطرابات الكلام

3.1.2. اضطرابات الطلاقة

2.2. الديسارثريا Dysarthrie

يعتبر اضطراب الديسارثيا أحد اضطرابات طلاقة الكلام ذات المنشأ "النيورولوجي" (دماغي) والتي تظهر في شكل مقاطع كلامية انفجارية متقطعة مصحوبة بزيادة في الأصوات ذات الرنين (غنة أنفية)، وذلك نتيجة لضعف قوة العضلات المشاركة في عملية النطق والكلام، وعدم تناسق العمل العضلي معها، حيث يصاحب ذلك حركات لاإرادية في الوجه والرقبة والعينين والكتفين وبعض أجزاء أخرى من الجسم كالحجاب الحاجز. ومن أعراض الديسارثيا إصدار الكلام بشكل ارتعاشي غير متناسق مع حذف يطرأ على الأصوات والمقاطع، حيث تظهر مقاطع الكلمات منفصلة مع عدم تناسب التوقيت بين كل مقطع وآخر، فيما يسمى بالكلام المقطعي، كما يحدث زيادة في الأصوات ذات الرنين الأنفي المفرط (الغنة الشديدة)، إضافة إلى إصدار الكلام بصعوبة شديدة حيث يحتاج المصاب لبذل المزيد من الجهد للتكلم، وفي أحيان أخرى يكون الكلام بشكل انفجاري مما يشكل صعوبة للمستمع في فهمه، مع هذا كله يصاحب خروج الكلام الكثير من الحركات اللاإرادية من بعض أجزاء الكلام. [74]ص(45)

وتعتبر الأعصاب المخية التي تختص بنقل الأوامر في شكل نبضات من المخ إلى عضلات جهاز النطق -الأساس وراء حدوث الديسارثيا، وحيث يكثر حدوث الديسارثيا بسبب حالات الشلل الدماغي.

فالخلل الدماغي يؤدي إلى مجموعة من الاضطرابات الحركية العضلية، ويحدد هذا الخلل عند الولادة أو بعدها، أي في السنوات الأولى من عمر الطفل حيث يعاني الطفل ضعفا عاما في العضلات وكذا عدم تناسق وشدوذ الحركات، ويشمل ذلك عضلات النطق والكلام، مما يؤدي إلى إصابة الطفل بالديسارثيا وعليه فإن هذا المرض هو اضطراب عصبي قد يكون نمائي أو مكتسب. [91]ص(64)

واعتبر الدكتور مصطفى فهمي الديسارثيا نوعا من أنواع التأتأة، باعتبارها لكنة في الحروف منتشرة في حرف السين بكثرة عند الأطفال ما بين الخامسة والسابعة وهي مرحلة إبدال الأسنان، هذا يعني أنها مؤقتة وقد تكون دائمة، وفي هذه الحالة هي عيب كلامي، يتمثل في إبدال السين شيئا أو ثاء أو دالا لعدة أسباب [66]ص(31)

وهذا النوع من التأتأة يتخذ عدة أشكال حسب الدكتور فهمي بينها لنا فيما يلي:

- إبدال السين ثاء: يعرف هذا النوع من عيوب النطق باسم (sigmatism)

(interdentalic) يرجع سبب هذه العلة إلى بروز طرف اللسان خارج الفم متخذا

طريقه بين الأسنان الأمامية.

- إبدال حرف السين شيئا: وهذا النوع معروف باسم (latexal sigmatism) وسببه: مرور الهواء في تجويف ضيق بين اللسان وسقف الحلق وينتشر هذا التيار على جانبي اللسان.
- إبدال السين ثاء أو دال، يصطلح عليه اسم (adentalic sigmatism).
- إخراج السين بالاستعانة على التجاويف الأنفية، حين يقتضي إخراجها على نحو سليم وهذه الحالة معروفة باسم (nasal sigmatism)

1.2.2. قلق الكلام

تناولت الدراسات الخاصة بالإعاقات النطقية مفهوم قلق الكلام بعدة مصطلحات، منها ما أطلق عليه، قلة الكلام وقلة الاتصال، وقلق الكلام العام... ويعد قلق الكلام أحد الإعاقات التي تجعل من طلاقة الكلام مضطربة، مما يؤدي بالمصاب إلى عدم التوافق في شخصيته... كما يتميز أصحاب هذه الإعاقة بسلوك انسحابي اتجاه التواصل اللفظي مع الآخرين، فيبدوا عليهم في كثير من المواقف حالات الانطواء والخجل... وفي المجال التعليمي يعد قلق الكلام مؤشرا سلبيا في التحصيل الدراسي لدى التلاميذ، حيث يكون التلميذ المصاب أقل تفاعلا مع المعلم، ما يؤدي إلى انخفاض التحصيل العلمي، مقارنة بالتلاميذ العاديين. [92]ص(56)

ومما يجب الإشارة إليه أن هذا المرض الكلامي قد ينتقل من مصاب إلى آخر. وعادة ما يكون قلق الكلام مصحوب بردود أفعال جسمية ونفسية تؤدي إلى آثار سلبية على الأداء الكلامي أثناء التحدث. [92]ص(57)

ويعتبر الكثير أن قلق الكلام هو الشعور الذي يمر به الفرد عندما يكون في حالة نفسية سيئة ويكون غالبا مصحوبا بالخجل والميل لتجنب التفاعل أو التواصل الاجتماعي.

وفي ضوء ما سبق يمكننا صياغة تعريف إجرائي لقلق الكلام، وذلك في ضوء منظور "الحالة" على أنه "خبرة اشتراكية موقفية لسمة أو حالة من القلق والتي تتم عن وجود فجوة تحدث نتيجة عدم الارتياح أثناء التحدث أمام الآخرين، وتكون مصحوبة بردود أفعال جسمية ونفسية ومعرفية تؤدي إلى آثار سلبية على الأداء أثناء التحدث، كما تؤدي إلى اتجاهات سلبية أثناء التفاعل الاجتماعي.

2.2.2. العوامل المسببة لقلق الكلام

هناك العديد من العوامل النفسية التي تؤدي إلى حدوث قلق الكلام منها:

1. الأفكار السلبية

إن للأفكار السلبية التي تطرأ على ذهن الفرد أثناء الحديث تعتبر سببا رئيسا من أسباب قلق الكلام، كالتالي يميل فيها الفرد إلى جعل المطالب كما لو كانت قواعد مطلقة للحياة، ومن ثم يحاول بلوغها وتحقيقها أثناء الكلام أو الحديث أمام الآخرين مما يوقعه في كثير من القلق أثناء التحدث.

- أفكار التهويل: هي نوع آخر من الأفكار للاعقلانية، يميل فيها الفرد إلى إطلاق الأشياء من مكنها، بمعنى أن يجعل من صغائر الشيء جبالا عن طريق التهويل فيكثر لديه استخدام كلمات مثل مرعب ومرعب وبالتالي فهو يهول من الموقف خطيبا أو متحدثا أمام الآخرين.

- أفكار تعبر عن الاضطراب: حيث يصبح لدى الفرد قناعة بأنه لا يستطيع المواجهة لأي موقف حياتي حتى لو كان موقف الحديث مع الآخرين، وخاصة إذا كانوا غرباء أو رؤساء أو يكبرونه أو يتميزون عنه.

- أفكار التحقير: وتتضمن استصغار الذات وتقليل الفرد من شأن نفسه وبذلك يعتق بعجزه عن أداء أي حوار مع الآخرين.

وبالتالي فإن العوامل النفسية لها تأثير كبير في عملية الكلام، ومن هنا تظهر أهمية بناء الجانب المعرفي للفرد بطريقة تسمح له بتناول الأمور بطريقة عقلانية ومنطقية، وحيث أنه حينما نناقش أحد الأفكار أو المعتقدات التي يؤمن بها الفرد ويعتقد فيها بغرض توضيح العلاقة بين هذه المعتقدات وبين ما يعانيه من اضطرابات نفسية فإنه من المحتمل إجراء تغيير لهذه المعتقدات وبين ما يعانيه من اضطرابات نفسية فإنه من المحتمل لهذه المعتقدات والأفكار بشكل يؤدي إلى إعادة توازنه الانفعالي والنفسي. [91]ص(62)

وعلى ذلك فإن القلق ينشأ ويستمر نتيجة لبعض الأفكار والمعتقدات التي تخلق أساسا.

1.1. الضغط النفسي

إن عملية النطق عملية عضوية بحتة، إلا أن هذه الظاهرة تتفاعل مع عدة عوامل نفسية، وصحية واجتماعية...

كما تشير الدراسات إلى أن أسباب الاضطرابات الكلامية تختلف حسب الحالات والأعمار والبيئات وكثيرا ما تكون هذه الأسباب نفسية ووجدانية عميقة مثل الانفعالات الحادة والمخاوف والصدمات النفسية، وقد ترجع الحالة الواحدة إلى عدة أسباب وعوامل. وجميع هذه الأسباب متداخلة ومتفاعلة مع بعضها البعض.

وقد دلت كثير من البحوث العملية على أن الأسباب الأساسية لقلق الكلام يتلخص في إفراط الأبوين ومغالاتهم في رعاية الطفل أو العكس، أي فقدان الطفل إلى عطف الأبوين، أو العيش في جو عائلي يسوده الشقاق والصراع، أو لتضارب أساليب التربية أو لسوء التوافق والإخفاق في التحصيل المدرسي.

كما أن بعض الأفكار التي يتميز بها البعض قد تكون سببا في قلق الكلام، ومنها من يميل الفرد إلى جعل المفروضات كما لو كانت قواعد مطلقة للحياة، ومن ثم يحاول بلوغها وتحقيقها أثناء الكلام، أو الحديث أمام الآخرين، مما يوقعه في كثير من القلق أثناء التحدث. وكذا أفكار التهويل، فهي نوع آخر من الأفكار، حيث يميل الفرد إلى إطلاق الأشياء من مكنها، بمعنى أن يجعل من صغائر الشيء أمورا مهمة، فيكثر لديه استخدام كلمات مثل: مهول، مرعب، مريع.. وبالتالي فهو يهول من الموقف.

وتعد أفكار التحقير من الأسباب التي تؤدي إلى قلق الكلام، وتتضمن استصغار الذات وتقليل الفرد من شأن نفسه وبذلك يعتقد بعجزه عن أداء أي حوار مع الآخرين. وقد أبانت الدراسات تفسيراً لمنشأ تلك الأفكار عند الفرد، حيث أرجعتها إلى نظام معتقدات الفرد وتفسيره للأحداث في ضوء هذه المعتقدات وتوجهاته العقلية وبالتالي فإن تفسير الفرد لهذه الأحداث معتقداً أنها مخيفة أو مؤلمة هو المسؤول عن الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الفرد.

1.1.1. اضطرابات النطق

هي أخطاء كلامية تنتج عن قلقه وتشنج في حركة الفك والشفاه واللسان أو عدم تسلسلها بشكل مناسب بحيث استبدال أو حذف أو إضافة أو تشويه. [93]ص(بدون صفحة) وهي أيضا عدم القدرة على ممارسة الكلام بصورة عادية تتناسب مع عمر المتكلم، وجنسه، وقد يتمثل ذلك في صعوبة نطق أصوات الكلام، أو عدم استخدام الكلام بصورة فاعلة في عملية التواصل مع الآخرين. [94]ص(43)

كما يعرف البعض اضطراب النطق بأنه مشكلة أو صعوبة في إصدار الأصوات اللازمة للكلام بالطريقة الصحيحة، ويمكن أن تحدث عيوب النطق في الحروف المتحركة أو الساكنة

أو في تجمعات من الحروف الساكنة، ويمكن أن يشمل الاضطراب الأصوات أو جميعها في أي موضع من الكلمة.

ويعتبرها البعض خلافاً في نطق الطفل لبعض الأصوات اللغوية يظهر في واحد أو أكثر من الاضطرابات التالية: إبدال (نطق صوت بدلا من صوت آخر) أو حذف (نطق الكلمة ناقصة صوتاً أو أكثر) أو تحريف (نطق الصوت بصورة تشبه الصوت الأصلي غير أنه لا يماثله تماماً) أو إضافة (زيادة صوت زائد إلى الكلمة).

كما تعد عيوب النطق حتى اليوم أكثر أشكال اضطرابات الكلام شيوعاً، ومن ثَمَّ تون الغالبية العظمى من حالات اضطرابات النطق التي يمكن أن نواجهها في الفصول الدراسية أو في المراكز العلاجية، وبذلك فإن اضطرابات النطق تتمثل في أربعة أشكال هي: الحذف، الإبدال، والتحريف أو التشويه والإضافة.

2.1.1. اللججة لغة واصطلاحاً

تعتبر اللججة أحد اضطرابات طلاقة الكلام، وهي سلوك "متعلم أو مكتسب، فالفرد المتلجلج هو في الأساس فرد عادي" [94]ص(44).

ويعرفها البعض على أنها تشنج موقفي يكون على شكل احتباس في الكلام يعقبه انفجار أو على شكل حركات ارتعاشية متكررة، وتعد من أخطر أنواع العيوب الكلامية، فهي عيب كلامي شائع بين الأطفال والكبار. [95]ص(130)

واللجلاج: هو الذي سجية لسانه ثقل الكلام ونقصه [95]ص(73) واللجلاج الذي يجول لسانه في شدقه [96]ص(74) ويقال لجلاج "إذا تتعنت ومضغ الكلام لم يخرج بعض في إثر بعض". ويورد الباحثون عدة خصائص مميزة للـلججة، باعتبار أن اللججة اضطراب شائع ومعروف منذ القدم يبدأ تقريباً في كل الأحوال في مرحلة الطفولة غالباً قبل سن السادسة، ومن المعتاد أن يبدأ بين عمري ثلاث وأربع سنوات، وعادة ما يحدث بمعدلات أكبر بين الذكور مقارنة بالإناث.

كما تختلف درجة اللججة موقف الحديث حيث تزداد في المواقف الضاغطة كالحديث لذوي السلطة أو أما الغرباء.

وتعد اللججة أكثر عيوب النطق شيوعاً بين الأطفال، وأسبابها معقدة، ولكن النظرية القائلة بأن أساسها ومنشأها يرجعان إلى عوامل نفسية هي أكثر النظريات شيوعاً.

ولعل أهم العوامل التي ترجع إليها الإصابة بمرض اللججة هو ما يشعر به المريض من قلق نفسي وانعدام الشعور بالأمن والطمأنينة منذ طفولته المبكرة.

ويمكننا أن نتبين أثر القلق وانعدام الأمن عند الطفل من الأثر المبكرة، ويمكننا أن نتبين أثر القلق وانعدام الأمن عند الطفل من الأثر الانفعالي الذي يعاني منه عندما يتكلم فلأنه يشعر بالقلق فإنه يصبح متوترا لذلك يتلعثم ويتكأ في إخراج الكلام بصورة تامة، نتيجة لتخوفه المواقف التي يخشى مواجهتها.

أو عندما يكون في صحبة أشخاص غرباء، وبمرور الأيام يتعود الطفل اللجاجة، وقد يزداد معه الشعور بالنقص وعدم الكفاءة.

والواقع فإن الطفل الذي يعاني من اللجاجة يستطيع التكلم بطلاقة في بعض الأحيان عندما يكون هادئ البال أو يكون بمعزل عن الناس، لأن مثل هذه المواقف تخلوا تماما من الخوف والاضطرابات الانفعالية التي يعاني منها عندما يضطر إلى الكلام في مواجهة بعض الأشخاص وعلى الأخص ممن يتهيبهم.

3.1.1. مظاهر اللجاجة

2.1. التكرار répétition

إن التكرار يعد من أهم السمات المميزة للجباجة، حيث أنها أحد أعراض اللجباجة الأكثر شيوعا خاصة عندما تحدث عدة تكرارات بالصوت نفسه بالتتابع لدرجة تلفت انتباه المستمع، ومع أن التكرارات تعتبر من الأعراض المميزة لوجود اللجباجة إلا أن تكرار العبارات والكلمات والمقاطع يعد شائعا بين الأطفال الصغار جدا، وقد يكون مؤشرا.

1.2.1. الإطالة prolongation

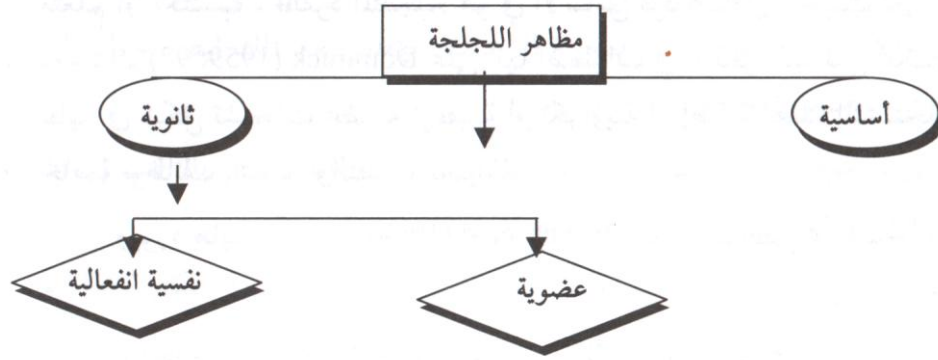
حيث يطول نطق الصوت لفترة أطول خاصة في الحروف المتحركة، ويعد إطالة الصوت شكلا هاما لهذا النوع من الاضطراب الكلامي، حيث إنه من النادر وجوده في كلام غير المتلجلجين.

كما أنه من الأشياء المعروفة لدى أخصائيي الكلام أن اللجباجة إذا تركت فسوف تتطور.

2.2.1. الاحتباس (التوقفات الكلامية) blocages

تحدث الإعاقات الكلامية بسبب انفلات ما في مكان ما في الجهاز الصوتي، تؤدي إلى إعاقة الحركة الآلية للكلام، بالإضافة إلى ضغط مستمر من الهواء خلف نقطة الإعاقة، وقد يصاحب هذه الإعاقات توترا وارتعاشا في العضلات عند نقطة الإعاقة، وقد تطول مدة الإعاقة أو تقصر تبعا لشدة الاضطرابات وبالتالي يتناقص أو يتزايد التوتر العضلي ويلاحظ حدوث تلك

الإعاقات بصورة متكررة في بداية نطق العبارة أو الكلمة. [97]ص(31)



الشكل: 08[94]

3.2.1. أسباب اللجاجة

عادة ما تظهر اللجاجة في طور الطفولة المبكرة، والقاعدة فيها قائمة على أساس أنها حالة مرض نفسي تنشأ في الطفولة ثم تستفحل مع الزمن وتتفاقم كلما كبر الطفل، كما يكابد المصاب باللجاجة قلقاً وتوتراً مردهما إلى صراع نفسي ناجم عما ينتابه من شعور بانعدام الأمن والطمأنينة، وبما أن اللجاجة وباعتبارها عارضا لمرض نفسي يمكن حسابانها على هذا الأساس ظاهرة تنفيس تركزت وتبلورت في عضلات جهاز النطق.

وأي عيب وظيفي في توالي الكلام خليف فيما يظهر لنا، بأن يهب المرض ملجأ ملائماً للتنفيس، كما أن لإفراط الوالدين في رعاية الأطفال إلى حد التدليل المفرط الذي يمنع الطفل من التدرب على الاستقلال أو الاعتماد على نفسه، كما أن هناك أسباب وعوامل اجتماعية ونفسية... لها الأثر الكبير في حدوث اللجاجة. [98]ص(61)

كما أن هناك تفسير طبي لحدوث اللجاجة حيث يرجح الأطباء أن جانبية المخ لها دور في حدوث اللجاجة، حيث اعتبر البعض أن اللجاجة تحدث نتيجة التنافس بين نصفي المخ، في السيطرة على وظيفة الكلام، ففي الأشخاص الذين اكتمل فيهم تميز أحد نصفي المخ، فإن نصف المخ الأيسر يتحكم في تلك الوظيفة، بينما في الأشخاص الذين تعثر فيهم اكتمال هذا التمييز فإنهم في خطر أن يصابوا باللجاجة، ولذلك فإن إجبار الطفل على أن يتحول من استعمال اليد التي يميل هو بطبيعته لتفضيلها إلى اليد الأخرى قد يعوق عملية اكتمال سيطرة أحد نصفي المخ على وظيفة الكلام، ويتسبب بالتالي في ظهور مشكلة اللجاجة لدى الطفل.

ويرى بعض الباحثين أن من العلامات الواضحة بالنسبة للجلجة أن توجد تقطيعات غير إرادية نتيجة تقلص العضلات المتحركة في الحديث ولا تحدث للجلجة في كل الأوقات بدرجة واحدة، فقد لا يلجلج الطفل وهو مع قرين له أو عندما يكون بمفرده، ولكنه يلجلج بشدة إذا كان مع آخرين يمثلون السلطة بالنسبة له، والجلجة وإن عدت اضطرابا سلوكيا فإنها تختلف عن الأشكال الأخرى من الاضطرابات الكلامية التي توجد لدى أطفال يكون ذكاؤهم دون المتوسط.

وتحويل الطفل الأعسر (يستخدم يده اليسرى) إلى الكتابة بيده اليمنى مدعاة لحدوث الجلجة في الكلام.

والأساس الذي اعتمده العلماء في هذا، أن المخ ينقسم إلى شطرين أو نصفين كما أوضحنا ذلك وتكون هذه السيطرة في النصف الكروي الأيمن للأشخاص الذين يكتبون باليد اليسرى. بينما تكون في الأشخاص الذين يكتبون باليد اليمنى في النصف الأيسر من المخ، فالعلاقة بين النصف الكروي في المخ وتفضيل استعمال يد على أخرى، علاقة عكسية منشؤها السيطرة الدماغية.

وبناء على هذا الفرض يقرر أصحاب هذا الموضع أن تحويل طفل أعسر إلى الكتابة باليد اليمنى ينتج منه شيء من التداخل في عمل كل من نصفي المخ، ويؤدي هذا التداخل إلى ازدياد سيطرة نصف المخ الأيسر فيتعادل شطرا المخ في السيطرة، وينتج من تعادلها اختلال يؤدي إلى اضطراب كلام الطفل. [66]ص(166)

وهذه النظرية لم تلق القبول والاتفاق من الباحثين المعنيين بهذه الظاهرة، نتيجة تعدد الأسباب المسؤولة أساسا عن وجود بعض الأطفال ممن يستخدمون يدهم اليسرى، وفي مقابل ذلك يركز بعض الباحثين على الربط بين حدوث الجلجة واختلال نظام العائد.

وفي كل الأحوال فإن العلاقة بين التنظيم العقلي لنصفي المخ وحدث الجلجة لا ينبغي أن تبنى على البيانات المستمدة فقط من تفضيل إحدى اليدين وقبل أن تقتنع بأن الجلجة هي نتيجة اضطراب في التنظيم العقلي فإننا بحاجة إلى دليل مباشر مستمد من الفروق الوظيفية بين نصفي المخ فيمن يتلجلجون أنفسهم. [66]ص(85)

فمن الدراسات التي قدمت أدلة تجربة على صحة المنظور الأول الدراسة التي استخدمت تقنية الاصتلا الثنائي حيث يبين أن 55% من البالغين الذين يتلجلجون تتميز فيهم الأذن اليسرى في الأداءات بالسمع الثنائي بينما وجد أن 25% فقط من المفحوصين الأسوياء تتميز فيهم الأذن اليمنى. [66]ص(86)

أما عن الرأي الذي يقول بأن إجبار الطفل على استعمال يده اليمنى يزيد من احتمال تعرض الطفل للجلجة فحتى هذه اللحظة لا نستطيع الإقرار -في ثقة- بأن التخصص الوظيفية لنصفي المخ يتعلق بمشكلة الجلجة، وفضلا عن ذلك فنحن لا ندري شيئا أيضا عن الفكرة القائلة بأن إبدال استخدام اليدين أثناء مراحل العمل المبكرة له آثار هامة على توزيع وظائف اللغة على نصفي المخ.

وقد يكون هناك صلة بين الجلجة ومسألة الضغط على الطفل لتغيير استخدام يديه، ولكن ذلك لا علاقة له بالمرّة بالتخصص الوظيفي لنصفي المخ، ذلك أن الضغوط النفسية تزيد لدى الطفل نتيجة لضغط الأبوين على أن يستخدم (الطفل) اليد التي لا يرتاح إلى استخدامها، هذا الضغط بدوره، ربما كان العامل الذي يرتبط ارتباطا عاليا بالجلجة، وتتعلق بهذه النقطة كذلك الملاحظة القائلة بأن نسبة الجلجة ليست أكثر ارتفاعا في بلد مثل الصين الشعبية عنها في بلاد أخرى، بالنظر إلى أن الصينيين يمارسون ضغوطا كبيرة على أبنائهم حتى يستخدمون أيديهم اليمنى، وهذا دليل يناقض الرأي القائل بوجود أساس عصبي للعلاقة بين "تغيير استعمال اليد وحدوث الجلجة، ويدعم في الوقت نفسه الرأي القائل بأنه إذا كانت هناك علاقة بين تغير استعمال اليدين وحدوث الجلجة، فإن هذه العلاقة نتيجة لعوامل سيكولوجية مختلفة هي التي تؤدي لتلك العوارض النيورولوجية.

2. المقولات البيوكيميائية المفسرة للجلجة

يذهب بعض الباحثين في مجال اضطرابات الكلام إلى القول بأن الحالات البيوكيميائية "Biochimie" كاضطرابات العمليات التي تتم على شكل "تفاعلات كيميائية" داخل الخلايا الحية لإنتاج الطاقة اللازمة للعمليات الحيوية إنما تعد عوامل مسببة للجلجة، ومن الباحثين من لا يستبعد مشاركة العوامل النفسية لتلك الاضطرابات البيوكيميائية إنما هي ناشئة في الأصل عن أسباب سيكولوجية، وهو ما تبين للباحثين باعتبار أن المسببات النفسية هي الأصل وراء هذه الاضطرابات العضوية المصاحبة للجلجة. [97]ص(132)

1.2. المقولات الوراثة المفسرة للجلجة

يرى أصحاب هذه المقولات أن الجلجة تعتبر نتيجة لعوامل وراثية إلا أن ذلك لم يثبت بدراسات الوراثة الحديثة نفسها والتي أكدت عدم وجود جين معين مسؤول عن إحداث الجلجة.

وبغض النظر عن التضارب الواضح بين نتائج الدراسات التي تحاول إثبات أساس نيورولوجي للجلجة إلا أن الدليل القاطع الذي يتضح فيها هو أن الجلجة اضطراب ناجم عن أسس وعوامل نفسية اجتماعية.

حيث يكون الفرد المتلجلج في حالة من التوقع غير الواقعي لعدم كفاءته أو التقييم السلبي من الآخرين أثناء كلامه فيبدأ في بذل محاولات لتمويه هذا النقص أو العجز المتوقع وهذه المحاولات تكون هي الأساس في حدوث مظاهر الجلجة، ويكون الفرد في صراع إقدام أو إحجام، حيث يكتسب كلا من الكلام ومحاوله تجنب الكلام قيمة إيجابية وأخرى سلبية، حيث يتوافر الدافع للكلام وفي نفس الوقت يتوافر دافع الصمت، وبذلك ينشأ التوتر والقلق. كما أن للمناخ الأسري جانب في هذا، فحرمان الطفل من الحب والحنان والأمن أو وجود إهمال ونبذ من أحد الوالدين للطفل من العوامل التي تؤدي إلى ضعف الأنا لدى الطفل وتولد لديه مشاعر النقص تلك التي توقعه في صراع أثناء كلامه يؤدي إلى توتره أثناء الكلام، كما أن تعرض الطفل في بداية حياته إلى اعتراضات من قبل الوالدين أو الكبار اتجاه حرية تعبيره عن مشاعره وأفكاره لفظيا قد تكون سبب في ترسيخ تلك المشاعر والأفكار السلبية التي تبعده عن الكلام فتسبب عدم طلاقته.

وإلى جانب هذا فإن التقليد يمثل عاملا هاما في اكتساب الأطفال لسلوك الجلجة فالطفل الصغير في مراحل نموه اللغوي الأولى يكون غير مدركا لمدى صحة أسلوب أو طريقة ما يتفوه به المحيطين سواء أقرانه أو والديه، وبالتالي يمكن أن يكتسب الطفل الجلجة من أحد المحيطين سواء أقرانه أو والديه، وبالتالي يمكن أن يكتسب الطفل الجلجة من أحد المحيطين المصابين بالجلجة.

3.التأثأة

هي اضطراب في تواتر وإيقاع الكلام بحبسات متقطعة، وتكرار تشنجي للأصوات والمقاطع والكلمات ووضعية أعضاء النطق. [99]ص(42)

كما عرفت الصحة العالمية بأنها اضطراب يصيب تواتر الكلام، حيث يعلم الفرد تماما ما سيقوله، ولكنه في لحظة ما يكون قادرا على قوله بسبب التكرار اللاإرادي أو الإطالة أو التوقف. . [99]ص(42)

وينظر إلى التأتأة على أنها مشكلة تواصلية متعددة الأبعاد ومفقدة فهي "مشكلة يمكن ملاحظتها بسهولة كما إن الشخص الذي يعاني التأتأة يعاني من مشاعر القلق والخجل والارتباك وسوء التكيف النفسي".

وتعرف التأتأة على أنها مجموعة السلوكيات الكلامية والمشاعر والمعتقدات ومفاهيم الذات والتفاعلات الاجتماعية.

والبعض يقرر أن التأتأة هي إبدال لبعض الحروف أو الأصوات بحروف وأصوات أخرى، فقد يبدل الطفل حرف السين بالثاء والغيب بالعين.

وتعتبر التأتأة إحدى الإعاقات اللفظية اللغوية الأكثر انتشارا سواء عند الأطفال المتدربين أو في مرحلة ما قبل التمدرس خاصة مرحلة ما قبل الدراسة، التي تعتبر مرحلة حساسة عند الطفل المرتبطة باستقلاله عن أمه، فلقد عرفت منذ القدم بأنها اضطراب لغوي صعب لأنه يعيق عملية التواصل اللغوي ويزداد في التعقيد كلما تقدم المتأثي في السن. قد حاول البعض تفسيرها على أنها اضطراب نفسي عصبي وحاول البعض الآخر إرجاعها إلى مرحلة الطفولة الأولى كما اعتبرها آخرون مشكل في التنسيق بين القدرات الإدراكية والقدرات العصبية الحركية.

في الحالات العادية عملية التكلم تخص استعمال مجموعة من الحركات العضلية بصفة متلازمة ومتناسقة كما تتطلب خاصة أن تكون منظمة بدقة في الزمن مع انسجامها والعملية التنفسية، وبالتالي الذي يحدث عند الشخص المتأثي هو إصابة في هذه العملية في تنظيمها وتنسيقها وتلازمها وبذلك تنشأ التأتأة عن غياب التنسيق الذي يظهر في الكلام.

1.3. أشكال التأتأة chronique

1.1.3. التأتأة التكرارية Bégalement chronique

يتميز هذا النوع من التأتأة بتكرارات وتوقفات لا إرادية تتجلى عموما في المقاطع الأولى من الكلمة الأولى في الجملة ويختلف عدد التكرارات حسب الحالات.

1.1.1.3. التأتأة الاختلاجية Bégalement tonic

يتجسد هذا النوع في الصعوبة التي يجدها المصاب في التكلم حيث يتوقف لمدة زمنية معتبرة قبل أن يتمكن من إصدار الكلمة بشكل انفجاري.

2.1.1.1.3. التأتأة التكرارية الاختلاجية Bégalement tonic . chronique

تتمثل في تواجد كلا النوعين السابقين عند شخص واحد فنلاحظ توقف تام متبوع بتكرارات متعددة أو مقاطع صوتية.

3.1.1.1.3. التأتأة بالكيف_ Bégaiement par inhibition

يتميز المصاب بهذا النوع من التأتأة بتوقف نهائي عن الحركة قبل التكلم ثم بعد مدة زمنية يتمكن من النطق يتوقف مرة أخرى سواء في وسط الجملة أو في بداية الجملة التي تليها.

3.1.1.1.4. الأعراض المصاحبة للتأتأة

عادة ما تكون التأتأة مصاحبة باضطرابات تنفسية حيث نلتبس عند المصاب بالتأتأة صعوبات في التنفس المصاحب للكلام تتمثل في غياب الشهيق أو قصر مدته الزمنية وكذلك في زفير متقطع أو انفجاري نجده خاصة قبل بداية التكلم أو أثناء التكلم بحيث هذه الاختلافات التنفسية تعيق سيولة الكلام العادية.

كما قد يصاحب التأتأة اضطرابات حركية، تتمثل في حركات تخص الجهاز الفمي والوجه وحتى باقي الأجزاء من الجسم لحركات الرأس واليدين أو الرجلين وكلما زادت حدة التأتأة كلما زادت وتعقدت الاضطرابات الحركية فمن الممكن أن تكون حركات غير طبيعية للسان أو الكفين أو الشفتين. [99]ص(42)

4. التلعثم

1.4. التلعثم في ضوء النظريات المفسرة له

يزخر ميدان علم أمراض الكلام بالعديد من المصطلحات والمفاهيم ومنها مفهوم التلعثم في الكلام، فعلى الرغم من أن بعض هذه المفاهيم كان مثارة للجدل والخلاف، بين الباحثين، فقد كان من الضروري الإشارة إلى مفهوم التلعثم.

لقد اختلف العلماء والباحثون حول تحديد مفهوم التلعثم وتحديد المصطلح العلمي له سواء (بالجلجة أو التهتهة أو...) إلا أنه يمكن القول إن هذا الاضطراب يتميز بالتوقف عن الكلام والإطالة والتكرار في المقاطع والكلمات ويصاحب ذلك بعض التقلصات في الوجه، وهذه التقلصات من الوسائل التي يحاول المتلعثم بواسطتها أن يساعد نفسه على بدء الكلام أو إخفاء اضطرابه في الكلام. [99]ص(44)

ولكن (تهتهة) تعني التردد في الكلام، وفي هذا المجال استخدم الباحثون كثيرا من المترادفات لهذه الكلمة باللغة العربية منها (جلجة، تلعثم، تأتأة، وفأفة، عقلة...) بالإضافة إلى مما سبق

فإن كلمة (تهتهة) هي كلمة دارجة وأصبحت تستخدم الآن في كافة أنواع الاضطرابات الكلامية للدلالة على التلعثم في الكلام. [100]ص(90)

وترجع محاولات تعريف التلعثم في الكلام إلى عصور ما قبل الميلاد، فقد ترجع إلى فترة محاولات "أرسطو" لتعريف اضطراب التلعثم على أنه فقدان القدرة على الاستمرار في الحديث.

أما حديثا فيعرفه العلماء بأنه اضطراب نفسي المنشأ وليس له أي أساس عضوي خاص بالأعضاء الكلامية، وعرفه آخرون بأنه اضطراب يرجع إلى تداخل شعوري في عملية النطق والكلام.

ويعرفها البعض الآخر بأنها اختلال يتميز باضطراب في إيقاع الكلام ويتضمن نطقا تشنجيا، ويعرف آخرون التلعثم على أنه استجابة توقعية وترقيبيه وإحجامية مفرطة في التوتر...

1.1.4. التلعثم من الناحية اللغوية

ورد مفهوم التلعثم في المعاجم العربية من خلال عدد ألفاظ تحمل معانيها مدلول الاضطراب نفسه في الدراسات الحالية وهي:

(التهتهة، التلعثم، الرتة، العقلة، التمتمة...)

ويلاحظ أن ثمة مصطلحات اختصت بوصف عيوب سياق الكلام، ومصطلحات أخرى تصف صاحب الكلام نفسه، هذا وقد وردت المعاني التالية لهذا الاضطراب.

التهتهة: التواء في اللسان.

التلعثم: الإبطاء بالجواب.

وفي القاموس المحيط نجد أن:

"لعثم" فيه لعثمة -وتلعثم- تمكث وتوقف وتأنى أو نكص عنه وتبصره

"في لسان العرب، أن "لعثم" تلعثم عن الأمر -نكل وتمكث وتأنى وقبل التلعثم الانتظار -وما

تلعثم عن شيء- أي ما توقف ولا تمكث ولا تردد، وقيل ما تلعثم -أي لم يبطئ بالجواب

ويقال سألته عن شيء فلم يتلعثم ولم يتمم ولم يتمرغ ولم يفكر- أي لم يتوقف حتى أجابني.

[1]ص(452)

وقيل الرتة والعقلة مترادفان لمعنى واحد على الرغم من أنهما يدلان على اضطرابين مختلفين من عيوب الكلام الملفوظ، ويشار إلى أنه في حالة الرتة -يظل الشخص الأوت يردد صوتا أو

مقطعا ترددا لا إراديا وعدم القدرة على نطق المقطع التالي، في حين أن العقلة يكاد يعجز

الفرد المصاب بها عن تلفظ المقطع إطلاقا.

فالتلعثم نوع من التردد والاضطراب في الكلام، حيث يردد المتلعثم حرفاً أو مقطعاً ترديداً لا إرادياً مع عدم القدرة على تجاوز الكلام بعد ذلك إلى المقطع التالية. ويرى آخرون أن التلعثم عبارة عن تكرارات سريعة أو إطالات في الأصوات والمقاطع اللفظية وقد يكون التكرار في الحروف الأولى من الكلمات وأحياناً ما يظهر في صورة وقفة (صمت) أو تعطل تدفق مجرى الكلام.

2.1.4. أعراض التلعثم

لا شك أن اضطراب الطفل المتلعثم في الكلام يسبب له حرجاً شديداً أو شعوراً مؤلماً بالضيق مما يدفعه إلى الانطواء والعزلة. ولكي يتجنب المتلعثم هذه المواقف نجده عند الكلام فإنه يتكلم ببطء أو بسرعة أحياناً مختصراً في الإجابة بنعم أو لا.. وقد يستخدم أعضاء جسده في التنفيس عما يريد مثل تحريك اليد أو الرأس...

ويستطيع الأطفال المتلعثمون الغناء والخطابة بطلاقة واضحة وبدون تلعثم في بعض الأوقات التي لا تشمل على ضغوطات وصراعات ومواقف انفعالية. [102]ص(134.137) وتتعدد خصائص وأعراض التلعثم لدى الأطفال وتظهر في صورة تكرار للكلمات أو جزء منها أو تكرار للأصوات، وكذلك تظهر في صورة إطالة للأصوات أو التوقف في الكلمات كما يصاحب هذا الاضطراب بعض الحركات في الوجه والشفاه ويبدأ المتلعثم في تجنب بعض المواقف والكلمات التي تسبب له التوتر والمجاهدة الجسمية. ويجب أن تأخذ في الاعتبار كمية التكرار أو المعاناة في كلام المتلعثم والتركيز على الأعراض التي تظهر في عضلات الوجه، وحركات الجسم واضطراب التنفس (اللهث)، والرمش الشديد للعينين واستخدام الصوت المرتفع.

وفي ضوء ما سبق نجد أن هناك أعراضاً تميز مشكلة التلعثم في الكلام عن غيرها من الاضطرابات الكلامية الأخرى تتراوح فيما بين الأعراض الحركية والنفسية. وتتمثل أعراض التلعثم الشديد في تكرار أكثر من مقطعي من المقاطع اللفظية، وكذلك تكرار أكثر من كلمتين ورفع أو تأرجح شدة الصوت مع التكرارات، والوقفات والاعتراضات والإطالة في الأصوات في حرف أو أكثر ودرجة وعي الطفل المتلعثم بعدم طلاقته في الكلام وهذه الأعراض قد تظهر وتختفي.

وتختلف أعراض التلعثم من موقف لآخر، وتشتد في مواقف الضغط النفسي مثل المقابلة لشغل وظيفة أو الحديث مع ذو السلطة... وفي معظم الحالات غالبا ما يختفي التلعثم في مواقف معينة

3.1.4. نظريات وأسباب التلعثم في الكلام

تشير الدراسات الطبية والنفسية والتربوية إلى أن أسباب التلعثم غير معروفة على وجه التحديد وتختلف بحسب الأعمار والبيئات، ومعظم هذه الأسباب ترجع إلى عوامل عضوية أو نفسية، وجميع هذه الأسباب متداخلة بعضها مع البعض الآخر، كما أن ثنائية اللغة وتعدد اللغات لدى الطفل يساعد على حدوث التلعثم كما يشير بعض العلماء إلى وجود علاقة ارتباطية بين التأخر اللغوي وظهور التلعثم لدى الأطفال. [100]ص(90) وهكذا يختلف الباحثون في تحديد الأسباب التي تؤدي إلى التلعثم فمنهم من يرجعها أسباب فسيولوجية ومنهم من يرجعها إلى أسباب عصبية ومنهم من يرجعها إلى أسباب فسيولوجية، ومنهم من يرجعها إلى إصابة جزء من المخ أو إلى تغيرات كيميائية وأساليب التنشئة الخاطئة. ونجد أن الباحثين اليوم يتفقون على دور المؤثرات الوراثية والعوامل البيئية والنفسية في إحداث التلعثم لدى الأطفال، ويتأثر الطفل المتلعثم بالمعاملة التي يتلقاها من حوله وخاصة من جانب الآباء والأمهات.

وهكذا اعتبر الباحثون في مجال علم النفس وعلم أمراض الكلام مشكلة التلعثم لا تزال لغزا محيرا ومحورا للجدل والخلاف خاصة فيما يتعلق بالأسباب. [64]ص(65)

4.1.4. نظريات التلعثم

على الرغم من توافر كثير من المعلومات حول مشكلة التلعثم، إلا أن تقييم التلعثم إلى نظريات لتفسيره يعد عملية صعبة نظرا للتداخل الكبير فيما بينها، وفيما يلي عرض موجز لأهم النظريات التي تفسر مشكلة التلعثم في الكلام.

5.1.4. النظريات الوراثية

يفسر أصحاب الاتجاه الوراثي التلعثم على أساس استعداد وراثي يجعل صاحبه معرضا للإصابة بالتلعثم، خاصة إذا واجه مواقف وصدمات نفسية حادة إلا أن المحتمل حتى الآن أن الوراثة عامل مهم وليس عاملا مسببا في التلعثم. [103]ص(335)

1. أعراض التلعثم

يسبب اضطراب التلعثم عند الطفل حرجا شديدا أو شعورا بالضييق مما يدفعه إلى الانطواء والعزلة عن أقرانه.

ولكي يتجنب هذه المواقف نجده عند الكلام يبطئ في كلامه أو يسرع في إخراج الحروف أو نجده يختصر كلامه بنعم أولا.. وقد يستخدم أعضاء جسده في التنفيس عما يريد مثل تحريك الرأس واليدين...

وتتعدد خصائص وأعراض التلعثم لدى الأطفال وتظهر في صورة تكرار للكلمات أو جزءا منها، أو تكرار الأصوات.

كما تظهر في صورة إطالة للأصوات أو الوقفات في الكلمات كما يصاحب اضطراب التلعثم في الكلام بعض الحركات في الوجه والشفاه. [102]ص(134)

وفي ضوء ما سبق نجد أن هناك أعراضا تميز مشكلة التلعثم في الكلام عن غيرها من الاضطرابات الكلامية الأخرى تتراوح بين الأعراض النفسية والحركية.

وتتمثل أعراض التلعثم الشديد في تكرار أكثر من مقطعين من المقاطع اللفظية وكذلك تكرار أكثر من كلمتين ورفع أو تأرجح شدة الصوت، مع التكرارات، والوقفات الاعتراضات والإطالة في الأصوات في حرف أو أكثر وهذه الأعراض قد تظهر وتختفي.

وتختلف أعراض التلعثم من موقف لآخر وتشتد في مواقف الضغط النفسي مثل المقابلات أو الحديث مع ذوي السلطة، وفي معظم الحالات غالبا ما تختفي خاصة عند القراءة الشفوية أو الغناء...

ومن خلال ما سبق يمكن عرض الأعراض والخصائص بإيجاز على النحو التالي

1.1. التكرار répétition

ويقصد به تكرار المقاطع أو الحروف أو الكلمات، حيث يقوم المتلعثم بتكرار كلمة بأكملها أو جملة ويلاحظ وجود التكرار لدى جميع المتلعثمين بدون استثناء، ومعظم التكرارات تحدث بصورة لا إرادية.

وقد بعض العلماء إلى أنه من الأعراض أن يكرر المتلعثم الجملة كاملة أو الكلمات كلها ويصاحب ذلك جهد وتوتر وهي من أخطر أعراض التلعثم.

1.1.1. الإطالة prolongation

وهي محاولة من جانب المتلعثم لإطالة نطق المقاطع والكلمات ويظهر ذلك بوضوح في إطالة الأصوات خاصة الحروف الساكنة وهذا من أهم ما يميز كلام المتلعثم وهو يظهر لدى غالبية المتلعثمين في صورة إطالة للصوت.

2.1.1. الوقفات

ويقصد بالتوقف أو الامتناع عن الكلام عدم قدرة المتلعثم على إنتاج الصوت إطلاقاً رغم المجاهدة والمعاناة الكبيرة في إخراج الكلام، وذلك نتيجة انسداد في مكان ما بالحبلين الصوتيين، مع التوقف أثناء الكلام مثل التعبير بهزة مفاجئة للرأس أو الذراعين، ويطلق على هذه "الأنماط" التوقف، وفي حقيقة الأمر يعتبر المتلعثم هو المسؤول الرئيس عن حدوث هذه الوقفات ولكن بطريقة لا إرادية. [104]ص(34)

وجدير بالذكر أنه لا يوجد دليل قاطع على أن سبب التلعثم ورثي بحت، وإنما تشير النتائج التي جاءت بها الدراسات والبحوث إلى التفاعل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية كسبب من أسباب التلعثم في الكلام. [105]ص(58)

وحول تفسير أسباب التلعثم لا بد من ذكر أسباب ظهور بحدث العوامل الوراثية لا تعد عن كونها عوامل ممهدة للإصابة بالتلعثم وبحدوث يصعب الفصل بين دور العوامل الوراثية والبيئية في إحداث التلعثم. [105]ص(58)

3.1.1. النظريات العضوية

قد يتلعثم الطفل في الكلام نتيجة نقص أو خلل في الجهاز العصبي المركزي أو إصابة المراكز الكلامية في المخ، كما أن الشفة الشرماء، والشق الحلقى وأي عيوب في الأسنان واللسان والتجويف الفمي من شأنها أن تساعد في حدوث التلعثم في الكلام. [106]ص(63)

وعلى هذا الأساس يمكن تفسير مشكلة التلعثم في ضوء النظريات العضوية كالنظرية البيوكيميائية والنظرية إخراج الصوت ونظرية دورة ألفا المستثارة. [107]ص(167)

يبدو أن إسناد السبب في القصور اللغوي إلى المخ له ما يبرره فالمخ لدى الإنسان مزود بما يسمى مناطق الترابط، وهي المناطق التي تربط بين مراكز الإحساس للبصر والسمع واللمس معا.

وتتركز الروابط المسؤولة عن وظائف الكلام في أحد شقي المخ فقط، الشق الأيسر عادة حيث توجد التركيبات الترابطية المتخصصة التي تقوم بالتحويل الضروري للإشارات البصرية والسمعية إلى تكوينات لفظية.

وإذا كان للكلام أساس بيولوجي لزم أن تكون هناك علاقة ما بين النمو اللغوي وما النضج الفسيولوجي، وتبين القائمة التالية كيف يسير التتابع في النمو اللغوي موازيا لتتابع مظاهر النمو الحركي، مما يوحي بوجود عملية نضج فسيولوجي بالفعل لهذا التتابع الموازي ومسؤولية عنه.

ولا يعني الارتباط بين النمو اللغوي والنمو الحركي -بالطبع- وجود أي علاقة سببية بين العمليتين، فاكتمال اللغة مستقل تماما عن القدرة على إخراج الألفاظ، تلك القدرة التي تعتمد بدورها على الضبط الحركي، ذلك أن الأطفال في مرحلة مبكرة مثلا يقومون بإصدار أصوات وأنغام شبيهة بالكلام.

ومعنى ذلك أنهم يكونون من الناحية الفسيولوجية مؤهلين تماما للنطق بالجمل، ومع ذلك فإن قيام هؤلاء الأطفال بالكلام فعلا لا يبدأ إلا بمضي فترة طويلة على هذه المرحلة. ومن ناحية أخرى فإن الأطفال الصم البكم يكون في استطاعتهم مع ذلك أن يكتسبوا اللغة المكتوبة واللغة الإشارية.

ويؤكد وجود عملية نضج فسيولوجية كأساس للنمو اللغوي ذلك التتابع المنتظم والمحدد لمراحل ذلك النمو حتى بالنسبة للأطفال المعاقين من فاقد السمع والبصر، وكذلك المتخلفين بشكل عام. [108]ص(99)

4.1.1. النظريات النفسية

يرى بعض الباحثين في أن التلعثم حالة عصابية بسبب الصراع النفسي وعوامل الحرمان العاطفي ويرى البعض أن التلعثم عرض سيكوسوماتي، وقد يرجع إلى كبت الميول العدوانية، وهناك تفسير يرى أن التلعثم حالة من حالات الاستدخال أو التوحد، وشكل من أشكال التطابق الهستيري ويرى آخرون أن التلعثم بمثابة عرض هستيري تحويلي، وهناك من يفسر التلعثم نكوص إلى مراحل الطفولة. [108]ص(187)

وعلى الرغم من أن الإكلينيكيين وغيرهم قد اعتبروا أن القلق مرتبط بالتلعثم وأنه سبب له أو أنه رد انفعالي أثناء كلام المتلعثم، إلا أن العلاقة بين التلعثم والقلق لا تزال محل خلاف وجدل بين الباحثين. [108]ص(187)

كما نشير إلى وجود أعراض القلق والاكتئاب لدى المتلعثمين بالمقارنة بغير المتلعثمين، ولكن هذا الاختلاف لا يظهر في حالات التلعثم الشديد. [108]ص(188)

وتمثل نظرية "التعلم" مجموعة أخرى من النظريات التي وضعت لتفسير التلعثم لأن العديد من أعراض وخصائص التلعثم توضح أثر التعلم مثل الخوف من الكلام في مواقف معينة، أو

الخوف من استخدام كلمات محددة، فالتلثم طبقا لهذا المنظور السلوكي عبارة عن سلوك مكتسب عن طريق محاكاة أو تقليد الآخرين، أو عن طريق تعزيز مواقف التلثم لدى الأطفال من خلال الآباء [مواقف الضرب والقسوة والحرمان] مما يؤدي إلى التلثم في الكلام عند المواجهة كشكل من أشكال التوافق خوفا من العقاب. [109]ص(176)

هكذا تؤكد معظم الدراسات على أن التلثم استجابة متعلمة في بعض الأحيان نتيجة للضغط الانفعالية والمؤثرات البيئية، وهنا يظهر العامل النفسي كدليل على سوء التوافق الاجتماعي والانفعالي، فالتكرار أو الإطالة في الكلام نتيجة للانفعالات السلبية لذلك يحاول العلماء إضعاف وخفض الانفعالات عند تصميم برنامج علاجي لخفض التلثم [110]ص(59)

وفي ضوء ما سبق نلاحظ مدى تعدد وتداخل الأسباب النفسية التي تكمن وراء مشكلة التلثم في الكلام، خاصة فيما يتعلق بالإحباط والتوتر والخوف والعدوان والصدمات النفسية المفاجئة، لذلك تعددت التفسيرات النفسية لهذه المشكلة من جانب علماء التحليل النفسي ومن جانب أنصار نظريات التعلم والمنظور السلوكي، وفسر كل اتجاه التلثم حسب مبادئه النظرية، ومن ثم نجد أن جميع الاتجاهات والنظريات تبحث في شيء واحد وهو الكف عن أسباب ومصادر التلثم في الكلام

5.1.1. النظريات الاجتماعية والبيئية

إن عملية النطق عبارة عن نشاط اجتماعي يصدر عن الفرد، ومن ثم فالكلام بمثابة أداة استقلال وتوسيع لدائرة التعامل مع الآخرين، ومن هنا تظهر ضرورة دراسة النظريات الاجتماعية والبيئية لمعرفة دورها في إحداث مشكلة التلثم في الكلام، على أساس أن كثيرا من مظاهر التوافق والاضطراب ترجع إلى نوع العلاقات والتفاعلات الوالدية داخل المحيط الأسري.

كما أن تعدد النظريات والأسباب التي تفسر سلوكا معيناً قد يسبب نوعاً من الاضطراب والتداخل، ولكنها قابلة للفهم والتفسير، وهكذا نجد بعض الباحثين يركزون على دور العوامل الاجتماعية والبيئية والمحيط في إحداث التلثم في الكلام.

6.1.1. النظرية المركبة

لا توجد نظرية واحدة لاقت إجماعاً من جانب الباحثين لتفسير التلثم في الكلام ويقترح بعض المتخصصين أن اضطراب التلثم مشكلة مركبة نتيجة التفاعل بين العديد من العوامل

والنظريات النفسية ونظريات التعلم، في حين أن هناك اتجاها يرى أن التلعثم نتيجة التفاعل بين النظريات النفسية والنظريات الاجتماعية البيئية.

وفي ضوء النظرية المركبة نجد أن التلعثم هو حاصل مجموع وتفاعل النظريات العضوية والنفسية والاجتماعية/البيئية، وتؤكد هذه النظرية على عدم وجود نظرية محددة بعينها لتفسر مشكلة التلعثم في الكلام، وذلك على أساس أن هذه المشكلة تمثل وحدة نتيجة عوامل متعددة ومتداخلة، وأن الاعتماد على نظرية بمفردها في تفسير التلعثم يبقى محل جدل بين العلماء، وذلك على أساس أن هذه المشكلة تمثل وحدة متجانسة، نتيجة عوامل متعددة ومتداخلة وأن الاعتماد على نظرية بمفردها في تفسير التلعثم يضع الباحثين في دائرة التحيز وعدم الإلمام بالجوانب المختلفة لهذه المشكلة وهكذا تظل مشكلة التلعثم مثار جدل وخلاف بين أنصار النظريات المختلفة مما يؤكد أنها لا تزال لغزا محيرا في المجال الطبي والنفسي والتربوي. وأيا ما كانت الأسباب التي تقف وراء التلعثم ، كاضطراب كلامي، فن المهم أنها من العيوب الكلامية التي يمكن علاجها بأساليب مختلفة من أهمها العلاج السلوكي.

7.الثأثة

الثأثة أو "اللدغ" أو لكنة حرف السين من أكثر عيوب النطق انتشارا بين الأطفال، وهي تلاحظ بكثرة ما بين سن الخامسة والسابعة، أي في مرحلة إبدال الأسنان، وأهم ما يميز هذا العيب هو إحلال الصوت الخاص بحرف آخر، ومن أكثر الأشكال انتشارا إحلال حرف الـ ث محل حرف الـ س.

والثأثة: لغة: بمعنى حبس، ثأث الرجل عن الأمر، والثأثة الحبس. [66]ص(157) ومن أبرز أسباب هذا العيب الكلامي نجد أن تشوه الفك أو الأسنان أو الشفاه أي عدم انتظام الأسنان من ناحية تكوينها الحجمي، كبيرا أو صغرا، أو من القرب والبعد أو تطابقها وخاصة في حالة الأضرار الطاحنة والأسنان القاطعة فيجعل تقابلها صعبا. ويعتبر هذا العيب العضوي التكويني على اختلاف صورته من أهم العوامل التي سبب الثأثة في أغلب الحالات.

وقد تكون الثأثة نتيجة لعوامل وظيفية بحتة مثل التقليد، حيث نجد أن هناك بعض أفراد الأسرة يعانون من هذا العيب، كما أن هناك عوامل نفسية تؤدي إلى الثأثة وتسمى الثأثة هنا بالثأثة (neurotique).

وللثأثة أشكال عدة منها إبدال حرف السين ثاء، ونجد أن سبب الغنة في هذه الحالات يرجع إلى إبراز طرف اللسان خارج الفم متخذا طريقه بين الأسنان الأمامية وتأخذ عملية الإبدال في

حالات أخرى شكلا آخر حيث تقلب السين شيئا، وسبب الغنة في ذا النوع إنما يرجع إلى تيار الهواء الذي يمر في تجويف ضيق بين اللسان وسقف الحلق في حالة نطق حرف (السين) وهو الوضع الطبيعي لإحداث هذا الصوت.

فينتشر تيار الهواء على جانبي اللسان، إما لعدم القدرة على التحكم في حركات اللسان أو لسبب آخر من الأسباب التي ترجع للناحية التشريحية في تكوين هذا العضو. ونجد أنه في حالات كثيرة يرجع العيب إلى نوع من "الطفيلية" حيث يواصل الطفل الكلام بهذه الطريقة لاعتقاده بأن ذلك يجد استحسانا من الآخرين ويجعله محل إعجابهم أو يثير ضحكهم واعتقادهم بأنه طفل خفيف الظل... وهنا يمكن أن نجد أن البالغين أنفسهم يقلدون الطفل ولا يصححونه وبالتالي يعطونه مثالا سيئا للتقليد. [68]ص(165)

8. اضطرابات الصوت

يطلق على مجموعة الاضطرابات التي تتعلق بشدة الصوت أو حدته أو مداه ورنينه اسم الأفونيا/الديسفونيا، حيث أوضح الباحثون أن هذه الاضطرابات ترجع إلى قصور الجهاز الصوتي وتجويف الرنين -الذي أشرنا إليه سابقا- مما يترتب عليه أصوات شاذة في المعتاد يؤدي إلى مشكلات نفسية أثناء التواصل مع الآخرين ومن هذه الاضطرابات:

أ - اضطرابات شدة الصوت:

حيث يظهر فيها الصوت مرتفع أو منخفض أكثر من اللازم، فإما أن يكون الصوت مرتفعا مزعجا ولا يتناسب مع عمر أو جنس المتحدث، أو يكون منخفضا بشكل لا يتحقق معه توصيل الرسالة الاتصالية، ويكون ذلك ناتجا عن عدة عوامل منها العضوية (كالتهاب الحنجرة والالتهاب الرئوي)، أو العلل السمعية أو التهاب التجويف الرئوي وغيرها، ومنها النفسية (كالخوف والقلق وغير ذلك...).

وهناك ثلاث مشكلات شائعة لاضطراب شدة الصوت:

- 1) فالصوت قد يكون عاليا.
- 2) أو يكون ضعيفا.
- 3) أو قد لا يكون هناك صوت على الإطلاق، وهي حالة معروفة باسم الأفونيا أو فقدان الصوت.

فالأشخاص الذين يعانون فقدان للسمع نتيجة مشكلات في الأذن الداخلية أو في المسار العصبي من الأذن إلى المخ، هؤلاء الأشخاص غالبا ما يتحدثون بصوت مرتفع جدا لأن لديهم صعوبة في سماع كلامهم.

أو يعملون في مهن معينة تتطلب أن يكون صوتهم أعلى من العادي مثل (التدريس) أو (الوعظ)، والصوت العالي يثير إزعاجا للمتسمعين وكذلك قد يحدث مرضا لأعضاء التلغظ مثل عقدة اللسان أو ورم الغشاء المخاطي أو الحنجرة (الصوت المبحوح).

وأحيانا م يتحدث أفراد بشكل خفيض تماما لأن لديهم فقدان سمع مرتبط بمشكلات في الأذن الوسطى أو الخارجية والتي تجعلهم يحكمون على أصواتهم أنها أعلى مما هي في الواقع فعلا. ويمكننا أن نفهم هذه الحالة إذا ما غطينا آذاننا واستمعنا لأنفسنا ونحن نتحدث، وكما سبق أن قلنا أن الصوت العالي جدا أو الخفيض جدا قد يمدنا بشيء من الاستبصار بشخصية المتحدث فإن بعض الأشخاص الخجولين المنسحبين أو غير الشاعرين بالأمان أو الذين يشعرون بالدونية (النقص) فقد يتحدثون بصوت ضعيف خفيض وقد يكون الصوت الضعيف هو عرض لحالة جسمانية مثل شلل جزئي في أعضاء التلغظ.

أما المشكلة الحقيقية فهي فقدان الصوت (aphonie) فالمتحدث قد لا يكون لديه صوت على الإطلاق إذا ما كانت أعضاء التلغظ مصابة بالشلل.

والأفونيا ليست جسمية بل هي نفسية أو انفعالية، وحينما يكون فقدان الصوت واحتباسه نتيجة صدمة انفعالية، فإنها تسمى بفقدان الصوت الهستيرى، وفيها لا توجد إصابة جسمية بالحنجرة، ولكن المتحدث لا ينتج الصوت لأنه يعتقد أنه غير قادر على إحداث الصوت.

وقد يكون علاج مثل هؤلاء المرضى معقدا، لأن المشكلة في الصوت هي عرضية لمشكلة نفسية.

إذ أن هذه الاضطرابات ترجع إلى قصور في وظائف الجهاز الصوتي وتجويف الرنين، مما يترتب عليه أصوات شاذة عن المعتاد يؤدي إلى مشكلات نفسية أثناء التواصل مع الآخرين ومن هذه الاضطرابات.

1.8. اضطرابات نوعية التلغظ

ليس هناك إجماع واتفاق حول اضطرابات نوعية الصوت، لأنه من الصعوبة أن نجد مصطلحات تصفها، ومن المستحيل أن تصوغ تعريفات لهذه المصطلحات تكون مقبولة لدى جميع الخبراء والمتخصصين.

ويمكننا أن نتفق أن اضطرابات نوعية الصوت هي نتيجة مشكلات في رنين الصوت أو الحنجرة، فحينما يضرب الرنين فإن ذلك يكون من جراء أن هناك أنفية (أي صوت أنفي) زائدة أو أنفسية قليلة غير كافية لإحداث رنين الصوت.

إن اضطرابات نوعية الصوت المرتبطة بالحنجرة تحدث حالات من الخشونة أو الصوت الأحبش الغليظ، أو اللهاء (صوت أنفاسي متهدج، أو بحة في الصوت أو تجمع كل هذه الحالات).

وغالبا ما تكون الأنفية الزائدة شائعة لدى المرضى ذوي الشق الخلفي في سقف الفم، فإذا ما كان سقف الحلق مشقوق، فإنه من الصعب أو المستحيل أن يحدث إغلاقا محكم لفتحة الحنجرة العليا (البلعوم) لإيقاف انسياب الهواء عبر فتحات الأنف، فإن فتحات الأنف تتزامن مع فتحة الفم بالنسبة لحروف مثل (الميم والنون).

فإذا ما كان المتكلم لا يستطيع أن يقوم بإغلاق تام لفتحة الحنجرة العليا فإن كل الأصوات التي يحدثها ستكون أنفية الرنين (أي تخرج من أنفه).

وبعض المتكلمين تكون لديهم أنفية زائدة ليس بسبب شقوق في سقف الفم ولكن لأن لديهم شقوق قصيرة ولاديا لا توفر لهم حجم كافي من النسيج لإحكام غلق البلعوم (فتحة الحنجرة العليا) وقد يكون الصوت أنفي نتيجة التقليد، فالطفل قد يكتسب ذلك الصوت الأنفي نظرا لتقليد أحد والديه ويظل ذلك صاحبا له حتى مرحلة الرشد.

أما الأنفية القليلة فهي أقل شيوعا، فالأشخاص لا يحدثون حروفا أنفية النوع مثل الميم والنون، وبعض الأسباب قد تظل فتحة الحنجرة مغلقة طوال الوقت وقد يحدث هذا بسبب الزوائد الأنفية غير المتسعة أو كنتيجة شدة الحساسية التي تسبب التورم في الأنسجة في البلعوم، فقد تكون اللهاء (لسان المزمار) في وضع منخفض بسبب ...

وقد يوصف الصوت بأنه (لاهث) متهدج حينما تخرج كمية كبيرة من الهواء أثناء التصويت phonation، وقد يتعلم بعض الأشخاص أن يتكلموا بصوت لاهث من خلال التقليد، أو بسبب أنهم يفضلون الصوت المتهدج والذي من خصائصه أنه إغرائي لدى النساء.

أما الصوت الأجش (الغليظ) فقد يحدث نتيجة استخدام مستويات عالية النغم غير ملائمة، وغالبا ما يكون أصحاب هذا الصوت يعملون في بيئات صافية، أو يعملون في مهن تتطلب منهم أن يكونوا غلاظ الأصوات.

1.1.8. أسباب اضطرابات الصوت

هناك عاملين رئيسيين يلعبان دوراً مهماً في الإصابة باضطرابات الصوت ، هما :

1.1.1.8. المشكلات المرتبطة بالعوامل العضوية

إن العديد من اضطرابات الصوت تحدث نتيجة مشكلات عضوية ، وعلاج هذه المشكلات عادة يكون مسئولية الأطباء المتخصصين ، ولذلك عندما يأتي شخص مصاب بأحد

اضطرابات الصوت للأخصائي لطلب العلاج ، يجب عليه أن يعرف أسباب ذلك الاضطراب ، وهل يحوّل المريض إلي أحد الأطباء المتخصصين أم لا ؟ أم وذلك قبل أن يقدم له أي علاج .

ومن بين الأمراض التي تسبب اضطرابات الصوت:

الشبكة الحنجرية: تشير تلك الحالة إلى وجود غشاء يمتد بين الأوتار الصوتية ، وقد يكون هذا الغشاء ولادياً أو ناتجاً عن بعض أنواع الحقن أو العمليات الجراحية . ومن الممكن أن يختلف هذا الغشاء في الحجم من نسيج صغير إلي غشاء يغلق لسان المزمار تماماً ، وعندما يكون هذا الغشاء سميكاً فإنه يعوق عملية التنفس ويتطلب التدخل الجراحي السريع ، إذ قد يؤدي إلى اختناق الوليد ووفاته إذا كان الغشاء ولادياً ، أما عندما يكون الغشاء أقل سمكاً فإنه قد يؤدي إلي احتباس الصوت ، فنجد الطفل عندما يحاول الكلام فإن صوته قد يكون أجش أو يكون أعلى من الطبيعي ، ويتطلب علاج هذه الحالة اشتراك كل من طبيب الحنجرة وأخصائي التخاطب في وضع خطة العلاج [111]ص(65).

شلل الأوتار الصوتية: في هذه الحالة تتعرض الأعصاب المحركة للأوتار الصوتية للشلل ، وعدم القدرة على ممارسة وظيفتها. ونادراً ما يكون سبب شلل الأوتار الصوتية إصابة مركز الصوت الدماغي، وأحياناً يكون السبب نتيجة إصابة الأوتار الصوتية بالتهابات الفيروسية، وفي هذه الحالة يمكن الشفاء التام خلال ستة أشهر. ولكن في معظم الأحيان يكون سبب الشلل هو إصابة العصب المحيط بالحنجرة، وقد يكون هذا بسبب تضخم في الأذنين الأيسر نتيجة ضيق في الصمام الإكليلي، أو نتيجة سرطان في القصبة الهوائية، وقد يكون أحياناً بسبب ندبة في قمة الرئة ناتجة عن تدرن رئوي، أو يمكن أن يكون أيضاً نتيجة تضخم في الغدة الدرقية نتيجة الإصابة بسرطان الغدة [111]ص(66).

الإصابات والحوادث

قد تتمزق غضاريف الحنجرة أو تصاب الأوتار الصوتية أثناء إجراء العمليات الجراحية بالحنجرة، أو أثناء استخدام المنظار لفحص الجهاز التنفسي، أو الأوتار الصوتية، أو أثناء استئصال لحمية من الأوتار الصوتية. وقد تحدث إصابة الحنجرة من الخارج نتيجة الحوادث أو الضرب أثناء العراك أو في مباريات الملاكمة.. الخ . وكذلك دخول جسم غريب إلى الحنجرة؛ مثل الطعام أو الألعاب الصغيرة التي قد يبتلعها الطفل، أو انزلاق الأسنان الصناعية إلى الحنجرة. إن آلية سقوط الجسم الغريب مرتبطة بالشهيق المفاجئ الذي يصادف أحياناً في حالة الرعب أو الضحك أو البكاء و ينجرف الجسم الغريب مع التيار الهوائي

للحنجرة ؛ وإما أن يتوقف في الحنجرة ، أو يتابع طريقه الي الرغامى أو القصبات. ويعاني المريض بعدها من الشعور بالاختناق و السعال التشنجي الي أن يعتاد المريض عليه ، وتحدث نوبة السعال و التشنج عندما يحدث تغير في وضعية الجسم الغريب .
أمراض وهن وضعف الحنجرة :

قد تؤدي إصابة الفرد بالأنيميا إلى ضعف انقباض العضلات مما يؤدي إلى غلق لسان المزمار بشكل غير كامل ، وينتج هذا الاضطراب عن ضعف تزويد العضلات وباقي أجزاء الجسم بالكمية الكافية من الدم . إن الأشخاص شديدي الوهن والضعف تتعكس حالتهم على أصواتهم فيبدو ضعيفاً ، الأمر الذي يحدث إما نتيجة عدم غلق لسان المزمار أو الاقتراب البسيط بين الأوتار الصوتية أثناء الاهتزاز .[111]ص(66).
(أ) الأورام

إن أول ما يرد في الذهن عند التفكير في آفات الأوتار الصوتية هو إصابتها بالأورام . ولكن ما هو الورم ؟ إن كلمة ورم تحمل الكثير من المعاني فيتم تعريفها بأنها نسيج غريب ينمو بشكل أسرع من الطبيعي ويستمر في النمو بعد توقف المثير الذي يثيره .
أما درجة الورم فلها علاقة بالمكان التشريحي للإصابة ووجود العقد الانتقالية في العنق و الانتقالات البعيدة . ومن المعلوم أن هناك نوعين من الأورام ، هما : الأورام الحميدة ، والأورام خبيثة. فأما الورم الحميد هو الذي لا يعزو ولا يدمر النسيج الطبيعي المجاور له . بينما الورم الخبيث فهو القادر علي غزو الأنسجة المحيطة ويؤدي إلي انبثاقه وانتشاره ؛ مما قد يتسبب في وفاة الشخص المريض ما لم يتم علاجه بشكل مناسب وتنتشر الأورام الخبيثة في الحنجرة عند الرجال أكثر منها عند النساء .[111]ص(68).
(ب) التهابات الحنجرة:

قد يصاب الصغار أو الكبار بالتهابات تؤثر على الأوتار الصوتية فتغير شكلها، وتصبح محتقنة حمراء، ومستديرة و تتورم الأنسجة المحيطة بها، وكلها تؤثر على عملية إنتاج أصوات الكلام و نطقها. وقد تكون هذه الالتهابات حادة نتيجة إصابة الصغار بأمراض فيروسية أو ميكروبية مثل الدفتريا. بينما قد ترجع لسوء استخدام الصوت لدى الكبار ؛ التي قد تحول هذه الالتهابات من حادة إلى مزمنة . وقد تؤدي هذه الحالة إلى ارتخاء الأوتار الصوتية، وشعور المريض بحرقات واستثارة في الحنجرة، وقد يجد صعوبة في الكلام وربما يفضل الامتناع عنه .[111]ص(68).

2.8. المشكلات المرتبطة بالعوامل النفسية

إن احتباس الصوت قد يحدث عندما لا يرغب الشخص في التحدث ، يرتبط احتباس الصوت وغلظته اللاعضوية بشدة وبشكل لاإرادي بالضغط والقلق اللذان يتعرض لهما الفرد. إن المشكلات الانفعالية التي ترتبط بالمواقف المنزلية أو العملية أو المدرسية قد تؤثر على وظيفة الحنجرة ومن ثم إعاقة الصوت .

وهناك العديد من الأمثلة التي تسبب فيها أمراض الحنجرة احتباس في الصوت والتي تبدأ بعد إعاقة الوظيفة البيولوجية بشكل كامل ، ومن المحتمل أيضاً أن يلعب احتباس الصوت دور الحماية والوقاية في حياة بعض الأفراد ؛ وبالتالي تطول احتباس الصوت لديهم . إن غلظة الصوت التي تعود إلى أسباب نفسية تشير إلى اهتزاز الأوتار الصوتية دون أن تغلق ، وقد يرتبط ذلك بالمحيط المنزلي أو محيط العمل الذي يتطلب أصوات كثيرة ، إن هذا النمط من التحدث من الممكن أن يصبح بسهولة عادة [111]ص(69)..

وهناك شكل آخر من غلظة الصوت النفسية يحدث عندما تتجمع الأوتار الصوتية بطريقة محكمة بدرجة لا تهتز معها بشكل طبيعي ، وعندما يحدث زيادة في الابتعاد فإن الصوت قد يصبح أجش ومنخفض الدرجة . إن الصوت الأجش هو الذي يعرف بالصوت الغليظ ، إن الأشكال المختلفة للصوت الأجش ترتبط بزيادة غلق لسان المزمار وتعرف بغلظة الصوت مفرطة التوظيف .

1.2.8. اضطرابات النطق

يعرف العلماء اضطرابات النطق بأنها " تلك العملية التي يتم من خلالها التركيز على خلل في عملية وطريقة لفظ الأصوات وتشكيلها أو إصدار الأصوات بشكل صحيح في حين يعرفها الآخرون بأنها مشكلة أو صعوبة في إصدار الصوت اللازم للكلام، بطريقة صحيحة وتحدث عيوب النطق عادة في الأصوات الساكنة والمتحركة كما يمكن أن تشمل بعض الأصوات في أي موضع من الكلمة.

وعرف آخرون اضطرابات النطق أيضاً بأنه ذلك الاضطراب الذي يحدث نتيجة وجود أخطاء في إخراج أصوات الحروف من مخرجها الصحيحة ، وتختلف درجات اضطراب النطق من مجرد اللثغة البسيطة إلى الاضطراب الحاد حيث يخرج الكلام غير مفهوم نتيجة الحذف والإبدال والإضافة.... [111]ص(75).

1. أو الديزلاليا الجزئية

يطلق المختصون في مجال اضطرابات التخاطب المصطلح ديزلاليا جزئية على كل كلام يكون في شكله العام واضحا عدا عيب أو أكثر في طريقة نطق بعض الحروف، سواء كان هذا الحذف مس حرفا أو أكثر من الكلمة كقول الطفل (كلت) بدلا من (أكلت). فالطفل ينطق الكلمة منقوصة من حرف أو أكثر، ومن ثم ينطق جزءا من الكلمة فقط فيصبح في هذه الحالة كلام الطفل غير مفهوم على الإطلاق حتى بالنسبة للأشخاص الذين يألّفون الاستماع إليه كالوالدين وغيرهم، تميل عيوب الحذف لأن تحدث لدى الأطفال الصغار بشكل أكثر شيوعا مما هو ملاحظ بين الأطفال الأكبر سنا وذلك تميل هذه العيوب إلى الظهور في نطق الحروف الساكنة التي تقع في نهاية الكلمة أكثر مما تظهر في الحروف الساكنة في بداية الكلمة أو في وسطها.

1.1. الإبدال

الإبدال في النطق يقصد به إبدال حرف بآخر من حروف الكلمة، على سبيل المثال، قد يستبدل الطفل حرف (س) بحرف (ش) أو يستبدل حرف (ر) بحرف (و) مرة أخرى تبدو عيوب الإبدال أكثر شيوعا في كلام الأطفال صغار السن من الأطفال الأكبر سنا، هذا النوع من اضطراب النطق يؤدي إلى خفض قدرة الآخرين على فهم كلام الطفل عندما يحدث بشكل متكرر.

1.1.1. التحريف أو التشويه

ويقصد بذلك أن ينطق الفرد الكلمات بالطريقة المألوفة في مجتمع ما، أي ينطق الطفل جميع الأصوات التي ينطقها الأشخاص العاديون، ولكن بصورة غير سليمة في عملية إخراج التيار الهوائي لإنتاج ذلك الصوت وتعتبر ظاهرة التشويه في نطق الكلمات أمرا مقبولا، حتى سن دخول المدرسة ولكنها لا تعد كذلك فيما بعد ذلك العمر، فالفرد الذي يكثر من مظاهر تشويه أو تحريف نطق الكلمات يعاني من مظهر ما من مظاهر الاضطرابات اللغوية.

1.1.1.1. الإضافة

ويقصد بذلك أن يضيف الطفل حرفا جديدا إلى الكلمة المنطوقة، مما يجعل كلامه غير واضح وغير مفهوم، ومثل هذه الحالات إذا استمرت مع الطفلة إلى صعوبة في النطق، وتعد ظاهرة إضافة الحروف للكلمات أمرا طبيعيا ومقبولا حتى سن دخول المدرسة، ولكنها لا تعد كذلك فيما بعد ذلك العمر، وهذا العيب على أي حال أقل عيوب النطق انتشارا ولا تعتبر هذه المظاهر مدخلا لتصنيف اضطرابات النطق، كما تصنفها بعض الكتب العربية وإنما هي مظاهر لمجموعة عيوب النطق المسماة بالذلاليا، ووجود هذه المظاهر لدى

الأطفال يعتبر أمرا طبيعيا وفق طبيعة عملية النمو حتى سن دخول المدرسة، إلا أن ذلك يعد مظهرا لاضطرابات النطق إذا استمر بعد ذلك السن.

2.1.1.1. عوامل وأسباب اضطرابات النطق

تحدث هذه الاضطرابات لعدة عوامل قد تكون عضوية كضعف عضلات اللسان وعدم قدرة المصاب على التحكم في حركات لسانه، كما قد يكون لحجم اللسان سواء في الطول أو القصر، أو التصاقه أو التقافه دور في حدوث هذه الاضطرابات النطقية، وكذا عدم انتظام الأسنان من حيث تكوينها الحجمي كبيرا أو صغيرا، أو من حيث تقاربها أو تباعدها عن بعضها أو تطابقها، أو فقدان بعضها أو تشوهها واعوجاجها. وبالإضافة إلى هذا قد يكون للعقد التي توجد تحت اللسان سبب في إعاقة حركته أو إصابة اللسان بجروح قطعية.

بينما قد تكون هذه الاضطرابات ناتجة عن أسباب وظيفية كالتقليد لبعض الأشخاص المحيطين المصابين ببعض أنواع اضطرابات النطق والذين يتواجدون في بيئة الطفل أثناء نموه اللغوي، كما قد تكون الأسباب سيكولوجية، حيث ينطق الطفل الحروف بشكل غير صحيح إما لجذب انتباه الكبار والوالدين في حالات الإحساس بالإهمال والنبذ أو لاستجلاب العطف.

9. اضطرابات اللغة

تشمل اضطرابات اللغة مجموعة واسعة من الاضطرابات النورولوجية المنشأ التي تؤثر سلبيا في فهم واستخدام اللغة المنطوقة والمكتوبة أو كليهما. منها ما يتعلق بالجانب المعجمي، كالألکسيا والأجرافيا والأنوميا، ومنها ما يصيب السميائي كالأفازيا ومنها ما يصيب اللغة التعبيرية بشكل عام الأفازيا، بروكا، ومنها ما يصيب اللغة الاستقبالية، ومنها ما يندرج تحت ما يسمى صعوبات تعلم اللغة.

1.9.1. الأفازيا l'aphasie

يعود البحث وراء انعدام القدرة على التعبير اللغوي أو الفهم المسمع حيث روي عن الإغريق القدامى حديثهم عن حالات من اضطراب فجائي للإنسان في القدرة على إنتاج وفهم الكلام، كنتيجة لصدمات أو جروح رأسية أثناء الحروب الإغريقية.

إلا أن الاضطراب اللغوي المعرفي كمصطلح أطلق عليه الأفازيا، لم يترسخ إلا مع النتائج التي ساهمت بها البحوث التي قام بها السلوكيون (النظرية السلوكية) في مطلع القرن التاسع عشر، حيث ذهبوا إلى أن كل موضع في المخ يختص بأحد الملكات العقلية وإن ملكة الكلام تتموضع في الفصوص الأمامية من القشرة المخية ذلك في إطار نظرية الملكات، في حين كان

هناك فريقا آخر من العلماء يعتقدون بعدم إمكانية تحديد مسؤولية أجزاء معينة من المخ عن وظائف عقلية محددة، فالسؤال الذي يمكن طرحه في هذا الجانب: ما العلاقة بين المخ والسلوك اللغوي؟ [112]ص(103)

من المعروف أن المخ يعتبر أساس العمليات المعرفية وكل العمليات السيكلوجية الأخرى، والسلوك من قبل التخاطب مع الآخرين، أو الإدراك أو التذكر أو التفكير، ويتم كله من خلال الوظيفة المركبة مكتملة التنظيم التي تقوم بها الخلايا العصبية التي تشكل في مجموعها ما يسمى المخ البشري. [113]ص(93)

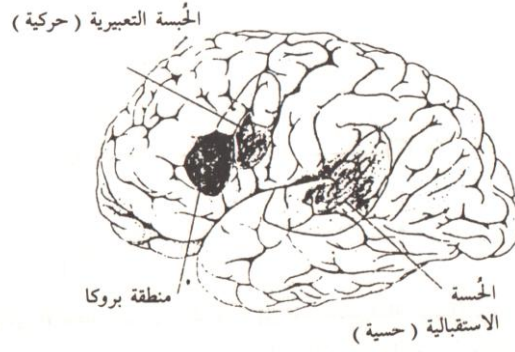
وينقسم المخ البشري إلى نصفين أو شقين، الشق الأيمن، والشق الأيسر، وكان من المعتقد أن هذين الشقين متماثلان أحدهما صورة طبق الأصل من الآخر، غير أن البحوث التشريحية الدقيقة كشفت عن بعض الفروق الجوهرية بين الشقين تبدأ مع الميلاد، وأحد هذه الفروق هو أن منطقة الفص الصدغي منطقة هامة في السلوك اللغوي، وهي أكبر في الشق الأيسر منها في الشق الأيمن. . [113]ص(93)

وبالتالي فإن من المسلمات الأساسية في التنظيم الدماغي حدوث نوع من عدم التناظر الوظيفي، فإذا كان الشق الأيسر يحتوي مناطق اللغة فإن بعض الوظائف تقع تحت سيطرة الشق المقابل أي الشق الأيمن. وأوضحت الدراسات الخاصة بالتعرف على الأصوات البشرية أنه بعد الولادة مباشرة يكون الشق الأيسر أكثر حساسية للمعلومات اللغوية من الشق الأيمن. . [113]ص(106)

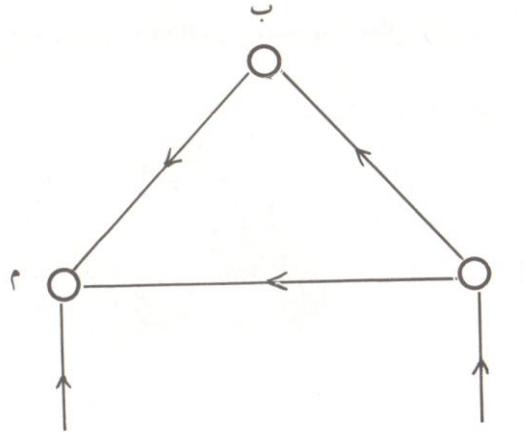
ويرى بعض الباحثين أن نوع الاضطراب اللغوي الذي يظهر لدى المفحوصين الذين أتقنوا لغة أو أكثر يتميز ببؤرة محددة عضويا، والأكثر من ذلك أنه حالات المرض المرتبطة بهذه الأعطاب المخية ذات البؤر، وهي بصفة عامة تكون في الشق الأيسر للأشخاص ذوي اليد اليمنى المسيطرة، يحدث اضطراب في الإنتاج أو الفهم الفمي، وقد يكون سائدا، إذا ما قورن باضطرابات أخرى لدى المفحوص.

يعد اكتشاف العالم الفرنسي "بروكا" (Broca) والتي من خلالها تحددت بعض الوظائف النوعية للمواقع المختلفة من المخ وذلك من خلال عمليتين جراحيتين أجراهما على شخصين أصيبا بشلل في النصف الأيمن مع فقدان القدرة على الكلام، فقد لاحظ "بروكا" أثناء جراحته على هذين الشخصين أن هناك تلفا في بعض المناطق من الجزء الأيسر من الفص الجبهي مما

جعله يستنتج بكل دقة المواقع المخية المسؤولة عن استخدام اللغة وتسمى هذه المنطقة حتى الاسم باسم منطقة بروكا ويوضحها الشكل التالي:



الشكل 09 [2]



الشكل: 10 [92]

ويحدد منهج الجراحة منطقة أخرى من المخ مسؤولة عن فهم اللغة المنطوقة والمكتوبة وهي منطقة (فيرينك) وهي تتصل بمنطقة بروكا (المسؤولة أساسا عن إنتاج اللغة) بخلية طويلة منحنية تمر بالمراكز الحسية البصرية والسمعية، ويعزو الباحثون تطور اللغة في أعلى مراحلها الارتقائية لدى الإنسان إلى نمو هاتين المنطقتين. [114]ص(86.85)

وتفقد الإصابة في الأجزاء المختلفة من المخ إلى أنماط مختلفة من تدهور الأداء، ولذلك فإن الدراسات هي التي تستخدم إما موقع العطب وإما صورة العرض كمتغيرات مستقلة. بينما يوضح الشكل الآتي عملية الربط بين التمثيلات السمعية للكلام والتمثيلات الحركية للكلام:

تؤدي الاضطرابات في المركز (أ) إلى فقد الفهم للغة المنطوقة، ويظل الكلام الإرادي دون إصابة ويصاب تكرار الكلام أيضا ما دامت الروابط بين المدخلات والمخرجات قد أضررت من جراء الإصابة التي لحقت بالمركز (أ) أما الاضطرابات في المركز (م) فتؤدي إلى الأعراض التالية:

1 -فقدان الكلام الإرادي.

2 -عدم القدرة على إعادة الكلمات، ويظل فهم الكلمات المنطوقة سليما. أما إصابة الممر بين (أ.ب) فيؤدي إلى فقد القدرة على الفهم، ويظل المريض قادرا على إنتاج الكلام، وبالتالي فإن المصابين في منطقة بروكا يكون فهمهم جيدا بينما تنخفض قدرتهم على إنتاج الكلام، أما المرضى ذوو الإصابات في منطقة (فيرنيك) C.Wernick فلا تتأثر طلاقة الكلمات لديهم، بينما يظهرون فقرا في القدرة على الفهم. ويؤخذ على هذه النماذج أنها تركز على إنتاج وفهم الكلمات المعزولة، وبالتالي فإن العنصر الحاسم بالنسبة لاستخدام اللغة السوية ه المقدرة على تنظيم الكلمات في جمل متماسكة متناسقة. [66]ص(145)

1.19.أنواع الأفازيا

للأفازيا أنواع عديدة، منها ما هو تعبيري وغير طليق مثل أفازيا بروكا، والأفازيا الكلية، ومنها ما هو استقبالي (الحبسة الاستقبالية) والأفازيا التوصيلية... وهذه الأنواع تختلف فيما بينها حسب موضع التلف في منظومة اللغة الدماغية، وهو ما يوضحه الشكل التالي:

بالنصف المخي الأيسر لديهم، وقد سميت الأفازيا لدى هذا الصنف من الناس بالأفازيا المتعارضة. [91]ص(104)

1.2.6. الأفازيا الحسية l'aphasie sensorielle

يطلق عليها أيضا حبسة فيرنيك نسبة إلى العالم فيرنيك C.Wernick الذي وضع الارتباط السببي بين إصابة التلفيف الأول الصدغي الأيسر للفرد الذي يستعمل يده اليمنى وعلاقتها بإحدى الأنواع العيادية للحبسة المتمثل في الحبسة الحسية، فهذه الإصابة تؤدي إلى فقدان ذاكرة الصور السمعية للكلمات ويظهر أساسا اضطراب في الفهم اللغوي، حيث يجد المصاب صعوبة في اختيار الكلمات وفي التمييز بينهما، وينتج عن ذلك ما يسمى بالصمم الكلامي، وهو شكل من أشكال الأفازيا الحسية حيث تكون حاسة السمع سليمة، ولكن الألفاظ تفقد معناها لدى السامع كما لو كانت هذه الألفاظ من لغة أخرى لا يعرفها الفرد، فمثلا لو تفوهنا أمام طفل يعاني هذا النص بحرف مثل "الباء" ونطلب منه تكرار ما سمع نجده يقول "فاء" وما يقال عن هذا الإبدال السمعي الذي ينصب على حرف الباء والفاء، يقال كذلك على الحروف الحلقية مثل الجيم والحاء، غير أنه إذا كتبنا حرف الباء للطفل وطلبنا منه قراءته، فإنه يقرأه صحيحا فكان العيب يتصل بالإدراك السمعي، وليس بالإدراك البصري.

وهكذا الأفازيا الحسية قد تكون جزئية، أي قاصرة على بعض الحروف دون أخرى، أو كلية تشمل معظم الحروف الهجائية، ومرجع ذلك هو مدى إصابة المراكز المخية الخاصة، التي تحدث نتيجة عوامل ولادية أو مكتسبة بعد الميلاد، وتكون لغة أمثال هؤلاء الأطفال في حالة الإصابة الكلية لغة خاصة لا يستطيع فهمها إلا الأشخاص المتصلون اتصالا مباشرا بهم.

وهناك نوع ثان في الأفازيا الحسية يعرف باسم البارافازيا paraphasie وهو يأخذ شكل استعمال كلمة في غير موضعها أو استعمال كلمة غريبة لا معنى لها، ولا صلة لها باللغة، ومثل هذه الحالات يكون الطفل قد اكتسبها نتيجة لوجود اضطراب في المراكز السمعية الكلامية من الصغر، حيث يحدث خلل في تكوين الصور السمعية

3. الإعاقات النطقية وعيوب الكلام وأثرهما في تعلم الطفل.

لم نغفل في هذه الدراسة دور وأهمية المدرسة كعامل مسؤول عن تفاقم حالة المصابين بالإعاقات النطقية وعيوب الكلام.

بل إن المدرسة كثيرا ما تكون جوا صالحا لبقاء هذه الإصابات، وزيادة ظهورها.

فمن الأخطاء المعروفة في الجو المدرسي إلقاء الأسئلة على الطفل وطلب الجواب بسرعة والإلحاح في ذلك أو إرغام الطفل على سرعة الإجابة، وهو في حالة من الاضطراب النفسي (خوف، خجل...). [105]ص(136)

ونادرا ما ترجع مشكلة الإعاقات النطقية إلى موقف المدرسة فقط ذلك أن هذه المشكلة ترجع في أساسها إلى سنوات ما قبل التمدرس ثم جاءت ضغوط الموقف المدرسي، مما يساعد في ظهور هذه المشكلة.

وقد يكون للمدرسة وللمعلمين دور في توفير وسط مدرسي مناسب للطفل المصاب بعيدا عن السخرية أو الضحك من جانب زملائه.

هذا ما يوفر مناخا يمكن للطفل أن يشعر من خلاله بالراحة والأمان... فالمعلم له دور مهم في تجرد الطفل من مشكلاته النطقية وخاصة إذا استطاع معرفة مشكلة الطفل بالضبط، وذلك عن طريق الاتصال بالأولياء.

كما تؤثر المدرسة في الطفل المعاق بصورة سلبية فإنما تؤثر فيه إيجابا وتحقق له مزيدا من التوافق النفسي والاجتماعي، وإزالة مصادر الاضطراب النفسي، وذلك إذا أتيحت الفرصة للمحيط المدرسي فهم حالة الطفل وكيفية التعامل مع مشكلة النطقية.. وهنا يبرز دور المعلم.

1.3.1. تشخيص الإعاقات النطقية وعيوب الكلام

عملية التشخيص هي مجموعة الإجراءات التي من خلالها يتم جمع المعلومات بأدوات بسيطة عن كل طفل وتحليلها وتفسيرها للتعرف على طبيعة المشكلة لديه ومنها نستطيع تحديد أهلية الطفل وكذا تحديد نوع ودرجة الإعاقة كما نستطيع تحديد المستوى الحالي لأداء الطفل. وإذ لا بد أن نضع في أذهاننا الأساس المنطقي الذي نعتمد عليه في انتقاء الاختبارات والإجراءات الأخرى، إذ ينبغي أن نحدد التقدير ليس فقط طبيعة الإعاقة ولكن أيضا الظروف التي تظهر فيها..

وسوف نتعرف على خصائص بعض هذه الاختبارات:

1.1.3.1. المسح المبدئي لعملية النطق

غالبا ما يستخدم للتعرف على الأطفال ممن لديهم اضطرابات نطقية خلال السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية، وكذا ملاحظة كلامهم أثناء الحديث العادي، مع التركيز على عملية النطق والكلام بصورة عامة، وكفاءة الصوت، وطلاقة الكلام وغيرها من الأمور ذات العلاقة بالنطق والكلام.

1.1.1.3. تقييم النطق

من خلال جلسات وعن طريق إجراء محادثة فعلية مع الطفل مباشرة، وغالبا ما توضح المحادثة التلقائية بين الأطفال طريقة كلامهم وخصائصه.

2.1.1.3. دراسة تاريخ الحالة

عن طريق دراسة التفاصيل الشخصية والحياتية للحالة، وخاصة داخل المدرسة حيث ثبت جدواها باعتبارها المجال الذي يتيح جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الدقيقة والواضحة حتى نتمكن من اتخاذ وإصدار الأحكام، كالسؤال عن حالته الاجتماعية وكذا علاقته بالمعلم وبالتلاميذ في المدرسة وإلى ذلك من معلومات ذات طبيعة شخصية وعامة.

3.1.1.3. برنامج لكشف حالات اضطرابات النطق واللغة

1. إعادة الأصوات.

2. إعادة المقاطع.

3. إعادة الكلمات.

4. فهم اللغة الاستقبالية.

5. اللغة التعبيرية.

حيث تتباين اضطرابات النطق والكلام واللغة من حيث الشدة ومن حيث النوع، وهذه الاضطرابات موجودة لدى الأطفال في سن المدرسة، حيث تكون هذه الاضطرابات بسيطة في المراحل الأولى ويمكن التغلب عليها والتعامل معها بسهولة، أما إذا أهملت فإن هذه الاضطرابات تزداد تعقيدا وشدة، حيث يمكننا التعرف على حالات الاضطرابات عن طريق الاختبارات أو الملاحظة.

4.1.1.3. عينة الدراسة

من الصعب فهم كثير من مشكلات البحث العلمي دون أن يستخدم الباحث أساليب محددة لاشتقاق العينات، وهذه الأساليب بدورها توفر الوقت والجهد، وتمكننا من فهم مشكلات معينة من الصعب معالجتها بالمنهج التقليدي.

ولأنه من الصعب إجراء الدراسة على جميع أفراد المجتمع من الجنسين (الذكور والإناث) وفي مختلف مراحل العمر، فقد تم اختيار العينة حسب عدد من الضوابط والشروط الإجرائية وهذه بدورها تساعد الباحث في الدراسة الميدانية.

ونجمل هذه الضوابط والشروط الإجرائية على النحو التالي:

1. أن تمثل عينة الدراسة الذكور والإناث معا وذلك لاهتمام الباحث في دراسته بالجنسين معا على اعتبار أن الإعاقة النطقية والعيوب الكلامية تنتشر بين الذكور والإناث ولكن بنسب مختلفة.

2. اقتصار عينة الدراسة على الأطفال في المدرسة الابتدائية وذلك من أجل تحديد الفئة العمرية من 6 سنوات و12 سنة.

3. استبعاد الأطفال المعاقين أقل من 5 سنوات على أساس أنهم يعانون من مشكلة عدم الطلاقة اللفظية.

4. استبعاد من عينة الدراسة الأطفال المتأخرين عقليا وذلك على أساس أن درجة الإعاقة العقلية قد تؤثر في مدى استجابة الأطفال المصابين بالإعاقات النطقية وعيوب الكلام. ومن أجل هذه الضوابط والإجراءات وقع اختيارنا على مدرسة محمد بلجباس بالمدينة من أجل إجراء هذه الدراسة الميدانية لمعرفة مدى تأثير الإعاقات النطقية والعيوب الكلامية على الأطفال المتمدرسين في الطور الأول، ومدى تأثيرها في تحصيلهم الدراسي

3.1.1.5. عينات من الأطفال المصابين بالإعاقات النطقية وعيوب الكلام

تعد الإعاقات النطقية والعيوب الكلامية، الأكثر انتشارا بين الأطفال، وخاصة المتمدرسين، وهي منتشرة بكثرة في الطور الابتدائي، وتعد مدرسة بلجباس بالمدينة من بين المدارس التي توجد فيها هذه الظواهر، ولذا وقع اختيارنا عليها لتكون محل دراستنا التطبيقية، وهذا بعد أن اكتشفنا عدة عينات مصابة بالإعاقة النطقية وعيوب الكلام.

النموذج رقم -01-

يتناول هذا النموذج تلميذة تدرس في السنة الأولى، تعاني من إعاقة اللججة، وقد حضرنا معها درس القراءة وكان نطقها للجمل كالاتي:

جلس رضا ومنى وأمهما حول المائدة ينتظرون الأب فقال: رضا أنا جائع.
فكان نطق التلميذة:

ج ج ج لس رضا ومنى و و و أمهما حول المائدة ي ي ي ينتظرون الأب و ف ف فقال رضا أنا جائع.

الكتابة الصوتية العالمية لنطق التلميذة هو كالاتي:

التعليق عن الحالة الأولى:

ما يلاحظ بداية من قراءة التلميذة، أنها تجد صعوبة في بداية نطق الكلمات، على الرغم من أنها تعرف جيدا الحروف.

وينتج عن هذه الصعوبة في النطق تكرار الحروف الأولى خاصة، وفي بعض الأحيان تضيف أو بالأحرى تطيل الصوت، مما ينتج عنه صعوبة في التنفس، وهذا ما ينتج عنه حالة من القلق والتوتر، وقد كان الارتباط ظاهر وجلي على وجه التلميذة، وظاهرة اللجاجة هي التي تعاني منها التلميذة حيث نجدها تكرر وتردد عناصر الكلام بشكل سريع، وهو ما ينتج عنه تشنجات في عضلات التنفس والنطق.

ومثال ذلك في قراءة التلميذة:

ضحك الأب وقال لن أت ت تأخر بعد اليوم.

فالملاحظ من هذا المثال في القراءة أن من العلامات الواضحة بالنسبة للجلجة وجود تقطيعات غير إرادية نتيجة تقلصات العضلات المتحكمة في الحديث، كما أن اللجاجة لا تحدث في كل الأوقات بدرجة واحدة، فقد لا يلجلج الطفل وهو مع قرين له أو عندما يكون بفرد، ولكنه يلجلج بشدة إذا كان مع آخرين يمثلون السلطة بالنسبة له وهو ما لاحظناه في قراءة التلميذة. وقد أفادتنا معلمة التلميذة بنتائجها في الدراسة ومدى تأثير هذا العيب الكلامي في تحصيلها الدراسي وخاصة اللغوي، فعلى الرغم من هذا فإن التلميذة نتائجها متوسطة، حيث استطاعت بذل كل ما في وسعها للتغلب على عيبها الكلامي والعمل على اكتساب اللغة التي تقترب من الصواب كثيرا من ناحية النطق، وهذا طبعا بمساعدة معلمتها وكذا أولياء التلميذة.

1. مظاهر أساسية

ومظاهر اللجاجة عند هذه التلميذة تتمثل أساسا فيما يلي:

أ - تكرارات répétition: لأصوات الحروف أو للمقاطع اللفظية أو لبعض الكلمات بدرجة ملفتة للنظر.

ب إطالات prolongation: لزمن نطق أصوات الحروف خاصة المتحركة منها.
ت وقفات blocage وهي انحباسات في مجرى الزفير في بعض أماكن الجهاز الصوتي تؤدي إلى إعاقة الحركة الآلية للكلام وخاصة في الكلمات الصعبة والطويلة، مع ضغط مستمر من الهواء خلف موضع الإعاقة مما يسبب تشنج عضلي.

1.1. مظاهر عضوية

- تشنج عضلات الوجه.

- تحرك سريع للسان.

- اضطراب في التنفس.

- احمرار الوجه.

1.1.1. نفسية انفعالية

- توتر عصبي.

- قلق واكتئاب

يتناول هذا النموذج الإعاقات النطقية عند الطفل () عمره ست سنوات يدرس في السنة الأولى ابتدائي، وقد طلبنا منه نطق عينة من الكلمات لأن التلميذ لا يحسن القراءة بمفرده.

الكلمات بالخط العرب الكلمات كما نطقها التلميذ الكتابة الصوتية العالمية

/s/ /ai/ /a/ /r/ /h/	سيارة	صيارَة
/s/ r/ /a/ /b/	شراب	سراب
/ʃ/ /b/ /a/ q/	شباك	شَبَاك
/s/ f/ i/ /n/ /h/	سفينة	سَفِينَة
/ʔa/ /θ/ /d/	أسد	أَسَد
/k/ u/ /r/ /θ/ /i/	كرسي	كِرْسِي
/a/ /u/ /ʃ/ /Ø	عش	أَش
/m/ /a/ /d/ /r/ /a/ /s/ /a/ /h/	مدرسة	مَدْرَسَة
t/ u/ /r/ /a/ /b/ /Ø	ترااب	تَوْرَاب
/d/ /u/ /b/	دب	دُوب
/b/ a/ /t/ /Ø	بط	بَت
/m/ /a/ /t/ /a/ /r/ /Ø	مطر	مَثْر
/o/ /a/ [l/] /a/ /d/ /Ø	ولد	وَلَد
/h/ /a/ /r/ /u/ /v/ /Ø	حروف	حُرُوف
/b/ /a/ /q/ /a/ /r/ /a/	بقرة	بَقْرَة

/f//i//i□/ [1□]Ø

فيل

فيل

/r//a/ /r/Ø

غاز

غاز

- التحليل:

أولاً: الأصوات التي تكونت منها هذه الكلمات هي:

b. t. d. z. s. c. f. k. m.....

الصوامت:

الصوائت:

وتشمل جميع الصوائت العربية المعروفة في الفصحى بالإضافة إلى الصائتين O. O وهما شائعان في اللهجات الدارجة.

وقد كشف هذا التحليل عن قدرة الطفل () على نطق الآتي من الصوامت:

F . i . m . d . t . b

الصوائت:

ليس لدى هذا المعاق مشكلة في نطق الصوائت العربية على انفراد، ومعروف أن الصوائت في العربية أقل عدداً من الصوائت، ولكنها أكثر أهمية في نظام العربية الصوتي، إذ هي ضرورية بعد كل صامت، في الغالب، ولا يجوز توالي الصوامت، دون فاصل من الصوائت إلا في حالات خاصة، هي التي عبر عنها بجواز التقاء الساكنين، في نحو: كَلْبُ kalb ولكن قدرة المعاق على نطق الصوائت، لا يعني أنه لا يواجه صعوبة فيها، فثمة أوضاع منشؤها صعوبة النطق بالصوائت، كتنوع الصوائت في الكلمة الواحدة، مما يحتاج معه إلى مهارة في تشكل الفراغ الفمي، فتري المعاق يضطرب في مثل هذه الحالات التي تحتج إلى مزيد من المرونة والدربة في الانتقال من تشكل إلى تشكل آخر، وعلى هذا فالصعوبة ليست في نطق الصائت على حدة، وإنما في نطق الكلمة ذات الصوائت المقطعية المتباينة وهذه الصعوبة ليست قصراً على المعاقين، فقد يعاني منها غير المعاقين من الأسوياء وقد عالجت كتب اللغة القديمة مثل هذه المسائل.

ثانياً:

هناك أصوات رئيسية تتكرر أكثر من سواها، وقد لوحظ أن الطفل يعتمد عليها في بناء معظم كلماته، ويعتمد عليها في استبدال الأصوات، التي يصعب نطقها وهذه الأصوات هي: الباء، الدال، (وهما صوتان مجهوران انفجاريان) والتاء (وهي انفجارية مهموسة) وهو يستعيض (يستبدل) بعض هذه الأصوات عن بعض أصوات سقف الحلق.

ولنا أن نتصور أهمية الباء، لأنها شفوية يسهل على الطفل أن يتعلمها، بمشاهدة حركة الشفتين عند الآخرين بالإضافة إلى وضوحها للمستمع، لأنها مجهورة، وهي صفة تجمعها مع الدال، وأنا التاء فيميز بينها بوضوح صفة الهمس في التاء والجهر في الدال.

إن هذا النوع من الاختبار يضع احتمالاً بأن المعاق يركز على الأصوات المجهورة أكثر من تركيزه على الأصوات المهموسة، ربما لأن أذنه استطاعت أن تلتقط الأصوات المجهورة أكثر من التقاطها الأصوات المهموسة.

ومن أمثلة الاعتماد على هذه الأصوات عند هذا الطفل الكلمات الآتية أسد حيث أبدل السين تاء لأن الصوتين مهموسان ثم نطق الدال على شاكلة التاء، لتقاربهما وهذا من باب الإلتباس الصوتي.

سيارة .. غير السين صاد..

ثالثاً: يلاحظ ميل الطفل إلى توحيد الأصوات لتصبح متماثلة أحياناً ومن ذلك: دب..دوب، و ولد.. ولد بدال قريبة من التاء.

وبناء على ذلك فإن نطقه للكلمة التي تظهر فيها هذا التماثل لم يكن صعبا نحو باب وعلى هذا ينصح البدء بمثل هذا النوع من الكلمات في تدريب هذا النوع من المعاقين.

رابعاً: نلاحظ لديه الميل إلى بناء مقاطع متشابهة الأصوات في الكلمة رغبة منه في تسهيل النطق.

خامسا: أنه يستصعب نطق الواو المتحركة أو الياء المتحركة كما في: ولد، وهدية.

سادسا: يلاحظ أنه يفر من الصوائت المركبة نحو: سفينة.

سابعاً: الكلمات التي يلحق نطقها تشويه بالغ لديه هي الكلمات التي تكثر فيها الأصوات التي لا تقع ضمن رصيده الصوتي ويلاحظ هذا على نحو خاص في الكلمات ذات المقاطع الكثيرة نسبياً، وبالعكس ذلك الكلمات التي تتصل مقاطعها ويمتلك أصواتها نحو: باب...

ثامنا: الكلمات التي يسمعا أكثر من سواها في بيئته الاجتماعية، هي الكلمات التي يجيدها نسبيا أكثر من سواها وقد لوحظ أنه يبدى ضيقا من أن يطلب منه نطق كلمات لا يعرفها نحو:

ضفدع... وعلى هذا فإن من أسباب إعاقته هنا مرده محدودية استيعابه للمعاني وهذا ما سنعمل على كشفه في الاختبار التالي.

النموذج -03-

التلميذة () السن 11 سنة الصف الخامسة ابتدائي، حضرنا مع التلميذة () درس القراءة أولاً، وكان الموضوع ليلي في أحضان الطبيعة، وقد طلبت المعلمة سماع بعض القراءات من زملائها، وكان النص كالآتي:

في يوم من أيام الربيع الزاهر، خرجت ليلي في نزهة إلى المروج الخضراء وأخذت معها كتبها لتطالع دروسها، كان الطقس جميلاً والسماء صافية وأشعة الشمس دافئة. شعرت ليلي بالسعادة تغمرها وأرادت أن ترتاح قليلاً فاستقلت على العشب في ظل شجرة كبيرة، كان النسيم عليلًا، فاستغرقت في نوم عميق وراحت تحلم بأن فتاة صغيرة تقترب منها لتقدم لها باقة زاهية من الزهور الجبلية الملونة. فرحت ليلي بهذه الهدية الرائعة وقبلت الفتاة وأرادت أن تبادلها الشعور نفسه فانتقت لها بعض الورود المزهرة من أغصان الشجرة الوافرة. فكانت قراءة التلميذة لبعض الكلمات في النص كالآتي:

الكلمات في النص نطق التلميذة للكلمة الكتابة الصوتية العالمية للكلمة كما نطقتها التلميذة

تغمرها	ت تغمرها	/t/ /t/ɣ/ m / r / h/a□/
تقدم	ت تقـ تقدم	/t/ /t/ q/ d/ m / u□/ u/
باقة	با باقة	/b/a□/ /b/a□/ q/ t/ /u/
فاستغرقت	فا فاسـ فاستغرقت	/f /ʔa□/ f /ʔa□/s/ f/ /ʔa□/s/t/
		ɣ/ /r/ q/ /t
أن تبادلها	أن تبا تبادلها	/a□/ /n/ /a□/ /n/ /t/ /b/ /ʔa□/ /b/
		/ʔa□/ [l□] /ʔa□/
فانتقت	فا فانتـ فانتقت	/f/ /a□/f /a□/ /n /t/ q/ [l□] /t/

- التعليق على قراءة التلميذة للنص

تعاني التلميذة كما هو ملاحظ من خلال قراءتها من التأناة التي تؤثر على عملية النطق العادي فتجعل الكلام يتميز بتوقيفات وتكرار لبعض الأصوات فنلاحظ أن قراءة التلميذة تتميز بتكرار حرف أو مقطع صوتي عدة مرات وخاصة إذا تعلق الأمر بحرف التاء والشين، كما لاحظنا أيضا أنها تتوقف فجأة قبل أن تنطق الحرف أو المقطع الصوتي. وتسمى هذه التأناة بالتأناة التكرارية *clonique begaiment* حيث يتميز صاحبها بتكرارات وتوقيفات لا إرادية تتجلى عموما في المقاطع الأولى من الكلمة الأولى في الجملة خاصة، ولهذا فإن التلميذة لها مشكلات في القراءة.

- التحليل:

بعدما عرفنا الحالة ووصفناها، كانت لنا محادثة قصيرة مع التلميذة، والتي أكدت بأن والدها يعاني من نفس المرض وهذا ما يبين أن حالة التلميذة وراثية، ولأن الدراسات أثبتت وقوع مثل هذا كما أكد ذلك العالم أجور ياغيرا *Ajuria gerra* الذي أكد أن المتأثرين نسبة 34% منهم تضم أسرهم متأثرين مسبقا على الأقل وهذا وقفنا عليه في هذه الحالة. مستوى التلميذة في الدراسة متوسط ونتائجها متوسطة في كل المواد ما عدا الرياضيات والقواعد (قواعد اللغة العربية) فإنها ضعيفة.

النموذج الثالث:

هذا النموذج يتناول الإعاقات التي وقع فيها التلميذ () عمره 06 سنوات، من خلال ملاحظتنا على نطقه للأصوات الآتية:

/t//r//a/ /h/	فترة	فكرة
		/f//a/
/a /t ^ç /r/ /at /	فترة	فقرة
		/f/
/t ^ç /u / /u:/ /t Ø	طوت	قوت
/h/ /u /u: / /h/ Ø	حوح	خوخ
/t/ /u / /r/ /s/ /i:/	ترسي	كرسي

/a/ /m/ /a/ /t/ /at/

سمكة سمكة

/s

/ʃ/ /b/ /ʔa:/ k Ø /

شباك شبكات

- التحليل:

أولاً: صوت الكاف، لدى التلميذ تنطق تاء، كما في كلمة (كبير) فإنه ينطقها (تبير) وربما يكون السبب في تحويل الكاف إلى تاء التخلص من نطق الكاف، وهي سقف حلقية، بتحويلها إلى تاء، (طرف اللسان مع أصول الأسنان) لتبقى صفى الهمس صفة مشتركة بين الكاف والتاء. فالكاف صامت انسدادى طبقي مهموس فمي.

ثانياً: صوت القاف وهو من سقف الحلق فإن التلميذ ينطقه "طاء" نحو قوله في (قوت) فإنه ينطقها (طوت) وكذا كلمة (طاقية) فإنه ينطقها (طاطية) هذا ما يؤكد فرار التلميذ من مخرج سقف الحلق إلى المخرج اللثوي والأسناني...

كما أن التلميذ ينطق حرف التاء فاء، في مثل (ثار) و (ثور) فإنه ينطقهما (فار) و(فور).. ويطلق الدارسون هذه الإعاقات اسم الجاماسزم (cammacism) وتنتج هذه الإعاقات نظراً لخروج الأصوات من غير موضعها الأصلي فالكاف والقاف هي حروف حلقية رخوة. ويسمى آخرون اللدغة الخلفية، حيث يقوم الطفل بقلب صوت الكاف إلى (تاء) وكذلك قلب صوت الجيم إلى (دال).

ثالثاً: صوت السين:

نلاحظ أن التلميذ مرة ينطق صوت السين ثاء ومرة أخرى ينطق السين شينا، كقوله في كلمة سكر ثكر، حيث يلامس طرف اللسان حافة الأسنان العليا أو أن يبرز طرف اللسان خارج الفم متخذاً طريقة بين الأسنان الأمامية ويطلق العلماء على هذا العيب الكلامي اسم سيجماتزم بنية الأسنان.

رابعاً:

نطق التلميذ لحرف السين شينا كقوله شكر بدلا من سكر، فبدلاً من أن يمر تيار الهواء في تجويف ضيق بين اللسان وسقف الحلق أثناء نطق صوت السين بوضعه الصحيح، فإن تيار الهواء في حالة السيجماتزم جانبية اللسان ينتشر على جانبي اللسان.

وهذا ناتج إما لعدم قدرة المصاب على التحكم في عضلات اللسان، أو نتيجة عيب تشريحي في اللسان.

خامسا:

ينطق الطفل صوت حرف السين دالا (س.د) كقوله ذكر بدلا من سكر حيث يصطدك اللسان بطرف الأسنان العلوية، إما لصعوبة التحكم فيه أو لعيب في عضلة اللسان، ويطلق الباحثون على هذا العيب اسم سيجماتزم سنية sigmantism demtaile.

سادسا:

ما يلاحظ أيضا في نطق التلميذ أنه يستعين بالتجويف الأنفي أثناء محاولته إخراج صوت حرف السين بدلا من استخدامه للشفاه في إخراج تيار الهواء المصاحب لصوت حرف السين. التعليق:

التلميذ يعاني صعوبة حادة في النطق هذا ما ولد لديه صعوبة في التواصل مع غيره، حتى أنه من شدة الخجل والخوف، لا يتكلم طوال مدة الدرس، حيث يبقى منطويا على نفسه، وهذا ما جعلنا نواجه صعوبة في التعامل معه بسبب عدم تحمسه وعدم محاولته تجاوز عيوبه النطقية، وتساءل حالته النفسية أكثر عند قيامه للسطورة، ولا يكاد ينطق بكلمة وعند الضغط عليه يتفوه بكلمات غير مفهومة.

هذه العيوب النطقية التي تلازم التلميذ كان لها الأثر الكبير في تحصيله الدراسي (اللغوي والتعليمي)، بحيث أنه لم يتحسن منذ بداية الموسم الدراسي، وذلك للأسباب التي سبق ذكرها، وقد علمنا أ التلميذ أجرى عدة عمليات جراحية الأولى كانت خاصة بنزع لحمية في أنفه والثانية خاصة بحل عقدة في لسنه، لكن هذه العمليات لم تخرج التلميذ من معاناته النطقية.

النموذج الثالث:

يتناول هذا النموذج الإعاقات النطقية التي وقعت فيها تلميذة تدرس في السنة الخامسة ابتدائي ولها من العمر (11) سنة.

وقد حضرنا معها درس القراءة وكان النص كالاتي:

في يوم من أيام الربيع الزاهر، خرجت ليلي في نزهة إلى المروج الخضراء وأخذت معها كتبها لتطالع دروسها، كان الطقس جميلا والسماء صافية وأشعة الشمس دافئة. شعرت ليلي بالسعادة تغمرها وأرادت أن ترتاح قليلا فاستقلت على العشب في ظل شجرة كبيرة، كان النسيم عليلًا، فاستغرقت في نوم عميق وراحت تحلم بأن فتاة صغيرة تقترب منها لتقدم لها باقة زاهية من الزهور الجبلية الملونة.

فرحت ليلي بهذه الهدية الرائعة وقبّلت الفتاة وأرادت أن تبادلها الشعور نفسه فانتقت لها بعض الورود المزهرة من أغصان الشجرة الوافرة، ولما ذهبت الفتاة الصغيرة سمعت ليلي الشجرة تناديهما.

فكانت قراءة التلميزة: [

لت لت لتطالع دروسها.

/a/ /ʔ/ /i/ /t/ /u/ /t/ /ʔa/ /i/ [] /i/ [] /i/ []

ش ش شعرت ليلي بالسعادة ت تغ تغمرها.

Ø /r//a//t/ /ʔ//a// /ʔ//a// /ʔ//a// /ʔ//a//

وأرادت أن ت تر ترتاح قليلا.

/t//a/ /t/ /a/ /r/Ø/t//a/ /h/Ø

وراحت تحلم بأن فتاة صغيرة ت تق تقترّب منها لت لتق لتقدم لها با باقة زاهية من الزهور.

وأرادت أن ت تبا تبادلها الش الشعور نفسه.

سمعت ليلي الجرة ت تنا تناديهما.

التحليل:

التلميزة تعاني من إعاقه نطقية تتمثل في التأثأة.

حيث تشكل لها هذه الإعاقه اضطراب في تواتر وإيقاع وطلاقة الكلام بحسبات متقطعة،

وتكرار تشنجي للأصوات خاصة وفي بعض الأحيان للمقاطع والكلمات.

وما لاحظناه أن هذه المشكلة التواصلية عند التلميزة يمكن ملاحظتها وسماعها بسهولة.

وهذه بعض الأعراض التي لاحظناها عند التلميزة:

أولاً: تكرار الأصوات أو المقاطع أو الكلمات دون الجمل.

- التردد أو التوقف في الكلام.

- عدم وجود انسيابية والسلاسة في الكلام.

ثانيا: إطالة للأصوات الأولى في المقاطع أو الكلمات، كقولها في كلمة لتطالع (لت- لت- لتطالع).

ثالثا:

كثيرا ما تكون التأتأة عند نطق الأصوات التالية: صوت التاء، والشين والسين.
فالملاحظ أن التأتأة تكون في بداية الكلمات ولكن سرعان ما تكون القراءة بطلاقة وخاصة عند الإسراع في القراءة، إلى أن يطلب منها التوقف فسرعان ما تعود التأتأة إلى الظهور.

دراسة الحالة:

التلميذة في هذه الحالة تدرس في السنة الخامسة وهي تعاني من التأتأة منذ صغرها والسبب وراثي لأن والدها يعاني التأتأة ومنذ صغره أيضا، والملاحظ أن الإعاقات النطقية تتباين من حيث الشدة ومن حيث النوع وهذه الإعاقات قد تلازم الأطفال منذ الصغر حيث تكون بسيطة في المراحل الأولى، ويمكن التغلب عليها والتعامل معها بسهولة أما إذا أهملت فإن هذه الاضطرابات تزداد تعقيدا وشدة، وهو ما لاحظناه عند التلميذة (النموذج) حيث أثبتت معلمتها أن إصابتها لم تكن ظاهرة في السنوات الأولى للدراسة إلا أنها تطورت مع الوقت. والملاحظ أن التلميذة وحسب معلمتها فإن نتائجها الدراسية متوسطة على العموم.

النموذج الخامس:

يتناول هذا النموذج الإعاقات النطقية التي يعاني منها تلميذ في السنة الأولى عمره (07 سنوات) في نطقه لعينة من الكلمات، وقد حضرنا معه درسا في التربية الإسلامية فكانت قراءته كالآتي:

- الاجتهاد أساس النجاح

/ʔa□ //ʔa□ /ʔa□ / /s//a/ /ʔa□ / /s/ /u/

- إتقان العمل سلوك حميد

/ʔa□ //s//u/[l□]/u/ /k/ /n/ Ø

إتقان العمال أ أ أ سلوك حميد

/ʔa□ /ʔa□ /

- المسلم الذي يتقن عمله يحبه الله والناس

/t/ /k//i//n//u/

...مسلم الذي أ يتقن عمله يحبه الله والناس

/ʔa□ / /e□ /

التحليل:

يعاني التلميذ من إعاقة التلعثم وهذا النوع من التلعثم يسمى التلعثم التكراري حيث ينطق كلمة (محمد) مثلا م.م.محمد، ففي التلعثم التكراري يحدث تكرار للصوت الواحد من الكلمة مثل (م).

فيحدث نتيجة هذا التلعثم عدم القدرة على الطلاقة اللفظية، وتكرار غير إرادي للصوت أو المقطع أو الكلمة.

وهذه بعض الأعراض التي تميز بها هذا التلميذ المتلعثم في نطقه:

- تكرارات متعددة لجزء من الكلمة كقوله في كلمة أساس (أ أ أساس).

- الإطالة ومد الصوت أو الحرف وفي بعض الأحيان إضافة صوت كقوله في كلمة يتقن - أ أ يتقن.

- الخوف والخجل وكذا معوية بداية الكلام.

ويعد التكرار من أهم سمات النطق عند هذا التلميذ، وخاصة تكرار الحروف، وبعض المقاطع الصوتية، بصورة لا إرادية، ويظهر ذلك بوضوح عند بداية الكلام وعند نطق أول حرف من الكلمة، وهذا النوع من التلعثم يسبب تشنجا في عضلات الجسم، وتزداد حالة تلعثم التلميذ عند الانفعال أو الحديث مع الغرباء وهنا يواجه التلميذ مشكلة فهو دائما يجد نفسه بين خيارين، كلاهما يشكل صعوبة له، حيث يكون لديه دافع للصمت لتوقعه مقدما لما يسببه له تلعثمه من خجل وشعور بالذنب وبذلك يصبح ضحية الشعور بالعجز والخوف الذي يحول بينه وبين طلاقة الكلام.

النموذج السادس (06):

التلميذ يدرس في القسم الأولى ابتدائي، عمره ست سنوات، وقد أجرينا مع التلميذ لقاء أوليا استطعنا من خلاله تحديد نوع الإعاقة التي يعاني منها، وهي اللجلجة. واستطعت التبين من الحالة عند حضورنا درس القراءة الذي كان مقررا في الفترة الصباحية من اليوم التالي.

ومن خلال قراءته للنص كان نطقه كالاتي:

- جلس رضا ومنى وأمهما حول المائدة ينتظران الأب.

جـ جـ جلس رضا ومنى وأمهما...

d3/a/ d3/a/ d3 /a/

[l□]/a/

/s//a/

- فقالت الأم

ف ف فقالت الأمو...

/f//a//q//a/[l] /a//t//i/ /a / [l] ʔa //u//m//u//u /

- اصبر لن تأكل قبل أن يحضر أبوك

اصبر لن تأكل قبل أن يـ يحضر أبوك

/i //a/ /i //a/ /i //a//h/Ø/d //u//r//a/

- فقالت له منى

ف ف فقالت له منى..

/f//a/ /f//a/ /q//a/ [l] /a//t/Ø

- أسرع يا أبي رضا جائع

أسرع يا أسرع يا أبي رضا جائع.

- ضحك الأب وقال لن أتأخر بعد اليوم يا رضا

ضحك الأب وقال لن أـ تأخر بعد اليوم يا رضا...

/ʔa / /t//a/ /t//a/ʔa //x//a//r//a/

التعليق على الحالة:

مما يلاحظ على الحالة أثناء قراءة الجمل تلك الصعوبة التي يجدها التلميذ في نطق وإخراج الأصوات، رغم أنه على دراية ومعرفة بالكلمة في ذهنه، كما تبين من خلال طلبنا له بقراءة عدد من الكلمات المختلفة، إلا أنه يصعب عليه النطق بها، وعندما لا يستطيع ذلك تحدث التأناة، ويتجلى ذلك في تكرار أحد الحروف مثل حروف المد، وهي إطالات لها أسبابها كذلك وتعد من معوقات الكلام، كما لاحظت صعوبات في عملية التنفس وذلك لشعوره بالقلق والتوتر وقد كان الارتباك ظاهرا وجليا.

وبعد أن طلبت منه التعبير عن صورة ألصقت على السبورة، وجد صعوبة كبيرة في ذلك على الرغم من معرفته دلالة الصورة، إلا أنه لم يكن قادرا على ترجمة الصور إلى عبارات

وألفاظ، وهذا راجع لكونه لا يجد الكلمات المعبرة بسبب عياب التركيز فكان تعبيره عن الصورة في المرة الثانية فيه نوع من الارتباك، مما جعل تعبيره خارج محتوى الصورة المعروضة.

وحسب إفادة معلمته فإن التلميذ حالته تتأزم عندما يكون في موقف المواجهة سواء مع معلمته أو زملائه وخاصة أثناء القراءة، أما إذا كان في حالة من الهدوء والطمأنينة فإن نطقه يكون طليقا ويغيب عنه التكرار الذي لاحظناه في السابق، وما لاحظناه أيضا أنه يجد صعوبة كبيرة في الكلمات المستعصية، إلا أن اللافت للنظر حسب معلمته أن نتائجها في الدراسة مقبولة على العموم نظرا لحالته، حيث أنه بذل كل ما في وسعه للتغلب على مرضه، واكتساب اللغة التي تقترب من الصواب كثيرا، خاصة أن معلمته تساعده كثيرا وكذا الوالدين إلا أنه يحتاج إلى متابعة خاصة من أجل تخليصه من إعاقته التي أثرت على تحصيله الدراسي.

فالتلميذ كما تبين من خلال الجلسات الميدانية التطبيقية، يعاني من اضطراب في تواتر وإيقاع الكلام وطلاقة الكلمات، بحسبات وتكرار تشنجي للأصوات والمقاطع والكلمات وذلك مع علم المصاب تماما لما سيقوله، ولكنه في لحظة ما يكون غير قادر على النطق، مع التكرار اللاإرادي أو الإطالة أو التوقف.

وبالتالي فإن المشكل تواصلية متعددة الأبعاد ومعقدة، فهي مشكلة يمكن ملاحظتها بسهولة، لما يصاحبها من حالة القلق والخجل والارتباك.

ومن هنا نستخلص الأمراض التالية:

أولا:

تكرار الأصوات، وهو ناتج عن استمرار الأوتار الصوتية في الاهتزاز وتوقفها يؤدي إلى التوقف عن الكلام، أو غياب الأصوات وكذا إطالة غير طبيعية للأصوات.

ثانيا:

حدوث ضغط مستمر للهواء مما يسبب إعاقة الحركة الآلية للكلام، وق يصاحب هذا الضغط توتر وارتعاشا في العضلات عند نقطة الإعاقة، وقد تطول مدة الإعاقة أو تقصر تبعا لشدة الاضطرابات وبالتالي يتناقص أو يتزايد التوتر العضلي.

ثالثا:

يلاحظ حدوث الإعاقة بصورة متكررة في بداية نطق العبارة أو الكلمة حيث يطول نطق الصورة لفترة أطول خاصة في الحروف المتحركة وبعد إطالة الصوت شكلا هاما لهذا النوع من الاضطراب الكلامي.

تحليل الحالة:

إننا حالة () تبين العلاقة الموجودة بين الكلام والقراءة، فالقدرة على استخراج المعاني من الرموز تتطلب قدرا مناسباً من الثروة اللغوية الكلامية المقرونة بالنطق الواضح السليم، ويتفق جميع الباحثين على أن الحصول على قدر من الثروة اللغوية ضروري للقراءة الجيدة. وهناك مجموعة من الأمور يرى أن الأخذ بها يساعد على تهيئة الطفل للقراءة ومنها:

1. تطوير وعي الطفل بالكلمات الشفوية كوحدات اللغة.

2. إثراء الثروة الشفوية اللفظية.

3. تحسين هجائه ونطقه.

4. تمكينه من تشكيل الجمل وتركيبها.¹

ولو أمعنا النظر في هذه المقترحات وفي حالة المرضية لوجدنا العلاقة الوثيقة بين الكلام والقراءة حيث أن القراءة لا تنمو إلا من خلال الاهتمام بتنمية قدرة الطفل على الكلام، فالقدرة على النطق السليم الواضح، والقدرة على الحديث بشكل متصل مترابط سيعطينا بالضرورة طفلاً قارئاً بشكل جيد.

وتدل الحالة التي بين أيدينا أن عيوب الكلام والنطق ترتبط بصعوبة القراءة ومشكلاتها، وأن النطق غير السليم يؤثر بصورة مباشرة في القراءة وذلك بما يسببه من خلط في كل الأصوات الصادرة عن الآخرين التي يسمعها الطفل وكذلك الأصوات التي يسمعها صادرة عنه، عندما يطلب منه الربط بين الرموز المكتوبة وأصواتها في أثناء القراءة.

النموذج السابع (07):

التلعثم

الاسم ()

السن: 06 سنوات.

نوع المرض: التلعثم.

حضرنا معها درس القراءة والنص كان كالآتي:

جلس رضا ومنى وأمهما حول المائدة ينتظرون الأب فقال رضا:

- أنا جائع.

- فقالت الأم:

- اصبر، لن تأكل قبل أن يحضر أبوك.

* الوقت التي تستغرقه التلميذة قبل نطقها يكون بين 10 و 15 ثانية غالبا.

ثانيا: حدوث تهته، فيحدث عن ذلك عدم توازن بين عضلات الحنجرة واللسان والشفيتين فينطق بحروف غير موجودة في الكلمة (أ أ أ) أو يبدل الحروف بأخرى، أو يدغم الحروف بعضها في بعض.

التعليق على الحالة:

لاحظت على التلميذة أثناء قراءتها للنص التعب الظاهر على وجهها ولما سألتها صرحت بذلك، كما أنها كانت غير قادرة على الإفصاح فمرة تهته ومرة أخرى تحذف الجزء الأخير من الكلمة، وفي بعض الأحيان كانت تدمج الكلمات في بعضها البعض، إلا أنها في بعض الأحيان كانت تدمج الكلمات في بعضها البعض، إلا أنها في بعض الأحيان تستطيع القراءة بطلاقة، لكن سرعان ما تعاودها الحالة، ويتلثم الكلام عندها لو تستطيع أن تنطق به، كما لاحظنا عليها شدة السرعة في القراءة وكأنها تريد التخلص من تلك الضغوط التي أحسن بها عندما أمرتها المعلمة بالقراءة، وكذلك عند قراءتها كانت تتوقف برهة لأخذ نفس عميق ثم تواصل وتكرر هذا كثيرا أثناء قراءتها حسب ما صرحت به معلمتها.

كما أنها قامت بعدة حركات مثيرة للانتباه كالضغط على يديها وشفتيها وكذا تمايلها يمينا وشمالا واللعب بالأدوات المدرسية كالمسطرة أو الأقلام... وقد أفادتنا معلمتها بعدة ملاحظات أخرى:

- أنها كثيرة الشغب واللامبالاة.
- إهمالها لدروسها وعدم التركيز والمتابعة عند شرح الدرس.
- درجة استيعابها للدرس متوسطة كما أنها لا تستطيع التعبير عن أفكارها بسهولة المرجوة.
- قيامها بحركات عشوائية لم تستطع المعلمة معرفة تفسيراتها.
- نتائجها الدراسية متوسطة وهذا ما يدل على أن العيب النطقي الذي تعاني منه لا يؤثر عليها بدرجة كبيرة، كما أنها من الناحية النفسية غير مبالية لأن المحيطين بها لم ينفطنوا لعبيها لعدم ظهوره بصورة جلية.

دراسة الحالة:

إن التلعثم الذي تعاني منه التلميذة (النموذج 06) سبب لها حرجا شديدا وشعورا بالضيق وإحساسا بالنقص، وتظهر أعراض التلعثم عند التلميذة في صورة تكرار للكلمات تظهر في

صورة إطالة للأصوات "prolongation" أو عدم الاستطاعة على مواصلة نطق الكلمات وهو ما يسمى التوقف "blocage"، كما يصاحب ذلك توتر وحركات جسمية تظهر في عضلات الوجه، وكذا اضطراب في التنفس كما أنه في بعض الكلمات يكون التكرار أكثر من مرتين للمقطع اللفظي يصاحبها تأرجح في شدة الصوت مع التكرارات. كما أن أعراض التلعثم عند التلميذة تختلف من موقف لآخر، فحين يكون الانسداد شديداً في مكان ما بين الحبلين الصوتيين شديداً يكون التوقف أطول يصاحب ذلك هزة مفاجئة للرأس أو الذراعين، ويطلق على هذه الأنماط "مصاحبات التوقف" التي تكون بطريقة غير إرادية. أما التكرار فإنه لا إرادي كذلك، يصاحبه ضغط على الشفتين وفتح للعينين وإغماضهما لا إرادياً، كما يبرز اللسان أحياناً، مع اضطراب في التنفس، ويعتقد أن هذه التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للتلعثم تظهر نتيجة للقلق والتوتر والانفعال، وهذا ينعكس بدوره على عملية التنفس وحركات العين...

النموذج الثامن (08):

نتناول في هذا النموذج الإعاقات التي وقع فيها تلميذ عمره ست نوات وقد حضرنا معه درساً في التربية الإسلامية وكان نطقه للجمل كالاتي:

1- الاجتهاد أساس النجاح - ينطقها - الاشتهاد أثاث النجاح.

2- المسلم الذي يتقن عمله يحبه الله والناس - ينطقها - المثلّم الذي يتقن عمله يحبه الله والناث

3- أما نطقه للكلمات التالية فكان كالاتي:

مبراة - مبرة

/ʔa [l] /a//h//i//m/Ø

الرحيم - اللّحيم

/t [a//b/Øf//u [r/Ø

طبشور - طبحور

/k//u/ [l] /a [θØ

كراس - كلاث

/m//i//m/Ø/s//a//h//a/

ممسحة - ممحة

التحليل:

يعاني هذا التلميذ من إعاقات متعددة أبرزها الثأأة واللثغة... وتعتبر الثأأة العيب البارز في نطقه حيث تبرز لكنة حرف السين التي تكون أسبابها مختلفة (عضوية، نفسية...).

فالتلميذ يبدل حرف السين بحرف الثاء، وذلك ناتج عن بروز طرف اللسان خارج الفم بين الأسنان، حيث يخرج صوت السين من مخرج غير مخرجه الصحيح فالسين صوت لساني لثوي واحتكاك همسي، حيث يخرج نتيجة تحرك اللسان خلف حافة الأسنان العلوية مع عدم ملامسة اللسان للأسنان.

أو أنه ناتج عن عيب عضوي، خاصة إذا علمنا أن هذه السن هي مرحلة إبدال الأسنان لدى الأطفال، وكثير من الأطفال يبرءون من هذا العيب إذا ما تمت عملية إبدال الأسنان بصورة سليمة.

وما يلاحظ في نطق التلميذ صوت حرف الجيم إلى ش كقوله جامع فنه ينطقها: شامع، وذلك نتيجة خروج أصوات حرف الجيم، وهي أصوات لسانية حلقيه رخوة من مخارج غير مخارجها الصحيحة.

وما يلاحظ من نطق التلميذ، حيث أنه يبدل صوت حرف الراء إلى لام وهي لدغة رائية. أكدت لنا معلمة التلميذ أنه في بعض الأحيان يبدل الكثير من الحروف بحروف أخرى وهذا ناتج عن عيوب عضوية كوجود شق في الشفاه أو عدم مرونة سقف الحلق حيث يقوم بحجز الهواء القادم من الحنجرة عن المرور في تجويف الفم ليواصل سيره إلى الفجوة الأنفية، مما ينتج عنه نوع من الخنق، فيخرج الحروف المتحركة وكأن فيها غنة... برنامج لكشف حالات الإعاقة النطقية وعيوب الكلام:

1 -إعادة الأصوات.

2 -إعادة المقاطع.

3 -إعادة الكلمات.

4 -فهم اللغة الاستقبالية.

5 -اللغة التعبيرية.

تتباين الإعاقات النطقية من حيث الشدة ومن حيث النوع وهذه الإعاقات موجودة لدى الأطفال في سن المدرسة، حيث تكون هذه الاضطرابات بسيطة في المراحل الأولى ويمكن التغلب عليها والتعامل معها بسهولة أما إذا أهملت فإن هذه الإعاقات تزداد تعقيدا وشدة وتشكل عائقا في التفوق الدراسي.

وهنا نضع ورقة تقييم، حيث يمكن الكشف عن حالات الإعاقات النطقية كشفا أوليا، يمكن الاستدلال به على هؤلاء الأفراد عن طريق الملاحظة، وهنا الملاحظة تكون مباشرة.

تطبيق برنامج الكشف:

ضع الإشارة الملائمة عن نطق الحرف: الجدول 02 [22]

الحرف	أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص
الإشارة														
الحرف	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
الإشارة														

لفظ ☐ لفظ متوسط (لفظ حرف بطريقة مشوهة) ☐ لفظ غير مقبول

2- إعادة المقاطع:

أطلب من التلميذ إعادة المقاطع التالية ومن ثم حدد المقاطع التي لا يلفظها جيدا بوضع دائرة حول المقطع غير السليم أو الذي يحتاج إلى تدريب.

الجدول 03 [22]

الحرف مسكن	قصير مع الفتح	طويل مع الألف	قصير مع الضم	طويل مع الواو	قصير مع الكسرة	طويل مع الياء	ملاحظات
ب	بَ	با	بُ	بو	بِ	بي	
ت	تَ	تا	تُ	تو	تِ	تي	
ث	ثَ	ثا	ثُ	ثو	ثِ	ثي	
ج	جَ	جا	جُ	جو	جِ	جي	
ح	حَ	حا	حُ	حو	حِ	حي	
خ	خَ	خا	خُ	خو	خِ	خي	
د	دَ	دا	دُ	دو	دِ	دي	
ذ	ذَ	ذا	ذُ	ذو	ذِ	ذي	
ر	رَ	را	رُ	رو	رِ	ري	
ز	زَ	زا	زُ	زو	زِ	زي	
س	سَ	سا	سُ	سو	سِ	سي	
ش	شَ	شا	شُ	شو	شِ	شي	
ص	صَ	صا	صُ	صو	صِ	صي	

ض	ضَ	ضا	ضُ	ضو	ض	ضي
ط	طَ	طا	طُ	طو	ط	طي
ظ	ظَ	ظا	ظُ	ظو	ظ	ظي
ع	عَ	عا	عُ	عو	ع	عي
غ	غَ	غا	غُ	غو	غ	غي
ف	فَ	فا	فُ	فو	ف	في
ق	قَ	قا	قُ	قو	ق	قي
ك	كَ	كا	كُ	كو	ك	كي
ل	لَ	لا	لُ	لو	ل	لي
م	مَ	ما	مُ	مو	م	مي
ن	نَ	نا	نُ	نو	ن	ني
ه	هَ	ها	هُ	هو	ه	هي
و	وَ	وا	وُ	وو	و	وي
ي	يَ	يا	يُ	يو	ي	يي

3- إعادة الكلمات:

أطلب من الطالب إعادة الكلمات المبينة في الجدول التالي ومن ثم حدد أي خلل في إخراج الحرف، وهل هو في بداية الكلمة أم في وسطها أم في نهايتها. الجدول 03 [22]

الحرف	أول الكلمة		وسط الكلمة		آخر الكلمة		ملاحظات
أ	أرنب	أحمر	حامض	ساعة	بابا	عصا	
ب	باب	بالون	حبل	طبل	دب	حليب	
ت	تاج	تفاح	متر	مفتاح	بيت	توت	
ث	ثوم	ثوب	تمثال	ثلاثة	مثلث	أثاث	
ج	جبين	جمل	شجرة	نجمة	ثلج	تاج	

	ح	حبر	حصان	لحم	نحلة	ملح	قمح	
	خ	خاتم	خروف	زخرفة	نحلة	وسخ	صاروخ	
	د	دراجة	دار	ورده	قدم	نقود	حديد	
	ذ	ذرة	ذاب	حذاء	أذن	فخذ	قنفذ	
	ر	ريشة	رأس	بارد	شارع	مطر	بحر	
	ز	زيتون	زرافة	وزير	نزل	موز	عزيز	
	س	سفينة	سمكة	مساح	مسمار	جرس	راس	
	ش	شنطة	شجرة	نشر	فراشة	عش	عاش	
	ص	صوف	صاروخ	حصان	عصوفر	باص	مقص	
	ض	ضفدع	ضابط	منضدة	خضار	بيض	مرض	
	ط	طاولة	طبيب	بطه	بطاطس	خيط	ملفط	
	ظ	ظفر	ظرف	بوظه	نظارة	غليظ	عكاظ	
	ع	علم	عنب	ثعلب	قبعة	إصبع	شمع	
	غ	غزال	غربال	ببغاء	برغي	صمغ	فراغ	
	ف	فيل	فريز	حفل	تفاحة	أنف	حرف	
	ق	قلم	قلب	مطرقة	بقرة	صندوق	بوق	
	ك	كتاب	كلب	سمكة	سكين	ديك	كعك	
	ل	ليمون	لسان	قلم	ملفوف	جمل	طفل	
	م	مشط	موز	حمام	لمبة	دم	عام	
	ن	نار	نمر	صندوق	منشار	بالون	بالون	
	هـ	هلال	هدهد	نهر	سهم	فواكه	شفاه	
	و	ولد	وردة	لوح	دواء	جرو	سرو	
	ي	يد	يلعب	ذيل	سيارة	شاي	قلبي	

4 -تقييم اللغة الاستقبالية:

لتقييم اللغة الاستقبالية: أطلب من الطفل الاستجابة على الأوامر التالية في عمر لاسنة على ما يلي:

- يحول عينه ورأسه اتجاه الصوت.
- يبتسم للقائم برعايته.
- يستمع ولو للحظات عندما يتحدث معه الشخص القائم برعايته.
- يرفع يده عندما يطلب الشخص القائم برعايته أن يحمله.
- يردد صوته.
- يردد مقاطع من الصوت ثلاث مرات لكي يلعب.

أولاً: التمارين النفسية:

1. تمارين تنفسية عادية: جدول 04 [22]

	/ /	/ /	/ /	
أ	النفخ على شمعة لإطفائها (30 سم)			
ب	النفخ على قصاصات ورق لتفريقها			
ج	النفخ على دواليب هوائية لإدارتها			
د	النفخ بصفاير النفخ الورقية			
هـ	النفخ بالبالونات المطاطية			
و	النفخ على أقلام الرصاص لدرجتها			
ز	النفخ على كرات بلاستيكية صغيرة لدرجتها			
ح	النفخ في وعاء مملوء بالماء بواسطة مصاصة عصير لإنتاج فقاعات			
ط	ربط الإيقاع الصوتي بحركة المشي عند الطفل			
ي	ربط الإيقاع الصوتي بحركة الأطراف العليا من الجسم			

2. تمارين تنفسية نطقية:

جدول 05[22]

/ /	/ /	/ /		
			الصوت الطويل (أ، و، ي)	أ
			الصوت القصير (أ، و، ي)	ب
			الصوت الطبيعي (أ، و، ي)	ج
			الأصوات الثلاثة مع حركة الذراعان	د

3. تمارين تنفسية بدون إصدار صوت:

جدول 06[22]

/ /	/ /	/ /		
			أخذ أكبر كمية هواء من الأنف، مع الاسترخاء (شهيق)	أ
			الاحتفاظ بأكبر كمية هواء لمدة 3 ثواني والفم مفتوح مع عدم إخراج الهواء	ب
			إخراج هواء زفير من الفم بشكل بطيء وبالتدريج	ج

4. تمارين تنفسية مع إصدار الصوت:

جدول 07 [22]

			إخراج هواء بإصدار أصوات حروف العلة (أ، و، ي)	أ

ثانيا: تقييم جهاز النطق:

جدول 18 [22]

1 - الشفاه:

/ /	/ /	/ /		
			ضم الشفتين بشكل دائري	أ
			فتح وإغلاق الشفتين	ب
			شد في الشفتين	ج

د	ارتخاء في الشفتين			
---	-------------------	--	--	--

2 -الأسنان: جدول 09 [22]

				/ /
أ	تطابق الأسنان			/ /
ب	نظافة الأسنان			/ /

3 -اللسان: جدول 10 [22]

				/ /
أ	وجود عقدة في اللسان (ربطة اللسان البسيطة)			/ /
ب	ضعف في عضلة اللسان			/ /
ج	إخراج اللسان إلى الخارج			/ /
د	تحريك اللسان على الجانبين			/ /
هـ	رفع اللسان خارج الفم			/ /
و	رفع اللسان داخل الفم			/ /
ي	حركة اللسان بسرعات مختلفة داخل الفم			/ /

ثالثا: تقييم اللغة التعبيرية جدول 11 [22]

				/ /
1	معرفة الاسم الأول			/ /
2	نطق الاسم الأول بشكل صحيح			/ /
3	معرفة اسم الوالد والوالدة والإخوان			/ /
4	نطق اسم الوالد والوالدة والإخوان بشكل صحيح			/ /
5	معرفة أدوات الطعام (كاسة، ملعقة، سكين، طنجرة)			/ /
6	معرفة أدوات المنزل (تخت، خزانة، طاولة، كرسي، ساعة)			/ /

7	نطق أدوات المنزل (تخت، خزانة، طاولة، كرسي، ساعة)		
8	معرفة الألبسة الضرورية (البنطال، الفستان، الحذاء، القميص)		
9	نطق الألبسة الضرورية (البنطال، الفستان، الحذاء، القميص)		
10	معرفة أعضاء الجسم (الأنف، الفم، اللسان، السن، العين، الأذن)		
11	الإشارة إلى وظائف الجسم الأساسية		
12	نطق أعضاء الجسم الأساسية عند الإشارة لها		
13	يصرخ عندما يطلب منها ذلك		
14	يضحك عندما يطلب منها ذلك		
15	يعبر عما يريد بالمقاطع (كم مقطع لدى الطالب)		
16	معرفة الفواكه ونطقها (موز، تفاح، عنب، تين، بطيخ)		
17	معرفة الخضروات ونطقها (خيار، بندورة، بطاطا، بصل، ليمون)		
18	يعبر عما يريد بكلمو بسيطة (مي، حمام، باي، اروح)		
19	يعبر عما يريد بكلمتين غير مترابطتين قواعديا (مدرسة، اروح)		
20	معرفة ونطق الحيوانات الأليفة (الدجاجة، القط، الخروف، السمكة)		
21	معرفة ونطق الحيوانات غير الأليفة (الدب، الأسد، النمر، الأفعى، التمساح)		
22	يعبر عما يرد بكلمتين مترابطتين قواعديا (بدي،		

			أروح، مدرسة)	
			يعبر بجملة من ثلاث كلمات دون استخدام حروف الجر	23
			التمييز بين الحيوانات الأليفة وغير الأليفة من خلال الحديث	24
			التمييز بين النباتات التي تؤكل والنباتات التي لا تؤكل من خلال الحديث	25
			يعبر بجملة من ثلاث كلمات باستخدام حروف الجر	26
			يعبر بجملة من ثلاث كلمات باستخدام حروف الجر ومترابطة قواعديا	27
			يعبر عما يريد بأكثر من ثلاث كلمات	28
			معرفة ونطق أيام الأسبوع والتاريخ	29
			معرفة ونطق فصول السنة (اللباس، وظاهره)	30
			معرفة ونطق أوقات اليوم	31
			نطق اسم مدرسته، معلمته، رفاقه في الصف	32
			ذكر فقرة مكونة من أكثر من جملة واحدة عن موضوع ما	33
			نطق مكان سكنه ومعرفة الاتجاهات التي توصل له (مخبز، بقالة، بيت)	34
			عمل حوار مع الطالب بموضوع ما لمدة 5 دقائق في المركز بحضور المعلم منفردا	35
			عمل حوار مع الطالب بموضوع ما لمدة 5 دقائق في المركز في صفه بحضور الطلاب	36
			الحديث عن هويته الشخصية بذكر (10) أمور شخصية له مثل عمره، جنسه	37
			الحديث عن هويته الشخصية ورغباته من خلال حوار لمدة 10د مع الطالب	38

			تنظيم حوار مع المعلمة بحضور طلبة المركز، يناقش فيه موضوعا محددا مثل (أنا لا أحب الدراسة في الليل، أحب مشاهدة التلفاز) بحيث يتحدث أمام زملائه شفويا أو قراءة	39
--	--	--	--	----

الشكل 12

رابعاً: تقييم اللغة التعبيرية

[22]

/ /	/ /	/ /		
			الاستجابة للتعليمات المحددة بخطوة واحدة (خذ، هات)	1
			الإشارة إلى الأشياء الموجودة داخل الغرفة (طاولة، كرسي، كأس)	2
			تنفيذ أمرين اثنين في طلب واحد (روح، جيب)	3
			طرح سؤال عليه وطلب الإجابة منه لمعرفة مدى فهم السؤال وليس مدى نطقه (مين جابن اليوم، كيف جيت؟)	4
			ذكر قصة قصيرة أمامه لمعرفة مدى تذكره لأسماء أو أحداث القصة	5
			الاستجابة للتعليمات من ثلاثة أوامر	6

خامساً: تقييم الإدراك (مهارات مكملة):

جدول 13 [22]

/ /	/ /	/ /		
			الألوان ومعرفتها (أحمر، أخضر، أصفر، أسود، أبيض، أزرق)	1
			الأشكال (مثلث، مربع، دائرة، مستطيل)	2
			الأحجام (كبير، صغير، طويل)	3

			المتضادات (حلو، مالح، خشن، ناعم)	
4			المختلفات (تفاحة، طابة) (كرسي، طاولة) (دفتر، كتاب)	
5			التطابق (صورة مع مجسمات) (شاي، مي) (سكر، ملح)	
6			تلوين (داخل حيز بمساعدة، بدون مساعدة)	
7			التركيب (وجه، رسم ولد، سيارة)	
8			توصيل نقاط (خط مستقيم قليلا، متعرج كثيرا)	

سادسا: تقييم مخارج الحروف:

ترتيب مخارج الحروف من الداخل إلى الخارج جدول 14 [22]

الرقم	المخرج	الحرف الهجائي
1	حروف المد (العلة)	آ، و، ي
2	الحروف ذات المخرج الشفهي	ف، و، ب، م
3	الحروف التي تخرج من بين الأسنان	ظ، ذ، ث
4	الحروف التي تخرج من بين الأسنان واللثة	ص، ز، س
5	الحروف التي تخرج من طرف اللسان والسنخ	ط، ن، د
6	الحروف اللسانية	ل، ن، ر
7	الحروف التي تخرج من طرف اللسان	ص
8	الحروف التي تخرج من وسط اللسان وسقف الحلق	ج، ش، ي
9	الحروف اللهوية التي تخرج من أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى	ق، ك
10	الحروف الحلقية:	
	أ- حروف مخرجها من أدنى الحلق	غ، خ
	ب- حروف مخرجها من وسط الحلق	ع، ح
	ج- حروف تخرج من أقصى الحلق	هـ، الهمزة

الوصف الفسيولوجي وتقييم النتائج: الشكل 15 [22]

				الشفاه	أولا
				وجود عيب في الشفاه	أ
				صغر في الشفاه	ب
				عيوب أخرى	ت
				الأسنان	ثانيا
				تسوس الأسنان	أ
				تباعده في الأسنان	ب
				مسافات بين الأسنان	ج
				كثرة الأسنان	د
				كبر الأسنان	هـ
				خلع في الأسنان	و
				صغر في الأسنان	ي
				عيوب أخرى في الأسنان	ز
				الفك	ثالثا
				صغر في الفك	أ
				كبر في الفك	ب
				تقديم الفك العلوي على السفلي أكثر من اللازم	ج
				عيوب أخرى	د
				اللسان	رابعا
				وجود عقدة في اللسان	أ
				طول في اللسان	ب
				زيادة في عرض اللسان	ج
				قصر في اللسان	د
				شلل في اللسان	هـ
				عيوب أخرى	و
				الحنك	خامسا

				عيوب سقف الحلق	أ
				انخفاض سقف الحلق	ب
				فتحة في سقف الحنك	ج
				الأنف	سادسا
				لحمية زائدة	أ
				عيوب أخرى	ب

الشكل 16 [22]

التقييم والتوصيات:

التاريخ	التوصيات	نتائج التقييم	
			التقييم الأول بتاريخ
			الثاني بتاريخ
			الثالث بتاريخ

خاتمة

إن الإعاقات النطقية وعيوب الكلام تعتبر من بين العوائق أو الحواجز التي تعيق تطور القدرات اللغوية، وخاصة عند الأطفال كما أنها تؤدي إلى نتائج سلبية، في حين أن الإنسان يسعى إلى الأحسن. لذلك لابد أن يكون اهتمام خاص بهذا الجانب، من أجل توسيع مجال الدراسة والبحث قصد التخفيف من مثل هذه الإعاقات والعيوب النطقية التي تتسبب في الكثير من الأحيان في تعطيل أو الحد من عملية التعلم للغة وكذا التعلم بصفة عامة.

وقد كان لعلم اللغة الحديث الفضل في رد الاعتبار للغة المنطوقة وهكذا ينظر إلى علم اللغة على أنه وسيلة لتحسين طريقة تدريس اللغة، وكان من أثر التركيز على اللغة المنطوقة (الكلام) أن زاد الاهتمام بالظواهر الصوتية التي لا تستطيع لغة الكتابة ترجمتها والتعبير عنها مثل النبر والتنغيم اللذين لهما أثر كبير في تغيير المعنى، وساعد هذا الاتجاه أيضا على الاهتمام بالتراكيب اللغوية الأكثر شيوعا في لغة الحديث، وهذا كله يرجع إلى العلاقة الموجودة بين علم اللغة وعلم أمراض الكلام حيث توجد عيوب تتعلق بالطريقة التي تصدر بها الكلام أو تلك التي نستقبله به أو نفهمه. لذلك كان من الضروري قبل الشروع في علاج هذه العيوب أن ندرك إدراكا كاملا أسباب هذه العيوب، وما إذا كانت عضوية أو نفسية أو بيئية وهل دلالية أو مزيج من هذه الأشياء جميعها، فإذا كان يتصل بالناحية النحوية مثلا، فلا بد أن نعرف أي جوانب النحو هي التي تأثرت؟ وإلى أي مدى؟

وقد ترجع عيوب الكلام إلى ما قد يصيب بعض أجهزة الإنسان التي لها علاقة باللغة من اضطراب أو تلف أو تشويه يعطله عن تأدية وظيفته في إصدار الكلام أو في استقباله . فقد يولد بعضهم بعيوب لها صلة بأعضاء النطق والسمع مثل شق في الحلق أو انسداد في الأذن الداخلية أو الوسطى أو غير ذلك .

وعلم اللغة-لا شك- يستطيع أن يسهم إسهاما فعالا في علاج عيوب النطق، وذلك بوضع البرامج والطرق التحليلية، وتقديم المادة الوصفية عن اللغة، وتصنيف الكلام، وبيان العلاقات النحوية والدلالية وإبراز الفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وكل هذه الأمور لابد منها في تشخيص الداء، وبالتالي في علاجه.

وقد تبين من خلال مراحل النمو العادي للكلام واكتساب مهارات النطق، حيث يقوم الأطفال عادة بحذف أو إبدال أو تحريف الأصوات اللازمة للكلام، كما يلاحظ أن أخطاء الإبدال هي أكثر العيوب شيوعاً من بين عيوب النطق وعلى ذلك، ليس من المستغرب أن يخطئ طفل الرابعة من العمر في نطق بعض الحروف مثل حرف (ث) أو حرف (ر) ، لكن لو أن طفلاً يبلغ السابعة من عمره اخطأ في نطق بعض الحروف مثل حرف (ب) أو حرف (ك) فمما لا شك فيه- أن هذا الطفل يعاني من صعوبة من صعوبات النطق.

يمكن أن يحدث أي نوع من الإعاقات النطقية وعيوب الكلام التي سبقت الإشارة إليها - بأي درجة وبأي نمط من الأنماط ، كذلك يمكن أن يتضمن كلام الطفل عيباً واحداً من عيوب النطق، أو قد يتضمن مجموعة من هذه العيوب أيضاً ، فإن عيوب النطق عند الأطفال كثيراً ما تكون غير ثابتة وتتغير من مرحلة النمو إلى مرحلة أخرى، علاوة على كل ذلك، فإن الطفل قد ينطلق الصوت الواحد صحيحاً في بعض الأوقات أو المواقف ، لكنه يحذف أو يبديل أو يحرف نفس الصوت في أوقات أو مواقف أخرى.

ومن الأمور بالغة الأهمية بالنسبة للأخصائي في عيوب النطق أن يحدد ما إذا كان خطأ ما من أخطاء النطق يعتبر عيباً حقيقياً من عيوب النطق أم أنه خطأ من الأخطاء اللغوية ، ترجع أهمية هذا التمييز إلى أن أهداف العملية العلاجية وأساليبها تختلف تماماً بالنسبة .

وتتراوح عيوب النطق من عيوب خفيفة إلى حادة ، ففي الحالات التي تكون فيها عيوب النطق من النوع الحاد يصعب فهم كلام الطفل ، من ناحية الأخرى، يعاني الطفل معاناة شديدة عندما يحاول التعبير عن أفكار أو حاجاته الخاصة في المحيط الأسري أو المدرسي أو في علاقاته مع الزملاء ، ، إلا أن مدى الإعاقة في وضوح كلام الطفل ليست العامل الوحيد الذي يؤثر في الحكم على درجة حدة الاضطراب ، فالعمر الزمني للطفل - بلا شك - يعتبر عاملاً هاماً وخاصة في ضوء الطبيعة النمائية للنطق والكلام ، فعندما يخطئ الطفل البالغ السابعة من عمره في نطق أصوات الكلام النمائية المبكرة فإن يعاني من اضطراب أكثر حدة من طفل آخر من نفس سنة ، لكنه لا يخطئ إلا في نطق الأصوات النمائية المتأخرة فقط، كذلك فإن عيوب النطق الثابتة والراسخة عند الطفل الأكبر سناً، عادة ما تكون أكثر حدة وصعوبة في العلاج من الأخطاء غير الراسخة عند طفل آخر أصغر سناً بوجه عام ، يمكن القول بأن الأخطاء الثابتة أقل قابلية للعلاج من الأخطاء الطارئة أو الوقتية .

من ناحية أخرى فإن عدد عيوب النطق وأنواع هذه العيوب عامل مؤثر أيضاً في تحديد درجة حدة الاضطراب مع مراعاة أن عيوب الحذف تعتبر على مستوى طفلي أكثر من عيوب الإبدال أو التحريف، كذلك فإن العيوب التي تتضمن أصواتاً تتكرر كثيراً في اللغة تكون ملحوظة بدرجة أكبر كما أنها تنعكس على وضوح الكلام بدرجة أكبر من الأخطاء التي تتضمن الأصوات النادرة أو قليلة التكرار في اللغة وعندما يكون الطفل قادراً على تصحيح عيوب النطق إذا ما توفرت الاستشارة السمعية والبصرية اللازمة ويعتبر ذلك عادة دلالة علاجية جيدة على أن الطفل سوف يكون قادراً على تعلم إصدار الأصوات الصحيحة اللازمة للكلام أما الأصوات الخاطئة التي لا تكون قابلة للاستشارة .

أي عيوب النطق التي تستمر عند الطفل حتى مع توفير الاستشارة الإضافية والدلالات يصعب في العادة تدريب الطفل على تصحيحها

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن بسام الشنتريني الأندلسي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق د/إحسان عباس د الثقافة بيروت 1973
2. ابن جني أبو الفتح عثمان. الخصائص تحقيق محمد علي النجار دار الكتب العمرية ج 1 1956.
3. 1 ابن جني أبو الفتح عثمان سر صناعة الإعراب تحقيق من الصنداوي دار الحكم، دمشق.
4. ابن جني أبو الفتح عثمان المنطق في شرح كتاب التصريف تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين مصر.
5. ابن جزري أبي الخير محمد النشر في القراءات العشر ج 1 1954 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
6. ابن خالوية مختصر شواذ القرآن المقدمة نشره برجستراسر القاهرة، ط 4، 1971.
7. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المقدمة تحقيق علي عبد الواحد وافي القاهرة، 1962
8. ابن فارس أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة دار الفكر، ط 2، ج 3، القاهرة 1970.
9. ابن كثير عماد الله تفسير القرآن العظيم منشورات محمد علي بيوض دار الكتب العلمية ج 3، ط 1، 1999.

10. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر بيروت، المجلد 8. 2000.
11. ابن يعيش أبو البقاء يعيش، معجم القراءات القرآنية، ج 1.
12. الجاحظ أبو عثمان البيان والتبيين تدقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر ط 4، ج
13. الخفاجي عبد الله، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 1986/
14. السيوطي جلال الدين الإتيقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج 2، المكتبة المصرية بيروت، 1988.
15. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان تحقيق عبد السلام هارون المطبعة الأميرية، بولاق، ج 2، 1316هـ.
16. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية مطبعة الخازمي القاهرة، ط 1، 1971.
17. إبراهيم العظمائي معالم من سيكولوجية الطفولة وفترة الشباب، بغداد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط 1، 1998.
18. إبراهيم السمرائي فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين بيروت.
19. أحمد عبد المجيد هريدي الألعاب الكلامية اللسانية دراسة صوتية تركيبية مكتبة الخانجي القاهرة، ط 1، 1999.
20. أحمد الحملاوي شذا العرف في فن الصرف مكتبة المعارف، للنشر والتوزيع الرياض ط 1، 2001.
21. أحمد مختار عمر علم اللغة العام دراسة الصوت اللغوي عالم الكتب 1966.
22. أحمد محمد الزعبي الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسة عند الأطفال، دار الحكمة اليمانية ط 1، 1994.

23. أحمد نايل العزيز، أحمد عبد اللطيف أبو أسعد، أديب عبد الله النوايسة، النمو اللغوي واضطرابات النطق والكلام، عالم الكتب الحديث، ط 1 / 2009، اربد الأردن
24. إسماعيل عمايرة محمود، تطبيقات في المناهج اللغوية دار وائل للطباعة والنشر، 2000.
25. أمين محمد قاسم اللغة والتواصل لدى الطفل مركز الإسكندرية للكتاب، 2005.
26. أمين سهير محمود، اللججة المفهوم والأسباب والعلاج دار الفكر العربي القاهرة 2000.
27. انتصار يونس السلوك الإنساني دار المعارف، القاهرة 1991.
28. أتي محمد أو خديجة ديماميات الفرع الليلي التتهته لدى الطفل معهد الدراسات العليا للطفولة 1992.
29. أنس محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، مركز الإسكندرية للكتاب، 2002،
30. أيوب عبد الرحمن أصوات اللغة مطبعة الكيلاني القاهرة، 1968.
31. أيوب عبد الرحمن اللغة والتطور معهد الدراسات العربية 1969.
32. بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية مركز الإنماء القومي لبنان
33. بجشتراس جوتلف التطور النحوي للغة العربية أخرج وصححه رمضان عبد التواب، القاهرة، 1983.
34. البلاوي إيهاب عبد العزيز اضطرابات النطق، دار النهضة المصرية القاهرة، 2003.
35. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها القاهرة 1973.
36. تمام حسان مناهج البحث في اللغة الأنجلو المصرية ط1، 1955.

37. تمثيلية دنيس علم النفس والمعلم، ترجمة عبد الحليم محمود السيد وزين العابدين بن دوري وحسين الدرنيسي فوسة الأهرام القاهرة، 1987.
38. حامد الزهران علم النفس النمو، علم الكتب القاهرة، 1990.
39. حمدي عز الفرماي اضطراب التخاطب جار إرضاء للنشر والتوزيع الأردن 2009.
40. حسن محي الدين، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1987.
41. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط1، 1971.
42. خوله طالب الإبراهيمي مبادئ في اللسانيات دار القصة للنشر الجزائر 2000.
43. دبابة ميشي محفوظ نبيل، سيكولوجية الطفولة دار المستقبل، عمان 1999.
44. سعد مصلوح دراسة السمع والكلام، صوتيان من الإنتاج إلى الإدراك عالم الكتب ط1، 2003.
45. السعران محمود، علم الأصوات دار اشبيليا للنشر والتوزيع ط1، 1962.
46. ستيفن أولمان دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال بشر القاهرة، 1986.
47. سرجيو سيبيني، التربية اللغوية للطفل ترجمة فوزي محمد وعبد الفتاح حسن دار الفكر العربي مصر 1991.
48. سويس مصطفى الأسس النفسية للتأمل الاجتماعي دراسة ارتقائية تحليلية القاهرة دار المعارف ط3، 1970.
49. شقير زينب، اضطرابات اللغة والتواصل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج3، 2002.

50. شيري وسايرز ، تجارب علي الكف الكلي للجلجة، القاهرة، دار المعارف 1985.
51. صباح خنا هرمز، الثورة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت 1987
52. صفاء غازي أحمد فاعلية أسلوب العلاج الجماعية(السيكودراما) والممارسة السلبية لعلاج اللجلجة ، عالم الكتب القاهرة 1992.
53. طارق زكي، سيكولوجية التلعثم في الكلام، رؤية نفسية علاجية إرشادية دار العلوم والإيمان ط1، 2008.
54. عادل عبد الله محمد، النمو العقلي للطفل الدار الظرفية القاهرة 1990.
55. عبد العزيز أحمد علام، من التزمين في نطق العربية الفصحى، القاهرة، 1974
56. عبد السلام المسدي اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، 1984.
57. عبد الصابور شاهين فصول في علم اللغة العام مكتبة دار العلوم، ط 3، 1978
58. عبد الفتاح عبد العال، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال دار الشروق للنشر 2006.
59. عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث الجزائر ط 4، 1973-1974.
60. عبد الله ناصر الصقر، اضطرابات الصوت واللغة والكلام، الوقاية والعلاج، الأكاديمية العربية للتربية الخاصة، الرياض، ط1/2006
61. عبده الراجحي النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية بيروت 1979.

62. عاطف مذكور عصر اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1987 القاهرة.
63. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة نهضة العصر، للطباعة والنشر والتوزيع ط11، 2006.
64. عمر أوكان اللغة والخطاب إفريقيا الشرق بيروت لبنان 2001.
65. فراس السليتي، فنون اللغة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008
66. فاروق الروسان، مقدمة في الاضطرابات اللغوية، دار الزهراء، الرياض، 2000
67. فاروق محمد صادق، سيكولوجية التخلف العقلي، عمادة شؤون المكتبات، جامع الملك سعود الرياض، م، ع، السعودية، ط2، 1982
68. ف، م، لويس، اللغة والمجتمع، ترجمة، تمام حسان، دار إحياء العربية، 1959
69. فيصل محمد خير، اللغة واضطرابات النطق والكلام، دار المريخ، السعودية، 1991
70. كمال بشر، علم اللغة العام والأصوات، دار المعارف، مصر، 2004
71. ليلي أحمد كرم الدين اللغة عند الطفل القاهرة 1993.
72. ماريو باي أسس علم اللغة ترجمة أحمد مختار عم، عالم الكتب ط 2، 1982.
73. محمد أحمد محمود، علم الأصوات، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط2003، 1
74. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة وعرض لمنهج العربية الأصلي في التجديد والتوليد ، دار الفكر بيروت ط 4، 1970.
75. محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد القاهرة، 1344هـ.

76. محمد حجازي اللغة العربية عبد القرون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968.
77. محمد حوله، الارطفونيا علم اضطرابات اللغة والكلام والصوت دار هومة الجزائر .
78. محمد مندور، في الميزان الجديد، ط3، القاهرة
79. مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، دار الآفاق
80. مصطفى فهمي أمراض الكلام، مكتبة مصر الفجالة، دار مصر للطباعة ط4.
81. مصطفى فهمي سيكولوجية الأطفال غير العاديين مكتبة مصر 1995.
82. مصطفى الدمياطي كتاب في فن القراءات والكلام والإلقاء، دار الكتب، 1969
83. مارك ريشنل اكتساب اللغة ترجمة كمال بكداش المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط1، 1981.
84. مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد ،بغداد 1960.
85. ميشال زكريا مباحث في النظرية الألسنة ولعلم اللغات، المبادئ والإعلام، بيروت 1983.
86. نايف خرما ،أضواء على الدراسات اللغوية ، الكويت، 1978
87. نوران العسال إرشاد الأسرة في علاج اضطرابات الصوت والكلام. النعام للنشر والتوزيع 1991
88. نوال محمد عطية علم النفس اللغوي، المكتبة الأكاديمية القاهرة، ط 3، 1995.
89. .
90. هدى عبد الحميد برادة، فاروق محمد هادق علم النفس النمو، التعليم للطباعة وتجارة القاهرة 1990.

91. يسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة، عبد الرحمان أيوب،
القاهرة، 1954
92. يونس فيصل عبد القادر، التميز بين الجماعات الإكلينيكية كلية الآداب
جامعة القاهرة 1969.
93. زينب محمد أبو حذيفة، ديناميات الفرع الليلي، التهيئة لدى الأطفال، معهد
الدراسات العليا للطفولة، 1992 مصر.
94. -قائمة الدوريات والمجلات العربية:
95. أحمد حساني مباحث في اللسانيات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،
1999
96. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي عالم المعرفة الكاوية
العدد 145، 1990
97. جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، مقال،
مارس 1979
98. خالد، اضطرابات النطق عند الأطفال، مجلة الطفولة والتنمية، ج 2، ع 5.
2002
99. السعيد حمزة مصطفى ناصف اللغة والتفسير والتواصل عالم المعرفة
الكويت العدد 139 سنة 1995
100. شاده أوتور، علم الأصوات عند سيوييه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية
، عدد 5، سنة 1931.
101. عبد الله ربيع. الإيقاع بين الموسيقى واللغة ،مجلة كلية اللغة العربية
، العدد 2، سنة 1984

